

الموسوعة الدعوية

وَصِيَايَا الْمَلِكِ عَالَمًا إِلَى اللَّهِ

المائة الثانية

اعداد /  
أبي محمد محمد المكي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فهرس المحتويات

٦	فهرس المحتويات
١١	المقدمة
١٤	١ - خطأ الاحتجاج بزلات السلف
١٥	٢- تعليق التضحية على أمر القادة
١٧	٣- قيادة الباطل مثلبة، كما أن جندي الحق منقبة
١٧	٣- أقوال الحق الصادقة لا تكفي لتزكية قائلها تزكية مطلقة
١٩	٤ - سوء الرؤساء دليل ضرر المجموعة
٢٠	٥ - الحرص على نجاة النفس
٢٣	٦ - تمييز الغايات الصدامية في مساجد الضرار
٢٥	٧ - مضاعفة الحذر من فتن آخر الزمان
٢٨	٨ - الاتعاظ بالتاريخ
٣١	٩ - الإعراض عن الجاهلين
٣٢	١٠ - كبت الإشاعة
٣٣	١١ - خوف تنكر الأرض والمؤمنين للخوالف
٣٦	١٢ - ليكون لك أثر.. مع قافلة الدعوة
٣٩	١٣ - انتصار المؤمن المراعم
٤٠	١٤ - حكمة الدعاة وعدل القضاة.. معاً
٤٢	١٥ - في التجارب علم مستأنف
٤٣	١٦ - أغاني الحصاد
٤٥	١٧ - تكامل المهمم
٤٧	١٨ - مبادرة الداعية للتكلم بما يناسب حاجة المدعو:

- ١٩- الأخذ من كل مدعو حسب طاقته، والعطاء له حسب حاجته. .... ٤٨
- ٢٠- إرجاء معركة المدعو مع أهله. .... ٥٠
- ٢١- الحرص على تعادل أوقات النشاط العام مع اللبث في المساجد. .... ٥١
- ٢٢- ذهب ويورانيوم. .... ٥٣
- ٢٣- بذادة موهومة. .... ٥٤
- ٢٤- إهن شقائق الرجال! .... ٥٦
- ٢٥- بناء حركة الناشئة الإسلامية. .... ٥٧
- ٢٦- وضوح الفكرة الإسلامية في نفس الداعية. .... ٥٨
- ٢٧- البرمجة الفردية والجماعية: .... ٥٩
- ٢٨- التخصص وتوزيع الأعمال: .... ٦٠
- ٢٩- نظرة إلى معني الزهد في بعده الدعوى. .... ٦١
- ٣٠- من عوامل الجدية : .... ٦٢
- ٣١- المبالغة في السرية تخفف القلوب الندية. .... ٦٤
- ٣٢- توازن الممارسة السياسية والتربية الإيمانية. .... ٦٥
- ٣٣- التدرج في الإصلاح: .... ٦٦
- ٣٤- شروط تقدم الجماعة: .... ٦٨
- ٣٥- لكن الصاعدون يعيدون البناء. .... ٦٩
- ٣٦- بين الاقتحام المرتجل والوداعة الساذجة. .... ٧٠
- ٣٧- خلوص النية: خلاصة العظيمة. .... ٧٢
- ٣٨- رجاء العبودية الخائفة: .... ٧٣
- ٣٩- علو الهدف الواحد: .... ٧٥
- ٤٠- امتزاج القلب والعقل: .... ٧٦
- ٤١- رفض التسلط الجاهلي: .... ٧٧

- ٤٢- عيش الجدل الدائب ..... ٧٩
- ٤٣- رهبة موقف الموت: ..... ٨٠
- ٤٤- عزم التعاهد المبكر: ..... ٨١
- ٤٥- خروج المخاطر الباذلة: ..... ٨٢
- ٤٦- قطع العلائق الدنيوية: ..... ٨٣
- ٤٧- الثقافة التاريخية للدعاة ..... ٨٦
- ٤٨- حقائق ينبغي أن ينتبه لها الداعية ..... ٨٧
- ٤٩- من لهؤلاء .. !!؟ ..... ٩١
- ٥٠- دور المسجد في بناء الشباب ..... ٩٣
- ٥١- علو الهمة في الدعوة إلى الله تعالى ..... ٩٧
- ٥٢- الدعاة .. ورعاية مقتضى حال المدعوين ..... ٩٩
- مقومات النجاح في تكوين الداعية ..... ١٠٣
- ٥٣- \* وأخيرا.. أسلم أستاذ الجامعة الأمريكية في مصر ..... ١٠٦
- ٥٤- من آفات الدعاة : الوهن أسبابه ومظاهره ..... ١٠٨
- ٥٥- الكلمة ..... ١١٧
- ٥٦- كيف نتخلص من الوهن؟ ..... ١١٩
- ٥٧- من مهارات الاتصال ..... ١٢٥
- ٥٨- رسالة إلى المعلم ..... ١٢٧
- ٥٩- وأنه هو أضحك وأبكى ..... ١٣٧
- ٦٠- مهارات الاتصال وبناء العلاقات ..... ١٣٩
- ٦١- ١٠١ فكرة لبداية رائعة في التدريس ..... ١٤٢
- ٦٢- مسيرة الصحوة متكامل بنصح العلماء وشباب الصحوة بعضهم بعضا ..... ١٥٠
- ٦٣- الداعية والتحرك الذاتي ..... ١٥٣

- ٦٤- أفلوا عليهم من اللوم..... ١٦٠
- ٦٥- الدعاء.. وأثره في نصر الدعوات..... ١٦٢
- ٦٦- علو المهمة — علامة كمال العقل..... ١٦٥
- ٦٧- العقبات الخارجية في الدعوة وكيفية مواجهتها..... ١٧١
- ٦٨- الفتور.. مظاهره وأسبابه، وطرق العلاج..... ١٧٧
- ٦٩- الحركة الإسلامية .. هموم وآمال..... ١٨٤
- ٧٠- الداعية في مواجهة الآخر.. الانطلاق من النقطة الخطأ..... ١٨٧
- ٧١- رؤية مستقبلية للدعوة النسائية..... ١٩٣
- ٧٢- الفكر الاستشراقي.. وأثره على الدعوة..... ٢٠١
- ٧٣- المال.. دور حيوي وأثر فعال في إحياء الدعوات..... ٢٠٦
- ٧٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. من أدلة صدق التجارة مع الله..... ٢١٠
- ٧٥- وسائل ومميزات في الدعوة الفردية ١ - ٤..... ٢١٣
- ٧٦- هندسة العلاقات الاجتماعية..... ٢١٧
- ٧٧- المرأة المسلمة وهمُّ الدعوة إلى الله..... ٢١٩
- ٧٨- دور الشباب في الحركات الإسلامية..... ٢٢٦
- ٧٩- الدعوة الفردية آمال ونصائح ١-٢..... ٢٣١
- ٨٠- الدعوة الفردية آمال ونصائح ٢-٢..... ٢٣٤
- ٨١- أترضاه لنفسك؟! .. ومعالم في التربية..... ٢٣٧
- ٨٢- المصلحون يصنعون الفرص..... ٢٤٠
- ٨٣- التعليم والتذكير..... ٢٤٢
- ٨٥- الوسائل النبوية في الدعوة إلى الله..... ٢٤٥
- ٨٦- الترغيب..... ٢٤٩
- ٨٧- الترهيب..... ٢٥١

- ٢٥٦ ..... ٨٨-الكتابة.. أسلوب دعوي ناجح.....
- ٢٥٩ ..... ٨٩-عالمية الدعوة و قضية اللغة.....
- ٢٦٤ ..... ٩٠-من هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في التعليم.....
- ٢٧١ ..... ٩١-بصائر دعوية في جانب العقيدة.....
- ٢٧٤ ..... ٩٢-مراتب دعوة غير المسلمين (١ - ٢).....
- ٢٨٥ ..... ٩٤-مراتب دعوة غير المسلمين (٢-٢).....
- ٢٩١ ..... ٩٥-صفات وأخلاق الدعاة.....
- ٢٩٣ ..... ٩٦-ملامح المنهج الدعوي في دعوة نصارى العرب إلى الإسلام.....
- ٢٩٩ ..... ٩٧-الداعي ومؤهلاته العلمية والخلقية.....
- ٣٠٥ ..... ٩٨-أفق الداعية بين الضيق والسعة.....
- ٣٠٨ ..... ٩٩-وقفات من عزل الدعاة.....
- ٣١٥ ..... ١٠٠-من المقصود بالدعوة إلى الله - عز وجل - .....

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يهدون ويرشدون ويدعون إلى الله جل وعلا، يجيئون بكتاب الله الموتى، ويصرون به أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أسوأ أثر الناس عليهم، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الدعاة إلى الله هم الشموع ، التي تحترق لتضيء للناس طريق الهدى والحق والضياء ، وهم وعي الأمة المستنير ، وفكر الأمة الحر ، وهم قلب الأمة النابض ، وأطباء القلوب المريضة ، والنفوس الجريحة ، بل هم قادة سفينة النجاة في وسط الرياح الهوجاء ، والأمواج المتلاطمة .

والداعي إلى الله هو المبلغ للإسلام ، والمعلم له ، والساعي إلى تطبيقه ، وهو الذي يدل الناس على ربهم ، ويجدو بهم لتطبيق مبادئ الإسلام ، التي هي — في خلاصتها — دعوة إلى مكارم

الأخلاق ، وإقامة العدل بين الناس .. ومن ثم كانت الدعوة من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله ، ولذلك اختار الله للقيام بها صفوة الخلق وأحبهم إليه وهم الأنبياء والمرسلون ، وأقرب الناس إليه تعالى بعدهم أمثلهم بهم طريقة وأشبههم بهم سلوكاً في العلم والعمل .

ومكانة الداعي في الإسلام مكانة عظيمة ، وقوله في الدعوة أحسن الأقوال في ميزان الله الذي هو أصدق وأعدل الموازين، قال سبحانه: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (فصلت/ ٣٣) .

و الدعاة إلى الله هم أتباع النبي صلى الله عليه وسلم على الحقيقة، فقد أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم داعياً إليه ودالاً عليه إلى الأولين والآخرين، وأمره بالدعوة وبالبشارة



والندارة، والقيام بأمر هذه الدعوة وهذا الدين، فشمر (صلى الله عليه وسلم) عن ساق الجد، وقام بالدعوة إلى الله أتم قيام، وجاهد في ذلك أعظم الجهاد، ودعا إلى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وصدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم، فدعا إلى الله الصغير والكبير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، والأحمر والأسود، والجن والإنس، ولما صدع بأمر الله، وصدع لقومه بالدعوة وناداهم بسب آلهتهم، وعيب دينهم، اشتد أذاهم له، ولمن استجاب له من أصحابه، ونالوهم بأنواع الأذى، وابتلي أعظم البلاء فصير أعظم صبر عرفته الإنسانية حتى قال عليه الصلاة والسلام: [لقد أُخِفْتُ في الله وما يخاف أحد، ولقد أُوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين ليلة ويوم ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال] (الترمذي في الشمائل المحمدية وابن ماجه).

وقد ورث الدعاة إلى الله — من علماء وغيرهم — هذا الأمر كله عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وسلوكوا هذا الطريق فكانوا هم بحق أتباعه، وحملة رسالته، وأصحاب دعوته، والسالكين في سبيله كما قال عنهم في كتاب الله: (( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين )) (يوسف: )

ولأهمية الدعوة والدعاة كانت هذه الوصايا لدعاة الإسلام لا لغيرهم، إلى الذين يمنحون للحياة جمالها ومعناها ومغزاها.

هم الثقل الذي يمنع الأرض أن تميد.ستعوج الحياة وتغيب المروعة بغيابهم ففي غياب دعاة الإسلام اليوم عن الصدارة صار غير الأعزة فيها، فترى تبعية للدول الكبرى، وخوفاً من يهود، وترقيعا فكريا، وانهمزامية نفسية.

ومن هنا كانت هذه الوصايا.

وصايا... تبصرهم بفقهِ الدعوة وتجارب العمل الإسلامي..

وصايا ترفع من مستواهم الإيماني.

وصايا تفقههم في دينهم ودنياهم.

وصايا لتكتمل شخصية الداعي وتكتمل الدعوة.

وصايا جمعتها من بين ثنايا الكتب الدعوية وكتب فقه الدعوة، ومواقع الانترنت الإسلامية.

وصايا قد تطول بعضها وقد تقصر، وبين أيدينا المائة الثانية من هذه الوصايا .

أَسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن سخرهم لنشر دين الله جل جلاله ولرفع راية الإسلام ولتكثر الخير ولتقليل الشر، إنه سبحانه أكرم مسؤول كما أسأله جل وعلا أن يوفقنا جميعا إلى التعاون على البر والتقوى، وأن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر نستن بسنة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونتعاون على نشرها، وندعوا الناس إلى الله جل وعلا دعوة خالصة من الشبهات والشهوات.

كما أسأل الله أن ينفع بهذه الوصايا وان يجعلها صالحة ولوجهه خالصة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفقير إلى عفو ربه

أمير بن محمد المدري

إمام وخطيب مسجد الإيمان - اليمن - عمران

[Almadari\\_1@hotmail.com](mailto:Almadari_1@hotmail.com)

## ١- خطأ الاحتجاج بزلات السلف

بل تهدرها هدرًا، فإن العصمة لم تكتب لهم وإن كانوا نجباء، فإن مما أدخل الفساد على الخلق في مشاهدات ذي النون المصري الزاهد إنهم:

(جعلوا قليل زلات السلف حجة أنفسهم، ودفنوا كثير مناقبهم) (١).

وصدق والله، إذ رأينا ما رأى، كأن سميت الناكثين على مدار التاريخ واحد متشابه، وراقبنا فتنة جادل المفتتن فيها أميره، ورد عتبة، فقال:

أنت لست أفضل من عثمان رضي الله عنه حتى تحرم الخروج عليك، ولا أنا وصحبي أفضل من فلان وفلان ممن خرج على عثمان حتى نتتره عن فعل فعلوه.

وهذا لعمره الله هو الفقه الأعوج الأعرج، فإن تلك أمة قد خلت لها ما كسبت، ولنا ما نكسب، ولا نسأل عما كانوا يعملون، وهذا المجادل لم يفطن إلى أن الخطأ لا يصلح أن يقتدى به، وأن الشر لا يقلد، وأن جمهور المهاجرين والأنصار لبثوا في ساعة العسرة على الطاعة والولاء لعثمان، لكنه منعهم من الدفاع عنه.

ولمثل هذا اشتراطوا الورع للفقهاء، كي ربه نور ورعه عوار الحجة الكاذبة الساترة لخطئها، وشبهوا نموذج الفقه الفطن بالتابعي محمد بن سيرين، وذلك حين جزم مورق العجلي أنه لم ير:

(رجلا أفقه في ورعه، ولا أروع في فقهه، من محمد بن سيرين) (٢).

فالورع لا بد له من فقه يعصم صاحبه من الابتداع ومجانبة السنة، كما أن الفقه لا بد له من ورع يبعد المتفقه عن الهوى في الاجتهاد أو الوقوع في تغيير الزلة.

فأفعال الرجال معروفة، منها المنتصبة انتصاب المنار، تدعو المشمرين لاقتداء، فيعرفونها، ومنها المائلة العوجاء.

وذو الصدق لا يرتاب، والعدل قائم على طرقات الحق، والشر أعوج.

(١) الغنية لعبد القادر الكيلاني ١٨٤/٢.

(٢) تهذيب التهذيب ٢١٥/٩.

## ٢- تعليق التضحية على أمر القادة

إن مبادرة الداعية إلى التضحية بروحه، بلا استئذان الأمير، مهدورة القيمة عند الفقهاء، مجردة من الفضائل، وربما كانت إثماً إذا نتج عنها توريث الدعوة بما لم تحسب له حساباً، وتكون عندئذ فتنة كبقية الفتن.

فقلة إدراك بعض متحمسة الدعاة لأصول العمل، وجهلهم بالواقع الذي يحيط بهم، يؤدي بهم أحياناً إلى فهم التأيي والتربية المرحلية أو الحذر في الانتقاء على أهمها ببطء قيادي وخوف وإحجام عن الإقدام، فيخرجون إلى تمهورات ومجازفات يؤكد النظر التحليلي فشلها ابتداءً، وينفون معنى الافتتان عنهم، لما هم فيه من تعريض أنفسهم إلى مخاطر قد تصل إلى بذل الروح.

وإنما هو ظن بعيد توهموه، ولو أرادوا مصلحة الدعوة خالصة من دون موافقة الخفي من شهوات أنفسهم لأعدوا لعملهم عدته الاستشارية، ولحرصوا على انتماءاته الخططية، ولكنهم قوم يستعجلون.

ولقد سئل الفقيه التابعي الجليل نافع المدني رحمه الله، مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ووارث علمه، عن تضحية لا يجرؤها أمر قائد ولا توجبها خطة، فقبل له:

(هل يحمل الرجل إذا كان في الكتيبة بغير إذن إمامه؟)

فقال: لا يحمل على الكتيبة إلا بإذن إمامه (٣).

وهذا جواب صريح: أن المسلم المنتمي إلى كتيبة إسلامية لا يهجم على كتيبة العدو إلا بإذن قائدها.

وظل هذا الفقه يحكم التضحيات، وينظم صرفها قروناً طويلة، حتى أخذ ابن قدامة الحنبلي، أحد أعلام الفقه المقارن، فقال:

(لا يخرجون إلا بإذن الأمير، لأن أمر الحرب موكل إليه، وهو أعلم بكثرة العدو وقتلهم ومكان العدو وكيدهم، فينبغي أن يرجع إلى رأيه، لأنه أحوط للمسلمين) (٤).

(٣) مسند الإمام أحمد، حديث رقم ٤٨٧٣.

فإذا كان هذا هو الأصل، فمن باب أولى أن يمتنع الذي هفا أول مرة واستعجل وأخطأ فصدر له الأمر بالامتناع، فإنه يظل في استثناء، حتى أن الأمر اللاحق الذي يستنفر الجميع لا يشمل، إلا أن يأذن له القائد إذنا خاصا يلغي منعه الأول، فقد:

(سئل الإمام أحمد عن الإمام إذا غضب على الرجل فقال: أخرج، عليك ألا تصحبي، فنادى بالنفير، هل يكون إذنا له؟

قال: لا، إنما قصد له وحده، فلا يصحبه حتى يأذن له) (٥).

فلا يباح للمطروود من صف الجماعة، ولا لعموم الدعاة، أن يتحركوا وفق اجتهادهم أبدأ، لشمول الخطر الناجم عن أخطائهم المحتملة وتعيده إلى كل المسلمين، وكم من مشكلات أتت من قبل صاحب هوى، غوى، فطرد، فأراد التعويض من طريق يظنه قصيراً، ففشل، فأتعب الناس من بعده.

إن البيعة توجب طاعة الأمير في كل خطوة.

(إلا أن يتعذر استئذانه، لمفاجأة عدوهم لهم، فلا يجب استئذانه، لأن المصلحة تتعين في قتالهم، والخروج إليهم لتعين الفساد في تركهم.

ولذلك لما أغار الكفار على لقاح النبي -صلي الله عليه وسلم- فصادفهم سلمة بن الأكوع خارجاً من المدينة تبعهم، فقاتلهم من غير إذن، فمدحه النبي -صلي الله عليه وسلم- وقال: خير رجالتنا: سلمة بن الأكوع) (٦).

فافهم أيها المتحمس، وانتظر، فإنما لك من أجر الرباط مثل الذي تظنه من أجر الزحف، وانظر كمينا نصبوه للسذج، يغريهم ويمنيهم برئاسة زحف موهوم.

(٤) المغني ٣٦٤/٨.

(٥) المغني ٣٦٤/٨.

(٦) المصدر السابق.

### ٣-قيادة الباطل مثلية، كما أن جندي الحق منقبة

قيادة الباطل ليست بشيء، ولا لها في العرف والإسلامي قيمة، وإنما هي مجردة من الفضائل، حتى إن نفس صاحب المروءة لتعافها فطرة، وتعتبر إيرادها موضوع مساومة وثن تأييد من أكبر الإهانة.

وهذا النور أوقده قاضي البصرة المحدث الثقة عبيد الله بن الحسن العنبري المتوفى سنة ١٦٨هـ، فكأنه قد دعى إلى خروج عن الطاعة بتمنية من خلابات الرئاسة، فأبى وقال:

(لأن أكون ذنبا في الحق: أحب إلى من أن أكون رأسا في الباطل) (٧).

وما زالت البيعة تميز بين الاثنين هنا، تصف المطيع ومن بويع بالحق، وتضع ناكثها في صف المبطلين.

وإنما ديدن المسلم: الأجر من رب العالمين، والأجر لا يأتيك إلا أن تتملق له بفرض و مندوب ومستحب ومكارم أخلاق، وللوفاء نسب مع كل هذه الدرجات.

### ٣-أقوال الحق الصادقة لا تكفي لتزكية قائلها تزكية مطلقة

قد يتكلم المبطل بكلام من الحق يريد به باطلا كما قال أمير المؤمنين عي رضي الله عنه، وربما يصدق الكاذب، ولكن المعول عليه: سلوك القائل وتصرفه.

وكم من كلمة هي من الحق الذي لا شك فيه يوجب الورع السكوت عنها في وقت معين أو تجاه سامع معين، سداً للذريعة، أو ترجياً لمصلحة أخرى تراحمها، من تأليف قلوب، ومراعاة لمستوى الفهم، وغير ذلك.

وفي قصة أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان السارق تأكيد لهذا المعنى الذي نقوله، من اعتبار سلوك القائل في الحكم عليه، فقد أخرج البخاري في مواضع من صحيحه بلفظ المتابعة غير الموصولة عن شيخه عثمان بن الهيثم بسند صحيح إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلي الله عليه وسلم- وكله بحفظ الطعام المجتمع من زكاة الفطر في رمضان، فأتاه سارق فجعل

يحثو من الطعام، فأمسك به أبو هريرة، فاستدر عطفة، فأطلقه، ثم جاءه ثانية فأطلقه أيضاً، فلما جاءه في الليلة الثالثة قال أبو هريرة:

(لأرفعنك إلى رسول الله -صلي الله عليه وسلم-، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود:

قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها.

قال: أبو هريرة: قلت: ما هو؟

قال: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، حتى تختتم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح.

قال أبو هريرة: فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: ما فعل أسيرك البارحة؟

قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله.

قال: ما هي؟

قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي من أولها حتى تختتم: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح.

وكانوا أحرص شيء على الخير.

فقال النبي -صلي الله عليه وسلم-:

أما أنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟

قال: لا.

قال: ذاك شيطان(٨).

(٨) صحيح البخاري ١٢٦/٣ طبعة صحيح.

قال ابن حجر:

(وقد وصله النسائي والإسماعيلي وأبو نعيم من طرق إلى عثمان المذكور)(٩).

ففي هذه القصة مع طرافتها دليل واضح على أن صاحب الشر المبطل قد يتكلم ببعض ما هو حق ويتستر به ليصل إلى مراده، فيجب على الداعية المسلم المرتقي لمدارج الفضل أن لا ينخدع إذا أته شياطين الإنس تريد أن تسرق ما معه من عمل صالح وتحثو منه في جعبتها الفارغة لقاء ثمن من الكلمات التي تدلل فيها تلك الشياطين على أن لها بعض الحق، بل يكون متيقظاً ناظراً لما تخفيه من أحوالها الباطلة، وشاعراً بما تبنيه على ذلك الحق الجزئي من نتائج باطلة، فيمسك الداعية بما من معاصمها بقوة، ويسلمها إلى ولي الأمر، ليمنع شرها عن قافلة الخير.

#### ٤- سوء الرؤساء دليل ضرر المجموعة

وهو نور قرشي أصيل، أوقده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما خرج يوماً إلى طرقات المدينة، فرأى مالكا الأشر وصحبه يحاصرون عثمان بن عفان رضي الله عنه يريدون قتله، فقال: (والله، إن أمراً هؤلاء رؤساؤه لأمر سوء)(١٠).

وهذا ميزان مهم غالباً ما ينسأه الذين يتعاملون مع الجماعات، ولو فطن له المخلصون لما انخدع أحد منهم بفتنة مفتتن يرفع عقيرته ببعض الحق الذي يريد من ورائه الباطل، فإن كل حزب أو جماعة أو كتلة سياسية أو فكرية تصطبغ في كثير من سياساتها الاجتهادية بأراء قادتها حتى ولو وجد نظام معين ومفهوم مدون لتلك الجماعة، إذ لا يحصر الأساليب جميعاً نظام، ولا يحيط بالمعاني كلها تدوين، ولا بد أن يبقى للاجتهاد الدور الرئيس الأول.

كما أن روح التقليد عند الأتباع، المؤدية لاستيعاب الإملاء الذي يملي عليهم تضعهم في حالة انشداد للرؤساء، تتضاعف قوتها طردياً مع قابليات الرؤساء الفطرية، من ذكاء وشجاعة وقوة صبر على كثرة التحرك، ومع العوامل المساعدة لها، من تقدم في السن، أو قصة بطولة سابقة، أو نسب عريق، أو بلاغة لسان وقلم، إن لم يكن هناك شيء من التدليس وتسخير من ييث المدح

(٩) فتح الباري ٣٩٢/٥ طبعة البايي.  
(١٠) طبقات ابن سعد ٧٢/٣.



لهم. ومن أجل هذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مقالته المشهورة (أخوف ما أخاف على أمتي من عالم باللسان جاهل بالقلب).

لكل ذلك لم يكن الفصل بين شخصيات قادة تجمع ما وبين تجمعهم كله سهلاً ميسوراً وإن عدد له في الفكر بنوداً ودون لعلمه دستوراً، بل الصواب الذي ينبغي على المدعو لمناصرة جماعة ما أو دخولها أن ينظر الرؤساء، فإن وجد ثمة أسواء ومثالب ظاهرة أو يرويها الثقات عنهم:

توقف وتهيب وأخذ حذره، وأعرض عن كلام جميل يدور على ألسنتهم لعل الخدعة تقتضيه، كما اقتضت خدعة الصياد أن يقلد أصوات الطيور ويصفر. يمثل صفيها لتتزل وتحط على شباكه المنصوبة.

وقد يرد العكس على جماعة خير تنادت لصلاح تحت قيادة ثقات، مع أن انفرادها دون جماعة خير سبقتها يعد أمراً مفضولاً وليس فاضلاً إن لم يكن لها مسوغ قوي يميز تفردتها، ولكن هذا العكس لا يرد أبداً على جماعة فتنة، تناجت ونكثت بيعة وانحازت إلى جانب وقدمت بعض أهل الفضل لها صدوراً، إذ المقياس يختلف هنا، ولا تمحو فضائل متعددة هفوة النكث الواحدة، وغاية أمر الصدور: أن نحكم عليهم بأنهم بسطاء سذج وقعوا فيا الخلافة فصاروا لا يصلحون كقدرات وإن لم يتعمدوا الإساءة.

## ٥- الحرص على نجات النفس

فإن الإمارة أمر شديد، من لم يستطع الوفاء بلوازمها قد يتعرض يوم الحساب لنقاش دقيق، وكل إنسان خبير نفسه، ويفترض فيه أن يقدر تقديراً صحيحاً قدرته الفطرية على قيادة قومه ومدى دخل الظروف المحيطة به وظروفه العائلية والمعاشية والصحية في أدائه لدوره، فمن ساق نفسه إلى رئاسة وهو يعلم أن في الجماعة أفضل منه وأمهراً، وأنه سيسبب ضياع فوائده، ويعجز عن سد ثغرات محتملة: فقد ظلم.

ولهذا خاطبك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، يسألك الرفق بنفسك من غد لا تدري عظيم غضب الله عليك فيه، فقال:

نفس تنجيها: خير من إمارة لا تحصيها)(١١).

إذ الإمارة تحتاج إلى إحصاء من أطرافها، ورعاية وحسن أداء، وأنها خزي وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها، ولا يصلح لها من كان على مثل ضعف أبي ذر رضي الله عنه ولو كان على مثل ما كان عليه من صدق اللسان وجمال العبادة.

وهذا المقدار هو من العلم الذي لم نر له في طلاب الرئاسة جاهلا، لكنهم يؤخذون ويفتق عليهم من باب التقليد والمحاكاة، وقول: ليس فلان أفضل مني: فإن أحدهم يرى التنافس في الرئاسة يشغل اقرانه، ويظل يرقب ما يشجر بينهم، حتى ينسى معاني علمه، ويتأثر بمنظر التنازع دون قول فقه الدعوة.

وإنما كان خبير الفتن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يتخوف من مثل هذا، ويعده باب ما بعده من الإرتكاسات، فقال:

(إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون).

هذا من مجرد الرؤية والمراقبة، فكيف إن اجتمع معها ترغيب وتشجيع ووصف لذات وجدوها؟ لا شك أن مخالفة العلم ستكون أسرع، والاستجابة أكثر احتمالا.

ولذلك دعاك الزاهد يحيي بن معاذ إلى الاعتصام بميزان ثالث في هذا الموطن تميز به صدق الخطيب الذي يدعوك فجزم لك بأنه:

(لا ينصحك من خان نفسه).

فالمنازع في الرئاسة، الملحاح في نزاعه، قد ورط نفسه، وأضعف احتمالات نجاحها، وتلك خيانتها لها، فكيف يرتاد لك الخير من بعد؟

فانظر ناصحك، وسائل قلبك: هل خان نفسه ثم أتاك، أم لا زال يكتال الحسنات؟

فإن كان ناصحًا لنفسه: عرضت مفاد نصيحته على أنوار الفطنة لتؤيدها أو تكشف سذاجتها. وإن كانت الأخرى: أعرضت.

وإلا، فإن الزيعة الأولى منك تجلب ثانية رغما عنك، فإنها العقوبة الربانية: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ).

وسعيد بن جبیر إمام التابعین ینذرك:

(إن من ثواب الحسنة: الحسنة بعدها، وأن من عقوبة السيئة: السيئة بعدها)(١٢).

فالزيغ ولود، كما أن الإحسان ولود ودود.

لابد من ذلك، حتى قال فقيه المدينة عروة بن الزبير بن العوام.

(إذا رأيت الرجل يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات. وإذا رأيتك يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات)(١٣).

فتوالي عثرات المصغى لخائن نفسه، حتى لقد رأينا في بعض البلاد رأي العين من طلب ذرورة الرئاسة على قوم دعاة قد تراجع إلى الخلف بتدريج لما لم يحصل له مراده، فترك الأمر بالمعروف أول مرة، ثم ترك المسجد، ثم ترك نفس الصلاة واكتفى بالجمعة، ثم ترك الجمعة، ثم أفطر رمضان، ثم أصبح يغيظ في نهار رمضان من يمر أمامه من الصائمين ينفث الدخان قرب وجوههم.

أفغير العقوبة أحاطت به؟

وهذا ما يدعوك إلى أن تفقه بدايات الفتن المقبلة من النظر إلى نهايات الفتن السابقة، فإنه قل من نجا من تراجع بعد الإفتتان.

(١٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/١٠.

(١٣) تهذيب التهذيب ١٨٣/٧.

## ٦- تمييز الغايات الصدامية في مساجد الضرار

كما ميزها الذين سبقونا في الانتماء إلى هذه الدعوة المباركة وعاصروا ذروة نشاطها قبل أن تمتحن ورأوا كيف يعمل أعداء الإسلام على تسقط أبار المخالفين، فيدسوا إليهم من يؤزهم أزا زائداً، ويعيب عليهم القعود عن الانتقام، ويحملهم على تجميع كل حانق في كيان منافس يرصد نفسه للمناوشة وتثبيط الجدد، ثم يتم اختيار اسم كبير ضخم لكيانهم يحاولون من ورائه تحويل الانتباه إليه.

وإنما هي مساجد الضرار يعاد بناؤها، بمهندسة جديدة ولون مبتكر، لها إلى مسجد الضرار الأول نسب، ومع تاريخه ارتباط.

ويسألون: كيف تكون لنا جراءة على هذا الاتهام ودعوة الإسلام ليست حكرًا على أحد، بل لكل مسلم أن يتجمع ويعمل كيف يشاء؟

ولسنا بحمد الله للعمل حاكرين، ولكن يبطل عجب المسائلين فحصرهم لأطوار عمل من ننسبهم إلى الضرار، إن كان تأملهم لواقع المسلمين يحملهم على مصادرة حركات الإلحاد وأحزاب العمالة وتبليغ معاني الإسلام إلى السائلين اللاهين، أم هم قد عافوا أولئك وحاموا حول دعاة الإسلام ومناصريهم يصادموهم ويشبطون، ويجادلونهم فيلهون؟

إن جماعة تدعي الإسلام، ثم تترك المجتمع الماجن والمنكر المستشري، والشباب الضائع، وتوجه إلى المصلين والملتفين حول دعاة الإسلام تزين لهم الانتساب إليها، وتلح في تهوين أمر الدعاة الآخرين، ورميهم بالاستبداد والافتقار إلى الوعي، لهي أخرى الجماعات باسم مسجد الضرار.

ومن ذا الذي في قلبه ذرة إيمان وألم على المصير الذي آل إليه أمر المسلمين ثم لا يفرح ويهش وييش لأقوام يعالجون المرض ويستدركون الانفراط، وإن خالفوه في الاسم والأسلوب؟

ولكننا نعيب الصدام، وإلهاء العاملين، وندعو الذي لم يعجبه أسلوبنا واجتهادنا ويحاول العمل في جماعة أخرى إلى أن ينظر: أهي في تبشير وإنذار بمعاني الإسلام في الأوساط العامة وعلى اتصال بأفراد أهملهم الغير، أم تركت أولئك وأوساطهم والتفتت نحو مسلمين يعملون في مقاومة الفساد، تماريهم، وتحصى لمهم وتلبسه لباس الكبائر؟

فإن كان ديدنها الصدام: توقف وأحجم وربأ بنفسه عن أن يشارك في إشغال السائري، وإن وجد خيراً: نظر الأمر ثانية على أضواء أنوار الفطنة الأخرى، عسى أن يكون الخير مفضولاً أو محفوظاً بخاطر سوء الرؤساء.

إننا نقولها صريحة: إن من الأهمية بمكان أن يعرف كل من يريد المساهمة في النشاط الإسلامي أن المسجد الضرار النفاقي الأول:

(ما يزال يتخذ في صور شتى تلائم ارتقاء الوسائل الخبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين. تتخذ في صورة نشاط ظاهرة للإسلام وباطنة لسحق الإسلام، أو تشويهه وتمويهه وتميعه! وتتخذ في صورة أوضاع ترفع لافتة الدين عليها لتترس وراءها وهي ترمي هذا الدين! وتتخذ في صورة تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام لتخدر القلقين الذين يرون الإسلام يذبح ويمحق، فتخدرهم هذه التشكيلات وتلك الكتب إلى أن الإسلام بخير ولا خوف عليه ولا قلق. وتتخذ في صور شتى كثيرة) (١٤).

كذلك فإن من الخطورة بمكان أن يعطي المخلص أذناً صاغية منه لمن كان في مسجد ضرار ولم تشتهر له توبة حتى ولو انفرط عقد أصحابه واهدم بنيانه وظن المخلص أنه سيتعامل مع فرد لا يستطيع الإضرار، فإن النفس تبقى موتورة خانقة غاضبة.

فيومها لما هدم الله الضرار الأول بأيدي المؤمنين: بقيت ريبته في صدورهم، فقال الله تعالى بعد انهياره:

(لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

وهي إشارة إلى طبيعة أصحاب كل ضرار، في كل زمان، بعدما يهدم الله بنيانهم.

فلقد انهار الجرف المنهار، (ولكن ركام البناء بقي في قلوب بناته. بقي فيها ريبة وشكا وقلقا وحيرة. وسيبقى كذلك لا يدع تلك القلوب تطمئن أو تثبت أو تستقر. إلا أن تقطع وتسقط هي الأخرى من الصدور.

وأن صورة البناء المنهار لهي صورة الريبة والقلق وعدم الاستقرار.



تلك صورة مادية، وهذه صورة شعورية، وهما تتقابلان في الواقع البشري المتكرر في كل زمان. فما يزال صاحب الكيد الخادع مزعزع العقيدة، حائر الوجدان، لا يطمئن ولا يستقر، وهو من انكشاف ستره في قلق دائم، وريبة لا طمأنينة معها ولا استقرار<sup>(١٥)</sup>.

## ٧- مضاعفة الحذر من فتن آخر الزمان

نحن أقرب إلى الساعة مما كان عليه المسلمون قبل أربعة عشر قرناً حين نزل قول الله تعالى: (اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) وهذه علامات تترى، وليس بأخرها، تطال الحفاة العراة في البنيان، وتوسيد الأمر إلى غير أهله، ولفائف كأسمه البخت المائلة فوق رؤوس الكاسيات العاريات.

وفي الحديث الصحيح أنه:

(لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى) (١٦).

وبصري قرب الجولان جنوب دمشق.

وقد تحدث مؤرخ المدينة السهمودي عن نار عظيمة التهب من باطن الأرض وسالت أياماً قرب حرة المدينة الشرقية سنة ٦٥٤هـ حتى جمدت حجارة سوداء، وكان نورها يشاهد من أطراف الحجاز، وشهد رعاة الإبل ببصرى أن إبلهم حصل لها التفات غريب لا يدرونه<sup>(١٧)</sup>.

فإن لم تكن هذه النار هي المقصودة في الحديث فإن ناراً وشيكة الخروج بالحجاز ستصاحب اكتشاف حقول النفط فيها بعد العزم على التنقيب وازدياد احتمالات وجود النفط حالياً قد تكون هي النار التي ستمد لها أعناق الإبل ببصرى، والله أعلم.

وللمحدث الهندي صديق حسن خان كتاب (الإذاعة لما كان وسيكون بيدي يدي الساعة)، جمع فيه علاماتها، وقد أعيد طبعه.

<sup>(١٥)</sup> المرجع السابق.

<sup>(١٦)</sup> صحيح مسلم ١٨٠/٨.

<sup>(١٧)</sup> رسائل في تاريخ المدينة، نشرها حمد الجاسر.

وليس للمؤمن إلا أن يصدق ويوقن بقرب الساعة، وإن كان ذلك لا يغنيه عن الأخذ بالأسباب والعمل بظاهر الشرع، فإنه لا يدري ما بين العلامات وبين قيام الساعة من زمن ومدة.

والمهم الذي يجب أن يفطن له الداعية أثناء انتباهه لإحصاء علامات الساعة ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلة الإيمان واضمحلاله عند اقتراحها، فيأخذ حذرًا مضاعفًا إزاء كل سبب تواترت عند المؤمنين كثرة تأديته إلى ذلك الاضمحلال.

ومراقبة تواريخ الفتن ومصائر المفتنين يرينا ترديا كثيرًا ما سار فيه الخارج عن الجماعة، ووصل به أخيرًا إلى ترك الصلاة والتنصل من الالتزامات الإسلامية.

ولذلك وجب أن يجفل الداعية من اسم الفتنة، ويقشعر جلده من كل نداء عصيان لأوامر الجماعة وخطتها، ألا يسير في طريق ضمور والإيمان في ظرف مساعد من طبيعة آخر الزمان، حيث (تكثر الفتن) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كيف لا والنفاق في آخر الزمان يعم الاقطار حتى يغزو نفس المدينة المنورة التي هي معقل الإيمان وداره؟

ففي الحديث الصحيح:

(إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)(١٨).

ولكن مع ذلك فإن أهلها لا يستطيعون في آخر الزمان الثبات على إيمانهم، فيتركونها استكبارًا ونفاقًا وهي على أحسن ما تكون من وفرة الثمار والعمران، ويأبون أن يجاوروا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أن يوصفوا بأنهم من سكنة المدينة، والعياذ بالله.

وقد ورد الخبر الصحيح بذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العواف، يريد: عوافي السباع والطيور.

وآخر من يحشر: راعيان من مزينة يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما، فيجداهما وحشًا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع: خروا على وجوههما).

## وصايا للدعاة



(وروى مالك عن ابن حماس عن عمه عن أبي هريرة رفعه: لتتركن المدينة على أحسن ما كانت، حتى يدخل الذئب فيعوي على بعض سواري المسجد أو على المنبر، قالوا: فلمن تكون ثمارها؟ قال: للعوافي: السباع والطير.

أخرجه معن بن عيسى في الموطأ عن مالك، ورواه جماعة من الثقات خارج الموطأ).

(وروى عمر بن شبة بإسناد صحيح عن عوف بن مالك قال: دخل رسول الله المسجد، ثم نظر إلينا فقال: أما والله ليدعتها أهلها مذلة أربعين عاماً للعوافي).

وعمر هذا ثقة، وهو:

(عمر بن شبة بن عبيدة.. البصري، النجوى الأحمدي نزل بغداد.

قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي وهو صدوق صاحب عربية وأدب.

وقال الدارقطني: ثقة.

وذكره ابن حبان في الثقات وقال: مستقيم الحديث).

أفرايت؟

أهناك أشنع من هذه الفتنة وأكثرها منها هولاً؟

منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الذئب فيعوي عليه! وسواري مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي صلى عندها كبار الصحابة وأفاض الأعيان يعوي عندها الذئب!

فإذا كانت مثل هذه الفتنة العارمة تحدث في موطن الإيمان ولا يسلم منها مؤمنو المدينة، فكيف بمقدار الخطر الذي تفتحه علينا الفتن في غيرها من البلاد؟

إن الداعية يعتبر، ويدع الكثير مما يراه بعيداً عن البأس خوفاً أن يكون باباً وذريعة توصله إلى ما به البأس.



ولفؤاد البصير رجفة مميزة عند ذكر هذه الأخبار، تلجئه ولا بد إلى حذر مضاعف يحفظ به ثروة الأعمال الصالحة التي حازها من خلال نشاطه غاديا ورائحاً في مصالح الدعوة، ألا يبددها في صفقة غابنة، مع صرخة فاتنة.

## ٨- الاتعاظ بالتاريخ

إن التاريخ يكشف لنا عن دور اليهود في تجريح القيادات المسلمة كلما رأوا نجاحها وفشل أساليبهم الأخرى في محاربة الإسلام، بل أصبح النيل من القادة، ومحاولة تحطيم مكانتهم المعنوية في نفوس المسلمين، هو الأسلوب المفضل عندهم.

إنه (التماسك حول العقيدة القومية والقيادة الأمينة هو الذي يتعب اليهود وأعداء الجماعة المسلمة - في كل زمان - وهو الذي يكلفهم الجهد والمشقة، ومن ثم تتجه جهودهم أولاً لتحطيمه) (١٩).

وتوضح الفتنة التي حدثت زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه هذا الدور والتخطيط اليهودي جلياً، ودورانه حول محور واحد هو: إفساد طاعة الجنود لأمرائهم.

فقد كانت لعثمان رضي الله عنه اجتهادات في أمور بسيطة استغلها المغرضون في التشنيع عليه وإلباسها لبوس الإحداث في الدين، مثل إتمامه الصلاة في منى أيام موسم الحج، وحرق المصاحف التي تخالف مصحفه الذي دونه كبار قراء الصحابة بإشرافه، وإنهائه نفي الحكم بن أبي العاص ورده إلى المدينة بعد أن أبعد النبي - صلى الله عليه وسلم - عنها. وله خطبة أثبتتها ابن العربي في كتابه (العواصم من القواصم) بين فيها صواب اجتهاداته هذه .

ولكن اليهود رصدوا هذا الاختلاف البسيط في الصف المسلم، ففسدوا رجلاً منهم تظاهر بالإسلام، اسمه عبد الله بن سبأ، ليطور الخلاف إلى فتنة عارمة.

يقول الطبري في تاريخ:

(١٩) في ظلال القرآن ٤/٢٢٢.

## وصايا للدعاة



كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عنه أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر).

لكنه كان يتسقط خلال رحلته هذه كل سارق وقاطع طريق ومفسد نالته عقوبة من أحد الولاة فتوترت نفسه، ويواعدهم أن يكونوا بالمدينة أيام يكون الناس حجاجاً بمكة، لينقلبوا على عثمان والناس غافلون.

ووضع لهم خطة أوجزها بقوله لهم:

(أنهضوا في هذا الأمر، فحركوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تستميلوا الناس، وأدعوهم إلى هذا الأمر)(٢٠).

هكذا، باسم الأمر بالمعروف يكون الهدم.

إنها الخطة الدائمة لكل ذي هوى.

وباسم مصلحة الدعوة تتطور الخلافات اليوم إلى فتن.

ثم كان من ابن سبأ أن:

(بث دعائه، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولائهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون غير ما يبديون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء)(٢١).

وبهذا فسدت النفوس، وحن يوم انقلابهم، فإذا بهم حول دار عثمان يحاصرونها، ثم دخلوا عليه وانفردوا به ليأتوا بالعجائب!!

(١) تاريخ الطبري، الطبعة الأولى، القسم ٦/٤٦٤٦/٢٩٤٦/٣٠٢٠.

(٢) تاريخ الطبري، الطبعة الأولى، القسم الأول ٦/٤٣/٢٩٤٣/٣٠١٨/٣٠٢٠.

(فضربه الغافقي بحديدة معه، وضربه المصحف برجله، فاستدار المصحف واستقر بين يديه، وسألت عليه الدماء) (٢٢).

(فسال الدم على المصحف وهم في ذلك يهابون في قتله، وكان كبيراً، وغشى عليه، ودخل آخرون، فلما رأوه مغشياً عليه جروا برجله، فصاحت نائلة وبناته، وجاء التجيبي مخترباً سيفه ليضعه في بطنه فوقته نائلة، فقطع يدها، واتكأ بالسيف عليه في صدره، وقتل عثمان رضي الله عنه) (٢٣).

(وأما عمرو بن الحمق فوثب على صدره وبه رمق، فطعنه تسع طعنات قال: فأما ثلاث منها فإني طعنتهن إياه لله تعالى: وأما ست فلما كان في صدري عليه.

وأرادوا قطع رأسه، فوقعت نائلة عليه وأم البنين، فصاحتا وضربتا الوجوه، فقال ابن عديس: اتركوه، وأقبل عمير بن ضابئ فوثب عليه، فكسر ضلعاً من أضلاعه) (٢٤).

فيربك: أهذا خلاف بين مسلمين أم مجزرة شيوعية كمجزرة الموصل؟

هكذا أعداء هذا الإسلام دوماً.

يريدون قطع رأس الجماعة، وكسر أضلاع تنظيماتها، والمبرر: (الله) كما قال ابن الحمق!!

وبصيحة (الله) هذه ضاع ألوف من شباب الدعوة بالأمس القريب، وثبطت جموع، وكشفت أسرار، وملئت سجون.

ولو صدقوا لقالوا مثل ما قال ابن الحمق مستدركا: (ست لما في الصدر)!!

وأراد أهل عثمان دفنه.

(فلما سمعوا بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله وهم يديرون به حائطاً بالمدينة يقال له: حش كوكب، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما خرج به على الناس رجوا سريره، وهموا بطرحه).

(٢٢) تاريخ الطبري، الطبعة الأولى، القسم الأول ٣/٦ ٤٣/٢٩ ١٨/٣٠ ٢٠/٣٠.

(٢٣) تاريخ الطبري، الطبعة الأولى، القسم الأول ٣/٦ ٤٣/٢٩ ١٨/٣٠ ٢٠/٣٠.

(٢٤) الكامل لابن الأثير ٣/١٧٩.

ذلك أنهم منعوا دفعه بالبقيع وقالوا:

(والله لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً).

وقتل مع عثمان عبدان دافعا عنه، (فجر بأرجلهما، فرمي بهما على البلاط، فأكلتهما الكلاب).

فانظر كيف تطور الاعتراض على الاجتهادات إلى قتل، وكسر ضلوع، وتمثيل وطعنات ودفن في مقابر اليهود، وتقديم جثث أعزها الله وكرمها طعاماً للكلاب!!

فهل يأمن المخلصون إذا لم يسلكوا سبيل الاعتراض الصحيح اليوم ومالوا إلى تشهير وافتتان أن تنتهي اعتراضاتهم إلى أضرار كبيرة؟

لا والله، فإن من شأن الفتن دوماً أنها تتطور وتفلت السيطرة عليها، والفتن من وعظه التاريخ.

## ٩- الإعراض عن الجاهلين

إن الخارجين يديمون الاحتكاك بأفراد الجماعة كي يبقوا مادة لتماسكهم، ولا بد من تفويت مقصدهم بالسكوت وعدم الالتفات إلى تحرشهم، مع نظرة رافة ورحمة لهم تقود لسان أحدنا إلى أن يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

فمن أخلافه -صلى الله عليه وسلم- أنه كان لا يغضب لنفسه قط، وهذا يوجب على الداعية إن سمع كلمة تعريض به أن لا ينفعل، إن المكر السيء لا يجيق إلا بأهله، وقد قال الله تعالى عن نفسه (وهو يتولى الصالحين)، والإعراض عن الجاهلين معنى من معاني الصلاح قطعاً.

وليعلم الداعية أن مدافعة الخصوم لا تكون أشد من مدافعة الأعداء في ساحات القتال، والمدافعة في ساحة القتال لا تكون بالالتحام دائماً وإنما هناك الاختفاء والسكوت أيضاً، ولما نادى أبو سفيان المسلمين في معركة أحد بأعلى صوته: هل فيكم محمد؟ هل فيكم أبو بكر؟ هل فيكم عمر؟ لم يجبه أحد، مع أن الجواب كان أبعث للغیظ في قلب أبي سفيان من السكوت، ولكن الموقف كان يستلزم السكوت.

فإذا حصل مثل هذا في سوح القتال فحصوله في الحياة اليومية أولى.

إننا أصحاب دعوة أيها الأخوة، ولا يجوز أن نزل عن مستوى دعوتنا الرفيع إلى حضيض الترشق بردئ الكلام، ولا يعذرنا الله إذا تركنا هذا المستوى العالي الذي أكرمنا الله به بحجة أن غيرنا جرننا إليه، إذ المؤمن لا يترك درجة من درجات إيمانه باستغواء من شيطان أو بجهالة من جاهل، بل من الواجب أن نقول: الله اغفر لنا وله، واهدنا وإياه، ولا تجعل غضبنا لأنفسنا، ولا في عملنا شيئاً من أهوائنا.

## ١٠- كبت الإشاعة

بعدهما عاب الله إذاعتها في قوله:

(إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا).

(والصورة التي يرسمها هذا النص، هي صورة جماعة في المعسكر الإسلامي، لم تألف نفوسهم النظام، ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة المعسكر، وفي النتائج التي تترتب عليها، وقد تكون قاصمة، لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث، ولم يدركوا جدية الموقف، وأن كلمة عابرة وفتنة لسان، قد تجر من العواقب على الشخص ذاته، وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال، وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال؟ أو ربما لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا المعسكر.

وهكذا لا يعينهم ما يقع له من جراء أخذ كل شائعة والجري بها هنا وهناك، وإذاعتها، حين يتلقاها لسان عن لسان، سواء كانت إشاعة أمن أو إشاعة خوف، فكلتاها قد يكون لإشاعتها خطورة مدمرة، فإن إشاعة أمر الأمن مثلاً في معسكر متأهب مستيقظ متوقع لحركة من العدو... إشاعة أمر الأمن في مثل هذا المعسكر تحدث نوعاً من التراخي مهما تكن الأوامر باليقظة، لأن اليقظة النابعة من التحفز للخطر غير اليقظة النابعة من مجرد الأوامر، وفي ذلك التراخي قد تكون القاضية.

كذلك إشاعة أمر الخوف في معسكر مطمئن لقوته، ثابت الأقدام بسبب هذه الطمأنينة، قد تحدث إشاعة أمر الخوف فيه خلخلة وارتباكاً، وحركات لا ضرورة لها لاتقاء مظان الخوف، وقد تكون كذلك القضية.



وعلى أية حال فهي سمة المعسكر الذي لم يكتمل نظامه، أو لم يكتمل ولاؤه لقيادته، أو هما معاً، ويبدو أن هذه السمة وتلك كانتا واقعيتين في المجتمع المسلم حينذاك، باحتوائه طوائف مختلفة المستويات في الإيمان، ومختلفة المستويات في الإدراك، ومختلفة المستويات في الولاء، وهذه الخلجة هي التي كان يعالجها القرآن بمنهجه الرباني.

والقرآن يدل الجماعة المسلمة على الطريق الصحيح:

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ).

فمهمة الجندي الطيب في الجيش المسلم، الذي يقوده أمير مؤمن - بشرط الإيمان ذاك وحده - حين يبلغ إلى أذنيه خبر، أن يسارع فيخبر به نبيه أو أميره، لا أن ينقله ويذيعه بين زملائه، أو بين من لا شأنه لهم به، لأن قيادته المؤمنة هي التي تملك استنباط الحقيقة، كما تملك تقدير المصلحة في إذاعة الخبر - حتى بعد ثبوته - أو عدم إذاعته (٢٥).

## ١١- خوف تنكر الأرض والمؤمنين للخوائف

فكل امرئ لاقى الذي كان قدما، وكل امرئ يجزى بما كان ساعيا، وجل حصاد المرء من حيث يزرع.

فمن خالف الجماعة فإنه لن يجد إلا وحشة، حتى قال كعب التائب رضي الله عنه: (تنكرت لي الأرض فما هي بالتي أعرف).

(فتتنكر له نفسه حتى ما كأنه هو، ولا كأن أهله وأصحابه ومن يشفق عليه بالذين يعرفهم، وهذا سر من الله لا يخفى إلا على من هو ميت القلب) (٢٦).

(والخوف والهجم: مع الريبة، والأمن والسرور: مع البراءة من الذنب.

(٢٥) في ظلال القرآن ١٧١/٥.

(٢٦) زاد المعاد ٢٠/٣.

فما في الأرض أشجع من بري ولا في الأرض أخوف من مريب وهذا القدر قد ينتفع به المؤمن البصير إذا ابتلي به ثم راجع(٢٧).

وإنه لما يحرص عليه المؤمن العاقل أن يكثر من يجبه من المؤمنين، ويدعم محبتهم له حتى ساعة موته، ليصلوا على جنازته فيقولوا: اللهم اغفر لحينا وميتنا، اللهم اغفر لنا وله.

وهذا كما حرص عليه كعب بن مالك التائب رضي الله عنه، فإنه وصف نفسه أيام المقاطعة فقال:

(ما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي علي النبي -صلى الله عليه وسلم- ، أو يموت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأكون من الناس بتلك المترلة، فلا يكلمني أحد منهم، ولا يصلي علي) (٢٨).

فالذي لم تعجبه قواعدنا وموازيننا وأنوارنا السابقة، ويتأول لخلافه مع ذلك بعض التأويل، مدعو إلى أن يرهب مقاطعتنا له، ألا يموت من غير مستغفر له من الدعاء.

ذلك أن الفقهاء أجازوا لنا ترك السلام على مقارف الذنب، وترك رد السلام عليه، تأديبا له، وخلع البيعة، ونكث العهد، من أكبر الذنوب.

نعم، يجب أن نوقع هذه العقوبة بجذر بالغ، وبأمر الأمير لا بمبادرة من الأتباع، ولكن الفقه أجازها استثناء من الأمر بإفشاء السلام، لتعلقها بمعنى الردع والتأديب.

قال أبو داود:

(إذا كانت الهجرة لله فليس من هذا شيء، وإن عمر بن عبد العزيز غطى وجهه عن رجل).

قال: (وابن عمر هجر ابنا له إلى أن مات)(٢٩).

وقد خصص البخاري أكثر من باب في صحيحه لبيان جواز ذلك فقال:

(٢٧) المصدر السابق.

(٢٨) صحيح البخاري ٨٨/٦.

(٢٩) سنن أبي داود ٥٧٧/٢.

(باب: هل للإمام أن يمنع المجرمين وأهل المعصية من الكلام معه والزيادة ونحوه؟) (٣٠).

ثم أورد حديث الثلاثة الذين خلفوا كجواب على سؤاله، تدليلاً على الجواز:

وقال أيضاً:

(باب ما يجوز من المجران لمن عصي) (٣١).

وأورد حديث الثلاثة أيضاً:

وعلى ذلك مضى فعل العلماء، وعلى الأخص هجرهم لمن يبتدع.

بل كانوا يهجون أشقائهم، كما حدث للمحدث الصدوق الثقة أحمد بن حرب الموصلي، إذ:

(هجرة أخوه على المسألة اللفظ) (٣٢).

أي لقوله: لفظي بالقرآن مخلوق، مع أن قوله هذا تحتمله مذاهب أهل السنة، ولكن جهره به في وقت شاعت فيه بدعة خلق القرآن أجفل أخاه فانكر عليه، وهجره.

وكان إبراهيم بن المنذر الحزامي المدني من ثقات العلماء، ومن شيوخ البخاري وغيره، ولكنه أثناء محنة خلق القرآن لأن وخلط، فذمه أحمد، ولم يرد عليه السلام (٣٣).

ومن مثل هذا استل ابن تيمية مشروعية الجر للمخطئ وإن كان من أهل الفضل في جوانب أخرى (٣٤).

وكل هذا مما فصله الحافظ ابن حجر بتفصيل جيد، فقال: (ذهب الجمهور إلى أنه لا يسلم على الفاسق ولا المبتدع).

(٣٠) صحيح البخاري ١٠٢/٩.

(٣١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٧/١٠.

(٣٢) صحيح البخاري ٢٦/٨.

(٣٣) تهذيب التهذيب ١٦٧/٢٣/١.

(٣٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٧/١٠.



قال: (وقال المهلب -أحد شراح البخاري-: ترك السلام على أهل المعاصي سنة ماضية، وبه قال كثير من أهل العلم في أهل البدع، وخالف في ذلك جماعة).

(وألق بعض الحنفية بأهل المعاصي من يتعاطي خوارم المروءة، ككثرة المزاج واللهو وفحش القول والجلوس في الأسواق لرؤية من يمر من النساء، ونحن ذلك. وحكى ابن رشد قال: قال مالك: لا يسلم على أهل الأهواء، قال ابن دقيقة العيد: ويكون ذلك على سبيل التأديب لهم، والتبري منهم).

ثم قال: (وقال النووي: وأما المبتدع ومن اقترف ذنبا عظيما ولم يتب منه فلا يسلم عليهم ولا يرد عليهم السلام، كما قال جماعة من أهل العلم، واحتج البخاري لذلك بقصة كعب بن مالك).

قال (وهو مما يخص به عموم الأمر بإفشاء السلام عند الجمهور)(٣٥).

وليس ترك الجماعة والتزاع معها وعصيان أوامرها بأقل من هذه الذنوب التي ذكرها جمهور الفقهاء، والتحلل من الوفاء ببيعة واجبة من أكبر خوارم المروءة فوق كونه حراماً. فانظر لنفسك أيها المخالف.

إن كنت تتأول لنفسك وتأبى التواضع والإلتفات إلى عيب النفس، وتزوم النجوى، والجل، ولا تقيس حالك على التعرب بعد الهجرة، ولا تريد الاتعاض بالتاريخ، ولا تتقى طبائع آخر الزمان، فهلا ترفق بحالك إزاء مؤمنين سوف لا يسلمون عليك ولا يستغفرون على جنازتك يوم موتك؟

فاحفظ مصلحتك، وتواضع، وامش مع القافلة، نحفظ لك حقك ما دمت حيا، ونوصلك إلى قبرك باستغفار، ولا ندع النائحة المستأجرة تنفرد بنعيك!

## ١٢- ليكن لك أثر. مع قافلة الدعوة

كل مسلم مطالب بإبداء أثر في هذا الاستدراك، والمشاركة فيه بنوع من الخير، حسب استطاعته، ولا معنى لحياة إمريء سلمي، يرتع في هذه الدنيا: أكلا وشربا وتلذذا بالنساء،

## وصايا للدعاة

والمفكرون من حوله لا يحاول أن ييدي موقفه منهم، والسياسيون عن يمينه وشماله بين صالح وطلح يصطرون وهو يتفرج.

إن السلبية والانعزال والتفرج مع هي إلا تعابير مخففة مجازية بيأها عبد الرئيم بن الأخواة الشيباني الشاعر مفسر القرآن، ويعد ذلك موتا، فالمرء والسيف -عنده- ما لم ييدي أثراً: حي كميث، مسلول كمغمود.

وبلغ الرفاعي مبلغاً أقصى، فرأى وجود السليبي غير مبرر، وأنذرك بوجوب الجلاء، وأنك (إن لم تزد شيئاً على الدنيا: كنت أنت زائداً على الدنيا)(٣٦).

وذاك شأن لذعة القلب حين يكويه برود المسلمين، تنسيه اللذعة الألفاظ اللينة، ويغيب عن باله أنك لا تطيق الصراحة، فيقسو عليك وأنت لا تحمل!

فتعالى نتركهما، لنمر معاً على ذي رفق، لا يزيد على أن ينهك إلى أن إبداء أثر الخير صفة كبقية الصفات الإيمانية التي طولبت حواسك بها.

إنه يقرن لك رفقين، رفق المبني، ورفق المعنى، ويدلك على زادين..

فخذ لك زادين: من سيرة

ومن عمل صالح يدخر

وكن في الطريق عفيف الخطا

شريف السماع، كريم النظر

وكن رجلاً إن أتوا بعده

يقولون: مر، وهذا الأثر

وما نحسب أن المهم تتعاقد على أقل من هذا:

أن يكون لك أثر يطبعه قدمك مع الركب السائر، يمنحك حقاً في العب معنا من المؤمنين مصلين، أكتافهم في المساجد بأكتافنا، مازالوا يتأخرون عن المسير مع قافلتنا، ويسألون عن وجهتنا، وربما يتشككون، وما دروا أن قد سبقهم من سبق، وأن قد جد الرعيل في الرحيل، وإن المتأخر في الالتحاق: متأخر في الفضل.

أنشأت أسأله عن حال رفقته فقال حي، فإن الركب قد نصبا

إن أمرنا ليس بحاجة إلى سؤال من بعد ما انتشر شذانا، وعبق عطرنا، واستأنس كل مزامل لنا، بل هو التشمير، والحرص على إجابة دعوة إلى فلاح رفعا صوتنا بها، قد يمت قافلنا وجهها إليه، فوصل البعض: شهداء وآخرون: سائرون في الوعظ والتربية والتهيو، ومنا: الراكضون السجناء.

تجربة اليقظان وعبادة المحسان

ولكن.. احذر أيها الأخ المشمر..!

فإنه قد شرع لنا أن ننافسك في الخير وحجم الأثر، ولك أن توسع خطوك ما تستيع، وإلا فلسنا -إن سبقناك- بملمومين.

نعم، لن نحتكر الخير، بل نهبك بعد من غنيمتنا، حتى نغنيك، ولكن ليس من أخذ من فرع كمن أخذ الأصل، وليس من سمع الوصف كمن ذاق لذة اشتداد السياق.

وحضورك نشاطنا بحواسك أجمع: وتجردك النابذ لتطلعات الفضول: كفيلان بأن تنال يوما بعد يوم حكمة صافية تفهم بها قواعد العمل الحركي الإسلامي، غير مشوبة بوهم رواية ناقل، ولا جمود مقلد ليس له إبداع ونظرة تحليل.

ولسنا منك إلا بمتزلة الدليل، ويستطيع قلبك أن يزداد فقها لهذه القواعد بمقدار ما يحرص على المعنى الكامن في دلالتنا، دون طلب للفصاحة في الظاهر من ألفاظنا.

وهذا مبدأ في التفقه راسخ في العرف القديم قل أتباعه في الحاضر، وليست حاجة مجاوزيه له دون حاجة الأولين، ولقد وجدنا هماما من السلف يؤكد، فيوصيك أن: (لا تشتغل بالفصاحة والبلاغة، فإن ذلك شغل لك عن مرادك، بل افحص عن آثار الصالحين في العمل وواظب على الذكر).

وقوله إيجاز جيد لوصف طريق الدعاية المسلم نحو الوعي.

الفحص عن آثار الصالحين في العمل أولاً، وهي حروف محكمة متداولة في تعابير الأوس، تترجم في اللغة المعاصرة بدراسة تجارب الدعوة الإسلامية في العمل السياسي والتنظيمي والتربوي.

ولكن هذه الدراسة تستلزم خلفية من السكينة الإيمانية التي يطفى بردها حرارة التبعات الدنيوية، وهي المواظبة على الذكر، المشار إليها ثانياً، وتشمل معان متكاملة، من الزهد، والإحبات، والتواضع، في سلسلة من العبادات القلبية، تبطن بالداعية، لتمكنه خلال التأني من اعتدال التحليل، ودقة القياس، وصواب التعليل، مثلما تسرع به سموً نحو اندفاع جهادية.

فإذا اجتمعت المعرفة الإيمانية، مع الموازنة التجريبية: كان أمر الدعوة والداعية تاماً.

### ١٣- انتصار المؤمن المراغمة

تبدأ مسيرة الداعية لاكتساب هذه السكينة الإيمانية القلبية بصراع مع الشيطان متواصل، معاندة له، وعصيانيا لتزيينه، وإزاحة لتسلطه، حتى يجليه عن مواضع ستة يحتلها.

وتسمى هذه بمعركة المراغمة، قد كشف ابن القيم طبيعتها، ووضع خارطة موقعها، وبين المدارج التي يسلكها المؤمن لنيل النصر فيها على هذا العدو الذي يجري منه مجرى الدم.

وفي أول تماس في هذه المعركة الأبدية يحاول الشيطان أن يستغل عنصر المفاجأة، فيوقع في القلب شبهات الكفر الكامل، ويصرع بذلك أكثر البشر في كل جيل، إلا أن صراعه قلائل في اتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- بعد إذ تخالط بشاشة الإيمان القلوب، وهم أقل وأندر في المشين مع ركب الدعاة، وإن كان ثمة نكوص فإنما يكون بأوهام تصاحب التفلسف، تغرى باعتقاد وحدة الوجود، وأمثالها، إن هذا الوجود حقيقة إلهية واحدة، ليس ثم خالق ومخلوق.

فإن لم يظفر الشيطان بالمسلم هنالك: دعاه إلى شبهات من الابتداع، زيادة ونقصا في الاعتقاد والعمل، والمتورطون في ذلك من الأمة كثير، ولا يخلو مجتمع الدعاة من جديد لم يكمل فقهه، أو قدس لم يتمحض ومصاحبة الصحيحين تكفل البراءة وتجاوز بالداعية، تقر به نحو النصر.

إلا أن الشيطان طويل الأنفاس، فيقتحم على المسلم مزينا الكبائر من الشهوات، وله في ذلك انتصارات، لكن نمط التربية عند الدعاة جعلهم بحمد الله تعالى في حماية.

إنما صغائر الشهوات هي ساحة الشيطان الرابعة التي تتسع صولاته فيها، وما ينجو مسلم ولا يكاد، أما الغافل فيخرج طريقاً مثخناً بالجراح، وأما الداعية فقائم منافع، غير أنها الحدوش.

فيعرف الشيطان أن عليه أن لا يصادم الداعية جباهاً، إذ فيه من صفات الفطنة والذكاء فوق المهمة والحمية ما يتاح له بها التملص إن لم يتقن الطعان، فيجري على خطته التحوير، ويندس له بأسلوب الناصح، يحثه أن يستكثر من مباح لم يختلف الفقهاء في حله، لينغمس، فيثقل ويركن، فيبرد، ولذلك كانت التربية على معاني التقليل من المباحات الملهية من ضرورات العمل الحركي الإسلامي، فإن الدعاة ثلة مستنفرة أبداً، متأهبة للجهاد دوماً، ولا بد أن تكون سريعة الاستجابة لمتطلبات الظروف، ومن شأن المباح إذا كثُر أن يزداد تفكير صاحبه به، ويأنس قلبه له، فيقعده عن نجدة واجبة، أو فرصة سانحة.

ولقد تعلم الدعوات هذا الخطر، فترسلها مواعظ ووصايا للدعاة، ولكن المباح يدب دبيبا خفياً.

فإن تملص الداعية وسل نفسه: لم يك استعلاؤه على الراحة والرغد كافياً لحصار الشيطان في زاوية اليأس، بل للشيطان محاولة سادسة، فيكون له التفاف واقتحام من ثغرة أخرى، فينثر ترتيب قائمة الأولويات النسبية، ويعكس القواعد الشرعية في تفاضل الأعمال الإيمانية، ويلهي المؤمن بالمفضول المرجوح، فيقصي من له علم نافع عن جمهور المنتفعين منه، ويشغله بزيادة ركوع وسجود، هما جليان، لكن التعليم أوجب عليه بعد الفرض منهما، وينقل آخر له وفرة قوة وبسطة في الجسم والذكاء، وخبرة في السياسة والإدارة من تفاعله المنتج مع يوميات الخطة الجماعية، ومن صولاته في ساحة الفكر، إلى إشراف على بناء مدررة أو إيغاة منكوب. فمن استمسك بالفاضل الراجح، وزهد، وأبى تلبية نداء الشهوات، ولم تستز له الشبهات، فقد راغم الشيطان أبلغ المراغمة.

## ١٤ - حكمة الدعاة وعدل القضاة.. معاً

## وصايا للدعاة

وأداب الشرع من بعد الفطرة والبديهة تضيق عليك، وتحذو بك نحو إتمام، بل الأمر صريح أن أقبِلوا ذوي الهيئات عثراتهم(٣٧).

ولذلك استثناهم الشافعي أن تسري عليهم بسبب عثرة يعثرونها عقوبة تعززية يقدرها القضاة.

(وحكي الماوردي في ذوي الهيئات وجهين:

أحدهما: أنهم أصحاب الصغائر، دون الكبائر.

وثانيها: أنهم الذين إذا أتوا الذنب ندموا عليه وتابوا منه.

ونص الشافعي على أنهم الذين لا يعرفون بالشر(٣٨).

وتفسير الشافعي أقرب إلى مقصود الحديث دون شك، وشروط الانضمام إلى صفوف الدعوة، أو شروط قبول إعانة المعين، قد تجاوزت مجرد هذا الستر وشهرة الخير إلى حالة من اجتماع طبائع المروءة، ورفعة الهمة، ونبل المقاصد، والإقالة لمثل هؤلاء أولى وأوجب.

أم تريد أن ينحو الأشراف من تعزيز القضاة ليكسر نفوسهم تعزيز الدعوة؟

إن الغلظة لم يشر عليك بها الناصحون لمعاملة مثل هؤلاء الذين تدلك فراستك أنهم قد يتوبون من قريب، لكنها الرد المناسب لأنفار يقعون في هاوية الفتنة، فما يزالون في وساوسهم من بعد، حتى يخرجوا إلى (تقيح المحاسن، وصدع الملثم، وحل المعقود).

وحتى هؤلاء ليسوا سواء، وعليك أن تنتبه لنفسك، فتعتدل إذا دعيتك الحماس لتطرف في التعامل مع المخالف، ما لم يكن ملحاحا جريئا في الهجوم، إذ الاعتدال يوجبه أكثر من نظر فقهي واحد.

فمن ذلك: قاعدة التأويل، وهي من القواعد الفقهية الصحيحة التي سدت أبوابا من الأذى، أن تتأول للمخطئ، وأنه ضحية شبهة غير متعمد، مجتهد غير منحرف، ركبته ساعة غفلة غير مبيت للأمر، ولقد اقتتل الصحابة رضي الله عنهم فتأ، لو لهم، والقضاة يجتهدون في درء الحدود

(٣٧) صحيح الجامع الصغير للألباني ٣٨٢/١.

(٣٨)

بالشبهات، واحتاطوا أبعد الاحتياط في تكفير المسلم ما لم يكن قد أتى أمراً لا يمكن صرفه عن معنى الكفر، وأشياء من هذا الجنس تجعل تأنيك ورفقك ليس بغريب على الحس الفقهي.

ومن ذلك: ترك مجال التوبة لمرتكب الإثم، وفتح باب الأوبة للمخالف، لكنك إن قطعت كل الجسور التي بينك وبينه: ملكه اليأس، أو حكمه الانتصار للنفس، فاترك له معبراً ما أمكنك.

ومن ذلك: سد الذريعة، فإن النصوص الشرعية التي تندب لبعض الخير يتعطل العمل بها في حالة تولد ضرر عنها، والقرارات التنفيذية في الجماعة المسلمة العاملة شأنها أبون، في وضوح لا يحتاج إلى جدل وإتيان برهان، ولربما أدى الجمود في تطبيقها إلى ضرر لم يكن مقصوداً حين اتخاذها، وعلى الداعية أن ينبه مسؤولية إلى استثناء الحالات الخاصة، وأن يجذب اللجام، لا يرخيه، ألا تسبق حماسته حماسة قاداته.

ومن ذلك: جواز الجمع بين المصلحتين والخيرين، فتقرن بين مصلحة الجماعة في إخراج المخالف عن صفها، حفاظاً لوحدها ابتعاداً عن جدل يعوق تسارع انطلاقها، وبين مصلحة المخالف في احتمال أوبته إذا رفقت به وأصغيت لبعض الحق الذي معه، مما أساء التعبير عنه وجنح عن الصواب إذ ابتغي الدلالة عليه.

إننا قد ننسى البدييات أحياناً في غمرة التفتيش عما يحل العضلات، حتى لنكاد نجهل منطق الجمع بين المصالح في زحمة البحث مع الفقهاء عن المخرج عند تعارضها.

## ١٥- في التجارب علم مستأنف

فذلك خبر سكينه القلب في الصدر الواسع، وبها يؤذن لداعية الإسلام أن يفهم تجربة سلفه، ليطورها، ويدفعها إلى خلف ينتظر.

فلناس في الماضي بصائر يهتدي عليهن غاؤ، أو يسير رشيد

هكذا هي التجارب، بصائر هادية، تهيك الاتزان إذا أوقعتك الغفلة في غواية، وترسم لك الطريق إذا أردت الصعود.

إنها علم أصيل، واضح في إشارته، قوى في برهانه، ولذلك زادك الشاعر فأوصاك أن:

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر

ضاع قوم ليس يدرون الخبر

إنه خبر من قبلنا يصوغ خبرنا لمن بعدنا، فبريهم مدى اتعاضنا بالذي يرويه، ومن انقطع سنده وفقد الاتصال: تاه وتخبط، بما يهدر من طاقته في محاولات فاشلة طرقت بابها زمرة سابقة فلم يفتح لها، أو بما صرف نظره عن علامات في الطريق هاديات إلى الغاية، نصبها له من اقتحم أنفا.

ولذلك فإن الوعي يظل ناقصا ما لم يكن إضغاء من طالبه لقصص الرواد، والأصل أن:

كل ما علك الدهر أعلم فالتجارب علوم الفهم

وذاك أساس تنبني عليه مواظف فقه الدعوة، ومجرى يتنقل بك في أودية الانتفاع، يمنحك أن تتفقت تفقت الضياع، ويدع قضية الإسلام عزيزة بك، إذ أنت في مسالك الانسياب، هادئاً تارة، وتياراً مجتمع الزخم تارة أخرى.

## ١٦- أغاني الحصاد

لذلك فإن تربية الدعاة في أسلوبها الحاضر لا تبدأ بمخاطبة عقولهم ببحوث جافة كالتى تتداولها الجامعات، بل تخرجهم إلى جولة واقعية يتفاعلون خلالها مع يوميات الحياة.

إن أول نداء ينبغي أن يسمعه السائر مع ركب الدعوة نداء عبد الوهاب عزام حين يقول:

يا حببسا بالدور خدن كتاب قارئاً من مقال كل عليم

ابزن للحياة واقراً سطوراً مائلات لعين كل حكيم (٣٩)

سطور معاملة الناس، ومعرفة أطوار جاهليتهم، والمسعى المبذولة لإصلاحهم، وصبر الأحرار في الحن، وكيف يسبق المراهق المغامر الفاسق الشيخ الحكيم المؤمن.

بهذه السطور تكتشف النفس المعانين فإن الحياة إن خلت من حركة التغيير: فقدت مغزاهما، وحركة التغيير إن انخرقت عن حدود حقائق الفطرة: أخطأت هدف المسير، وهدف المسير إن لم



تستعن على بلوغه، بما وراء المعادلات العقلية من منح التوكل: طال دربك، وتبدد من جهدك الكثير.

وذاك هو تعليل ما يصيب الدعاة من الخلاع عما حولهم من طبائع التوكل العام، فالأدعية من كل جانب تطرق سمعهم، لكنها لا تلقي منهم الاهتمام، إذ لا تعدو همس طالب غني، أو منتظر لذائد، إلا صوتا يأسرهم من بعيد عبر القرون، تطرب له قلوبهم، فتتجذب، فتقترب، فتتنصت، فتجد نيرة الزاهد سديف بن ميمون، يلقنهم دعاء المفاصلين، ويعلمهم كيف يلبون:

اللهم قد (حكّم في أبشار المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بأمرهم فاسق كل محلة. اللهم وقد استحصد زرع الباطل، وبلغ نهايته، واجتمع طريده، اللهم فأتح له يداً من الحق حاصدة، تبدد شمله، وتفرق أمره، ليظهر الحق في أحسن صورته وأتم نوره)(٤٠).

فتأخذهم إطراقة حين يوازنون: في أيهما كان هذا الصالح أبلغ: أفي كشفه سبب واقع السوء، أم في وصفه الحصاد؟

وما تدري أهم لسديف يقدمون، وله يقلدون، أم للخليفة العباسي، القائم بأمر الله بن القادر لما تفتن في تضرعه إلى الله تعالى عندما تغلب المفتتن الباطني الفاطمي المسمى بالبساسيري عليه، وأرسل رسالته:

إلى الله العظيم، من المسكين عبده.

اللهم إنك العالم بالسرائر، المطلع على الضمائر، اللهم إنك غني بعلمك، واطلاعتك على خلقك، عن إعلامي. هذا -أي البساسيري- عبد قد كفر نعمتك وما شكرك، وألغى العواقب وما ذكرها، أطعاه حلمك حتى تعدى علينا بغيا، وأساء إلينا عتوا وعدوا.

اللهم قل الناصر، واعتز الظالم، وأنت المطلع العالم، المنصف الحاكم. بك نعزز عليه، وإليك نهرب من بين يديه فقد تعزز علينا بال مخلوقين، ونحن نعزز بك، وقد حاكمناه إليك، وتوكلنا في إنصافنا منه عليك، ورفعنا ظلامتنا هذه.. ووثقنا في كشفها بكرمك، فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين).

وقد علقت رسالة القائم في الكعبة، فقتل البساسيري بعد تعليقها بقليل.

استعلاء.. بعد الموت أيضاً

وفي كل خير، في الخليفة، وفي سديف، ومن كليهما الداعية ينتفع وإخباتهما يواطىء، فيكون أبداع منهما في دعائه وأبرع، وأتم منهما في انتداب نفسه للمهمة الجسيمة، فإن من أزهى بدعاء حقيق أن يثمر بفعل، فهو في مضى نحو همته، يطلب النصر قررة عين لإخوانه الدعاة، وله الشهادة جزاء، ويلح سائلاً:

فيا رب إن حانت وفاي فلا تكن على شرع يعلي بخضر المطارف

ولكن قبري بطن نسر مقيله بجو السماء، في نسور عواكف

وأمسى شهيداً ثاويًا في عصابة يصابون في فج من الأرض خائف

فوارس من بغداد ألف بينهم تقى الله، نزالون، عند التزاحف

إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف

هكذا في الرواية الراححة، أنهم من بغداد، وفي روايات أخرى أنهم فوارس من صنعاء، أو من بيروت، أو من عمان، وكل ذلك وارد، وفي وزن الشعر سائغ.

والشرج: النعش، والمطارف: الأطراف، أي الأيدي، والخائف: المنخفض.

وبذلك يبتكر داعية اليوم في المراغمة ابتكاراً، إذ ليست تنقطع فنونها: أنه لا يخلق بروحه سامية في فلك الشموخ فحسب، بل بيدنه أيضاً، أنهم لن يصلوا إليه، بل في بطون النسور، فيراغمهم ميتاً، كما راغمهم حياً.

ضرب بعض الدعاة مثلاً لنا في ذلك كمثل أهل قرية، يمر بهم رجل عالم فقيه لا يسمع خلال دورهم أذاناً، فيبتس، ويعظهم، ويطلب منهم حملة يتعاونون فيها على بناء مسجد، فهو الرائد المؤسس.

ثم يتنادون، من كل حسب استطاعته، فيقول أحدهم: أهب للمسجد ناحية من أرضي تبنيه عليها وليس لي مال، ويقول آخرون: لكم أكتافاً نخلط الطين ونصنع اللبن، ويقول ثالث: وعلى إقامة اللبن جداراً، و يتبرع رابع بالأبواب، وخامس بالفرش، وسادس يسرجه وينيره، وسابع يقول: ما عندي كتف ولا مال ولكن صوتي جميل، فأنا المؤذن، ويقول المستضعفون: وعلينا تكثير السواد، والانتظام صفوفاً، وإظهار هيبة الإسلام، وتعميره بالتسبيح والتكبير، ثم يؤمهم الرائد، وتقام الصلاة.

فانظر كيف اجتمعت الجهود والهمم بحيث إنك لا تستطيع أن تفضل صاحب الفكرة الفقيه، وتقول: لولاه لما بنى المسجد، ولا صاحب الأرض، ولا من عمل بساعده، ولا المؤذن والمنير، بل كل منهم قد أصاب ووقفه الله لعمل صالح تراكب بعضه على بعض وأسنده.

وكذلك الجهود التي لا بد منها لبناء الدعوة: هي متكاملة، متضافرة، وكلها مهمة، حتى الصغير منها، فلا بد من القيادة التي تخطط، ولا بد من المفكرين الذين يكتبون، ومن يبشر ويربي، ومن يدير وينظم، وتحتاج الصحفي، وصاحب المال، وذا الجاه، والعسكري، والمفتاح الانتخابي، والطالب، والعامل والفلاح، والمرأة والناشئ الصغير.

وهو جدل بارد، جدل المفاضلة المطلقة بين أنواع الجهود المبذولة لخدمة الدعوة.

فالجهود مترابطة متلازمة، بعضها لبعض ظهير، وورديف، فإن تفاضلت كان تفاضلها نسبياً، تبعاً لوقت معين أو مكان معين.

ولإقبال إنكار على مثل هذا الجدل الملهي، يقول فيه:

شرار الفأس دع من قال عنه: أمن فأس؟ أمن حجر يكون؟

فالمهم أن يمسك داعية الإسلام بفأس ويجرث أرض الخير ويذر فيها، حبة مثمرة، أو يهوي بها على دارة باطل فيهدمها، وليس له أن يدور في حلقة مفرغة من فضول التفضيل.

إن الشرارة لن تنقح إلا بتماس الحديد والحجر، وشرارة الدعوة لن تنير طريق المسلمين اليوم ما لم تتكامل الجهود.

## ١٨- مبادرة الداعية للتكلم بما يناسب حاجة المدعو:

هذه القاعدة مكملة للقاعدتين السابقتين، ونعني بها أن يكون الداعية هو الذي يختار موضوع الحوار دون إعطاء المجال للمدعو باطراد ليسأل، إذ أن أسئلة المدعو لا تسيرها حاجته الحقيقية دائماً، بل كثيراً ما تكون انعكاساً لإشاعات وشبهات يروجها أداء الدعوة، ومحصلة لمطالعته الصحفية وسماعه للحزبيين الآخرين، وتبقى أجوبتنا عنها غير مقنعة له تماماً ما لم تصحب بتفهمه موازين شرعية تعينه على ذاتية في تمييز الحق.

لسنا ننكر أهمية طريقة فتح صدورنا للمدعو ليفرغ أماننا ما عنده من شبهات فنجيبه بما يرفع عنه الهواجس، فإن هذه الطريقة ضرورية، لكن الإسراف فيها مضر، لأننا نعمل في محيط غير سليم، ويكثر حولنا منه يروج الإشاعات والأكاذيب والشبهات الجراف بالباطل، وينشر الظنون السيئة، كما أن المناهج المدرسية تبث مفاهيم منحرفة، وفي الصحافة كلام غث يولد اختلاطات، ولو التزمنا إزاء ذلك موقف المدافع باطراد وأتخنا على طول الخط للمدعو أن يختار موضوع النقاش لبقى محيلاً لحسن ظنه بالدعوة ولقناعته بأفكارنا إلى حسن ظنه، بأشخاصنا، في تقليد بارد وتغليب للروابط الشخصية، دون اجتهاد واستعلاء وعزة إيمانية وحمية.

لذلك فإن من الواجب أن نقيم توازناً بين ما نعطيه من المعاني بتخطيط، وبين ما ندع له المجال ليسأل فيه، فنرض في كثير من وقت اللقاء معه الكلام عليه فرضاً، لا من مقام الأستاذية لتلميذ، بل باللباقة وجودة التخلص، بحيث يأتي المبحث طبيعياً، بما يملك الداعية من فكر متكامل يميزه على المدعو.

وهنا تبدو أهمية تحديد هذه المعاني التي نعرضها على المدعو بمبادرة منا، إذ ليست كل مفردات الإسلام يفهمها، ولا هي على درجة واحدة من الأهمية، وبعضها لو ذكرت فقي موطن معين أو وقت معين لأدت إلى نتيجة عكسية، فممتنع عن ذكرها سداً للذريعة.

والأسلوب الصحيح في هذا الموطن أن تضع القيادات الفرعية المفردات والمواضيع ذات الأولوية في الكلام في جدول يحصرها، فكل قيادة تختار ما يناسب طبيعة قطاعها، فقائمة لما يذكر في

الجماعات، وأخرى لما يذكر في المدارس الثانوية، وأخرى لما يذكر في محيط العمال، وهكذا، وستكون بعض المواضيع مشتركة حتماً.

إن تجاهل مثل هذه القاعدة هو الذي أدى إلى مجازفات بعض الجماعات الإسلامية التي تثير مواضيع جانبية في غير أوانها مع جودة علم دعايتها، فيثيرون الفرعيات قبل الأصول، لتخلف أسلوب الدعوة عندهم، وآخرين يلحون في حمل المدعو على أفعال لا يستسيغها المدعو في بلاد العرب، يقلدون بذلك مناهج عمل تصلح لبلاد أخرى.

إن ذكرنا لهذه القاعدة لا يعني عدم مراعاة دعائنا لها سابقاً، كلا، فإن دولاب العمل اليومي عندنا قد ولد أعرافاً صحيحة سليمة كثيرة، تعين الداعية الجديد على فهم الأولويات، ولكن عليه أن ينتبه إلى أن جودة طريقة العمل العرفية هذه لم تأت كنتيجة سهلة، وإنما هي حصيلة تجارب متتالية كثفت التأكيد القيادي عليها حتى استحالت أعرافاً يدرج عليها الدعاة وإن لم تحفظها نصوص دقيقة أو تبليغات مكتوبة، ويراد من كل داعية جديد أن يعرف هذه الحقيقة لتواصل التفكير. يمثلها ولينتج خيراً جديداً، وليورثها لمن بعده.

فيحذر إذن بكل داعية أن يفطن إلى أنه اليوم بعمله يسهم في تأسيس أعراف، شاء أم أبي، فإن أحسن الطريقة وعرف الأولويات: أنشأ عرفاً حسناً، وإن خلط: أورث الغلط.

ويبدو أنه من الأفضل أن يعقد كل قطاع ندوات جماعية أشبه بمؤتمرات للتعرف على الرصيد العرفي من العمل الجيد السابق في هذا الجانب، ثم اكتشاف الإضافة المطلوبة وكيفية تنميتها.

إن الدعوة إلى تقديم ذكر جزئيات الإسلام المهمة على غيرها بنظرة نسبية في كل قطاع ولكل جمهرة ليس بالأمر المبتدع، فإن لنا موعظة في تدرج نزول القرآن، وقد قسم الشرع الأعمال إلى درجات، فمنها فرائض وواجبات، ومنها مندوبات ومباحات، تتنازل في أهميتها، وهناك لمفسوق وبدع وكبائر وكفر، وكان رسول الله صص يوجب بأجوبة مختلفة عن السؤال الواحد تبعاً للنقص الذي يراه في كل سائل ولمدى حاجته، فوصف الجهاد بأنه أفضل العمل مرة، ووصف بر الوالدين بالأفضلية في مرة أخرى، حتى ليحسب المتسرع ذلك تناقضاً، وما هو كذلك، بل يوجب بما يناسب حاجة السائل.

**١٩- الأخذ من كل مدعو حسب طاقتة، والعطاء له حسب حاجته.**

## وصايا للدعاة

هذا التعبير الاشتراكي هو الأوفى لإيجاز هذه الطريقة التربوية، وهم يذكرونها في استيفاء طاقة العمل المهني والتعويض عنها بما يكفي حاجات المعيشة، وإنما استعرتها مجازية.

فنحن نستطيع التعامل مع المدعويين وفق هذه القاعدة، وأن نطبق النسبية في الإعطاء لهم والأخذ منهم.

فالذين ندعوهم هم عناصر متباينة في أمزجتها وأحلاقها وخلفياتها الفكرية، ويندر أن نجد المجموعة الكبيرة المتشابهة، بل لكل منهم أو لكل اثنين أو ثلاثة طبائع خاصة أو متقاربة.

فأول معاملتنا لهم: أن نستفيد من كل مدعو حسب طاقته ونوعها، ولا يجوز أن ننظر إلى الحماسة وقابلية الانتظام والطاعة كشرط أساسية فيه، فإن هناك من هو أقل مشاركة من الآخرين، ولكن الداعية الذي يتصل به يدرك بحاسة سادسة، أن هذا العنصر ستكون له أهمية استثنائية في المستقبل، لعلم سياسي جيد، أو لكتابة صحفية، أو لنيته الدراسة العالية ونيل الدكتوراه واقتداره على ذلك وعودته أستاذاً في الجامعة أو خبيراً في أجهزة الحكومة، أو لكونه ابن شخصية كبيرة في المجتمع والدولة، وأنه سيفيد الدعوة من خلال مركز أبيه، أو لثروة سيرتها ويجعل منها للدعوة نصيباً، وأمثال ذلك.

إن انتهاء الاتصال إلى جلوس المدعو أمامك عضواً في التنظيم هي الصورة المثلى للنجاح، ولكن دونها درجات من النجاح أيضاً، وقد لا يكون المدعو صالحاً للانتظام، لكن حسن التعامل معه ودوام الصلة به تمكننا من تحصيل فوائد جانبية منه، وربما كانت هذه الفوائد ضخمة وتعديل عمل عشرات المنتظمين.

ثم لكل حسب حاجته، فإن نقصهم متعدد الأشكال، بحسب ما خضعوا له من تربية سبقت صلتهم بنا، والفروق بين المدعويين واضحة.

من ذلك أن تجد شاباً جامعياً كان بعض أساتذته في المدرسة الثانوية من دعاة الإسلام أو أهل الستر، فنشأ صافياً، وآخر كان بعض أساتذته ملاحدة فلقنوه الشبهات الكثيرة التي شابته معدنه الحسن.

وشاب يصلي قد ربما أبواه على أخلاق فاضلة، فسكنت نفسه وآخر لم يعرف الصلاة، سليل أبوين غافلين، ولكن التحديات السياسية والعاطفة الإسلامية العامة تدفعه إلى التقرب منا.

وشاب بين أبيه خلاف، وراسب في دراسته، فهو معقد.

وصاحب غريزة جنسية قوية، يعيش في قلق واضطرب نفسي بسببها.

وعاصمي، جمع أياه صباه بين الدراسة ومعاونة صاحب صنعة من أجل العيش، فهو همام متحرك، على النقيض ممن ينعم برفاهية، قد دله أبواه ولا يعلم أنهما ردا له طلبا.

فحاجة كل واحد من هؤلاء تختلف عن حاجة الآخر، ونعاملهم بمعاملة متعددة الوجوه.

وقد نلحظ بعض الدعاة يجهلون احتمال استمرار بعض صفات المراهقة لدى الطالب الجامعي الذي يدعونه، ويحلونه في محل أكبر مما يحتمله واقعه الحقيقي، وذلك خطأ، فإن بعض طلبة الجامعات نجد عندهم ما نجد من تعنت طالب المرحلة الثانوية، وتفردته بالرأي، وحب الاستقلال، وانتقاص رأيه بين آونة وأخرى، والتفلت من الأوامر، وعينا مراعاته، وأول هذه المراعاة: أن نجعل هذه الطباع متوقعة منه غير مستغربة، وأن نعتبرها نتيجة ظاهرة نفسية عند عموم الشباب لا تستحق أن نصف صاحبها بعدم الصلاحية من أجلها، وتترقب اليوم الذي يكتمل فيه رشده.

كما أن الجامعي قد يتأثر بالنظرة العرفية القديمة التي تضع الجامعيين في مكانة عالية، فينظر إلى نفسه على أنه مشارك في الأفكار والسياسة، ويجس بأنه أرقى من بقية الناس، ويأخذه كبر وغرور، خاصة في البلاد الفقيرة التي لا يزال التعليم الجامعي فيها ضيقا، وفي هذه الحالة علينا أن نوسع صدرنا قليلا، ومنتظر رجوعه إلى التواضع، فإن ذلك من الآثار الوقتية الطارئة لهزات المراهقة فيه أكثر مما هو من العيوب الأصيلة الدائمة.

## ٢٠- إرجاء معركة المدعو مع أهله.

ذلك أن بعض العناصر المدعوة يكون عندها مقدار زائد من الحماسة يشجعهم على قطف الثمار بسرعة، فيسرعون الإنكار على أب مقترض بربا أو شارب للخمر، ويأمرون نساء بيوتهم بالحجاب ويلزمون ترك المعاصي التي درجن عليها واستسهلنها، فيكون الرفض، وتستعر معركة مبكرة متعبة مع أهل تفقدتهم السكنينة اللازمة لمرحلة التربية الابتدائية، مع أنها قد تكسبهم الصلابة والعزم.

## وصايا للدعاة

يجب أن يفهم الشاب أننا ندرك عدم مسؤوليته عن أمه وأخواته بوجود أبيه، وأن معاصيهم لا تعيبه عندنا ولا تتلم مكانته، مثلما نفهمه أمّن ضحية تربية اجتماعية خاطئة وأعراف منحرفة أكثر من كونهم رافضات بتصميم، وأن علاقته بأمه السافرة لا تقتضي أن يقف موقف سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه مع أمه، إذ لا كفر ثم، وإنما هي الغفلة ومواطأة الناس، أو أنها تمنعه عن نشاط وانتماء جماعي وليست تزين له التحول عن التوحيد.

وهناك احتمال فهم المدعو للأوامر الشرعية بشيء من التطرف، فيأمرهم بأوامر زائدة عن الحد الشرعي المطلوب، مترمّتا، دون أن يفقه الموازنة بين المصالح، والتدرج، وأساليب الحكمة والموعظة الحسنة، فهو لا يتسامح، ولا يؤجل، ولا يقبل عذرا، ويقطع الجسور مع أهله بسرعة، وقع في مأزق يسبب له القلق، وعلينا أن نعظه في هذه الأحوال، ونرده إلى الاعتدال، فإن أهله لا يدرون أسباب تحوله الحركي، ولا يفقهون معاني الانتماء الفكري الجديد الذي انتساب له، وإنما يظنونونه في فورة، وفي مرحلة من اضطراب المراهقة، ولا يلحظون صفته كمصلح أمر بالمعروف، ومن هنا فإن ترفقه معهم قد يتيح لهم تصحيح مفهومهم عنه، فتكون الاستجابة الهادئة التي لا يقف دوها العناد.

لسنا نجنح بذلك إلى لين وترخص بأباهما ويمنع عنهما الورع، ولكننا نحث على اتباع أسلوب مناسب، وتأجيل معركة ينهزم فيها الشاب المسلم الجديد إذا دخلها في وقت مبكر.

## ٢١- الحرص على تعادل أوقات النشاط العام مع اللبث في المساجد.

فحوى هذه القاعدة: تحيب أجواء المسجد للمدعو، فإن بعض قطاعات الدعوة تشهد إسرافا في الفعاليات الرياضية الجماعية وأوجه النشاط العامة، ولا بد من إقامة توازن في تردد المدعو على المسجد وعلى هذه الفعاليات، لما تتيحه خلوة المسجد من مجال التفكير وتلاوة القرآن، وسبب ذلك أن مجتمع اليوم هائج مضطرب مائج، وهذا الاضطراب قد أصاب الشباب بذهول صرفهم عن التفكير حتى في بديهيات الحياة، ف كثرة مشاركتهم في الفعاليات معنا قد تولد فيهم ولاء لنا وتحزبا، وانخلاعا عن اللهو، وتربيههم على محبة المؤمنين، ولكن أحدهم قد يبقى غير ملتفت للتفكير، ولا للإنصات إلى نداء فطرته، فنكون قد أخرجناه من اضطراب اجتماعي شديد إلى وضع أحسن، فيه الطمأنينة، ولكنها تقليدية ليست ذات انبعاث ذاتي، كمن يخضع لعلاج طيب دونما وعي صحي منه، وإذا طالت مدته على هذا النحو: استحال إلى عنصر



فأقد للمقدرة على تسيير نفسه، ويحتاج تحريكا تربويا دائما، حتى يشيب على ذلك، مقلداً، مفتقداً التفكير القيادي الذاتي.

إننا بحاجة إلى استغلال كل الطاقة الإسلامية المتواجدة في المجتمع، وهي طاقة واسعة يستحيل تنظيمها كلها، ولكن يمكن أن نقودها، فإذا نشأ عضو التنظيم نشأة تقليدية لا تمكنه من قيادة غيره فإن بعض هذه الطاقة سيهدر ونحرم منه.

إن ما تسببه كثافة مشاركة المدعو في أوجه النشاط معنا من ولاء لنا يشكل مصلحة دون شك، ولكن حيازة الفكر القيادي يشكل مصلحة مستقبلية تساويها، ولا بد من رعاية المصلحتين معاً.

علينا أن ندعه يخلو في المسجد مع فطرته، ليكتشف خطأ تصرفاته السابقة وخطأ أفكاره، وما من الله عليه من الهداية.

لا نقول له: تعال وفكر، هكذا في عملية ميكانيكية جافة، ولكن التفكير والتأمل وتوارد الخواطر الرحمانية والنظر إلى يوميات الحياة بعين البصيرة سيكون نتيجة طبيعية لخلوته مع نفسه وبعده عن الاضطراب، ولو كانت الخلوة يغير المسجد آمنة لأقررناها، ولكن شاء الله أن يجعل البركة في بيوته ويخصها بخصائص تنفرد بها.

بإمكاننا أن نعلمه هذه الخلوة لساعة أو لبضع ساعات متفرقة خلال اليوم، تقل وتزيد، ونختار لها الأوقات التي لا تتعارض مع النشاط العام، لا بطلب وأوامر، بل بتشويق عملي من خلال صحبتنا له قبل أداء الفروض وبعدها، وتلاوة القرآن أمامه، وكأننا اليوم لا نتقن ذلك، ونرجح اللقاء الجماعي معه في الأندية والملاعب ومجالس النقاش، وليس في هذا الترجيح عيب، ولكن اعتماد أسلوبنا عليه فقط هو المعيب، حتى بتنا لا ندخل المسجد إلا قبيل الإقامة، ونسرع الخروج منه بعيد السلام.

كلا، بل علينا أن نوازن ولا نجعل اللبث في المساجد ضامراً، فإن خريج المسجد غالباً ما يكون عاقلاً رزناً متروياً، ذائقاً لثمرات الإيمان، ذاتي الاندفاع، ليس بالمطيع فقط، ولكنه المبتكر، ولا السائر بحركة مسيرة أصحابه فحسب، ولكنه المتقدم الحادي.

كأننا أيها الإخوة نلمس تكبراً على المسجد عند بعض جدد المصلين المثقفين والجامعيين، يدخلونه وقت الفرض فقط، ويأنسون بالمجالس خارجه، وربما كانت هذه الظاهرة ناتجة عن

## وصايا للدعاة



الدعاية العرفية التي تعلي مكانة الجامعة في تطوير المجتمع، فتأخذ طالبها وخريجها نشوة جاهلية تختلط بصلاته، ومن اللائق أن نرده إلى قيمته الحقيقية، وأن ندله على طريق البداية الإيمانية الذي لا بد وأن يمر بالمسجد طويلاً.

إن العيش في المجتمع العام، والتفاعل مع أحداثه، قد يستهلكان المخزون الإيماني الذي يملكه المدعو، فيقف عطاؤه عند حد ويفلس، وعلاج ذلك: أن نجعل له مورداً دائماً تتكفل به حياة المسجد، وما فيها من سكون وصفاء نفس، ورحمة متنزلة وإلهام.

وقد يعترض البعض على جلب المدعو إلى المسجد واستلاله من مشاركاته في حيثيات الحياة السياسية اليومية للجامعة وقطاعات العمل، ويحتج المعترض بأن مشاركة المدعو في الأحداث إنما تنطلق من واقع وتمارس طبيعي، وما هي بالتكلفة.

وما نظن هذه الحجة واردة، فإن نقدنا منصب على حقيقتها، إذ أن الأعمال اليومية التي ينشغل المدعو بها، كالانتخابات الطلابية والرحلات وأمثالها، إنما هي وسيلة لا غاية، ولا يرتقي فهم المدعو لطبيعتها إلى درجة فهمنا، وقد ينغمس فيها انغماساً كاملاً لا يبقى له وقتاً لتربية نفسه على معاني الإيمان فيتربى سياسياً وعملياً دون أن يكافئ ذلك جانب من العمل الفقهي، والرسوخ الخلق، والتطوع العبادي، وهذه الحالة تتيح لك الانتفاخ منه وقتياً وتعدم عليك الانتفاع منه في المستقبل، إذ سينشأ جافاً، تعوزه رقة القلب، وفي هذا ما يسوغ لك أن تضحي ببعض مصالح الجماعة في النشاط العام والتنافس مع الأحزاب من أجل درء هذه السلبيات التربوية.

إن (الانتقاء) هو الميزان الأهم الذي يحكم عملية التجميع، ويتمثل في جودة الاختيار للعنصر الذي ندعوه، فإن إتقان هذا الانتقاء يوفر الكثير من المتاعب، ويجنبنا أكثر المشاكل التي نعاني منها.

وطريق ذلك أن ينظر داعية الإسلام نظرة تمييزية إلى من يتواجد حوله من الأفراد الذين يمكن أن يستجيبوا له إذا دعاهم، فيقسمهم إلى طبقات، وتكون الطبقة الأولى نهم: أهل الشجاعة، والذكاء، وقوة الشخصية، والبعد عن الرياء والجدل، ومن تتوفر فيهم الأمانة وجودة النسب العائلي، وأوصاف أخرى مثل هذه تؤهل الواحد منهم لأن يكون مؤثراً في غيره لو صار داعية. ثم طبقة أقل حيازة لهذه المحاسن، ثم طبقة لا تصلح، من عناصر أقعدها الجبن وفتور الذكاء وضعف الشخصية، ولا يمكن أن ينتصبا دعاة مهما بذلنا لهم من تربية.

فاهتمام الداعية يجب أن ينصب على الطبقة الأولى في جميع مراحل المسار، عند التأسيس وبعده، ولكنه يشرع في مرحلة الانفتاح بالاهتمام بالطبقة الوسطى إذا ظن أنه قد استقطب الطبقة الممتازة، وإما طبقة الضعاف فيبقىها في دائرة خارج التنظيم، ويكون تماسه بها في المرحلة الأخيرة، وليس قبل ذلك.

هذا التقسيم إنما هو بالنسبة للصالحين، ممن لهم استعداد للالتزام الإسلامي، وأما الذين ليس لهم مثل هذا الاستعداد، ويتيهون في ظلمات الإلحاد أو غبش الشبهات، فإن من البداهة بعدنا عنهم، لكننا نتكلم عنهم بوادر الاستجابة، باعتبار أن اختيار للطبقة العالية منهم يجعل عملية التربية أسهل، وهذا الاختيار نضمن سلامة المجموعة القيادية التي سيرتكز عليها ثقل الخطة، إذ أن اقتصارنا أثناء التأسيس على تجميع أفراد الطبقة الأولى فقط من شأنه أن يجعل المراكز القيادية موزعة عليهم كنتيجة طبيعية لتلقائية، ويجب أن يكون عددهم بالمقدار الذي يكفي قيادة المرحلة الأخيرة، وليس مجرد قيادة عملية التأسيس فحسب.

إننا إذا أردنا أن ندرأ الفتن داخل الجماعة فعلينا الإقلال من قبول العناصر الضعيفة ابتداء.

## وصايا للدعاة

كذلك مظهر الداعية وملبسه، شريك في التأثير، وكثير من دعاة الإسلام يستهويهم أحر البذاذة الإيمانية التي يعتقدونها، فيخالفون عرف المثقفين في اللباس، ويهملون هندامهم، ويلبس لهم من تبرير مقنع، والناس اليوم يلزمها من رفق خطابنا لها ما كان يفعل النبي -صلى الله عليه وسلم- للوفود، فإنهم وإن كانوا اليوم مسلمين، إلا أن المعاني الإسلامية التي نتداولها معهم غريبة عليهم، وأوشك أن يصبح المعروف منكراً، ولا بد أن نتحمل للناس في حدود المباح بما لا يخرجنا عن سمت التواضع، كما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتجمل للوفود (٤١)، باللباس الحسن الأنيق، والنظافة المبالغ فيها، ومس الطيب، ليألفونه، من غير تقليد للمسرفين، ولا جنوح إلى التشبه بالمتبشرين المبذرين، فإن التوسط ما زال هو الخير في كل الأمور، وربما كفته البدلة الواحدة لسنين.

وسيقول قائل: أين إذن ما نعهده من فضيلة ميزة البساطة في الداعية، وكيف نتقرب إلى العامل والفلاح إذا أقررنا الأناقة بنداً في صياغة الداعية؟

وللمعترض المستعجل حق في ذلك، ف إن هذه الوصايا تثير الالتباس، ولكن من يجمع كلامنا إلى بعضه، ويرى كل الذي كتبناه: يدرك أننا نسبقه إلى إنكار التكلف، وأنا إلى الزهد أقرب، وما ثم لدينا إلا رغبة في إبعاد الداعية عن إهمال مظهر نفسه، فإنك ربما رأيت لا يقص شعر رأسه حتى يطول، أو لا يحلق ذقنه لأيام إن لم يكن من أهل اللحي، أو يلبس القميص لأيام دون غسله، أو لا يغتسل هو أياماً، وأما الملبس الغالي المتتبع لآخر مبتكرات الخياطة فنحن أسبق من كل سابق في النطق بكرامته وذمه.

إن البعض يري أن هذه الأمور من الصغائر التي لا تناسب التذكير القيادي، وهي في عرف الأوساط السياسية والفكرية كبائر.

نريد للداعية أن يلبس المعتاد من لبس الناس، ليست ملابس متكبريهم المترفين، ولا ملابس البذاذة المتكلفة، ونقول له كما يقول الشاعر:

حل التأنق في اللباس وسر على  
والبس كمثل الناس لا تخرج عن المعـ  
نهج الأفاضل في اختصار الملبس  
تتاد في شيء فتخطئ أو تسمى

(١) فتح الباري ١٢/٦، طبعة الحلبي، وأما المكروه فهو التجمل لهم بالحرير والحلة والسيراء.

فهو لبس كمثل الناس ندعو إليه، ولسنا ندعو إلى تبخترع وخيلاء.

## ٢٤- إنهن شقائق الرجال..!

العناية بالنساء.

فإنهن شطر المجتمع أيضاً، وتزداد تأثيراتهن في الحياة المعاصرة، ويف سلك التعليم بخاصة.

وقد تنطلق هذه العناية من واجب صيانتهم وتربيتهم والمحافظة على أخلاقهم والحجاب، أو من باب توفير زوجات صالحات لهذا السواد الواسع من الشباب المنغمس في الدعوة، أو الدوائر في أفلاكها، يحفظن غيبهم، ويصبرن على انقطاع أزواجهن للعمل، ويتلقين منهم بصدر رحب غير ضجر، ويربين الأولاد وفق أسس تربوية إسلامية سليمة.

تلك منطلقات صحيحة، ولكن العمل النسائي يراد له أيضاً أن يكون رديفاً معيناً في التنفيذ لجوانب كثيرة من خطط الدعوة يصلح لها، من أظهرها: المشاركة الصحفية والأدبية، والبحث الفقهي والتاريخي، بل في كافة العلوم، وأعمال المراسلة والإحصاء، ورعاية عوائل السجناء وعموماً لحاجات، أيام الحزن، ومن الممكن أن نوجه خريجات الجامعة خاصة لمثل هذه الأعمال.

إن الأحزاب الأخرى سبقتنا في ذلك سبقاً، يساعدها على ذلك إباحة الاختلاط عندهم والسفور، وتمنعنا الحدود الشرعية من استثمار الكثير من جهد النساء الذي تستخدمه الأحزاب، ولكن ذلك لا يعني انغلاق كل المجالات أمامنا، بل فيما ذكرنا من أبواب الإعانة بركة وطاقة مضافة لجهود الدعوة، ولا يجوز أن تحجبنا الأعراف الزائدة على مقدار الواجب الشرعي عن مباحات من مجالات المساهمة النسائية في الخطط العامة أو إظهار أسمائهم الصريحة في المجتمع، أديبات وصحفيات ومؤرخات ومحقيات ومحللات للتطورات السياسية، طالما أنهن يتحججن ويتعفنن ويؤدين مساهمتهم من خلال تنظيمهن الخاص البعيد عن الاختلاط بالرجال، وعن طريق جمعياتهن ونواديهن.

## وصايا للدعاة

ولعلك عرفت طريقتنا، فلم تعد بحاجة إلى تنبيهك إلى ضرورة مؤتمر يخصص أبواب العمل التي تطرقها المرأة المسلمة ويوضحها، أو الدراسات التجريبية التي تروي من خلالها الداعيات قصصهن.. ولست بحاجة أيضاً إلى وعظك بالنسبية وكبح جماح حماسك الزائدة لترجع إلى صرف موزون للطاقة يراعى جميع الحاجات.

## ٢٥- بناء حركة الناشئة الإسلامية.

إن الناشئة م المورد الرئيس للنوعية الصلبة المتفانية من الدعاة، إذا لا يبرأ كبير السن من نوع أو أنواع من السلبيات التي أكسبته إياها حياته الأولى قبل تعرفه على الدعاة، أما الناشئ فكله محاسن، كله حيوية، وتصبر عليه سنوات قليلة فإذا هو الرجل الكامل، المقدار الثابر، وما نظن أن بنا حاجة لتكرار البديهيات التي تقنعك بالعمل معهم وتذكرك أنهم أغصان طرية.

لسنا نعني الصغير الذي يتعب، وإلا لتحولت الدعوة إلى رياض أطفال، وإنما هم الذين ناهزوا الحلم، تنتقي منهم العفيف المؤدب، الاجتماعي المخالط، الرياضي المتحرك، المجد في دراسته، فتحبب لهم لزوم المسجد، وتحفظهم أجزاء من القرآن ومختارات من الحديث الصحيح وتدعهم يتبارون في فرق ألعاب، ويتقنون الجودو والكاراتيه، وترحل بهم إلى الضواحي الخضراء وأماكن الآثار، كل ذلك في مجتمع خاص بهم برعاية عقلاء أمناء يعلمونهم الإحياء والفتوة، حتى إذا رشد أحدهم وكان على أبواب الجامعة أو الاستقلال بمهنة أو الانخراط في مصنع: وجدته داعية وافر الفقه والحياة والنشاط، دون هواجس تساورك نحوه.

يبدو أنه يراد لنا تصور بعيد لدور الناشئة وإنشاء حركة لهم ننتقي منها دون الاكتفاء بالعمل مع الجامع الجزئية التي تضمها المساجد، بل نبني مثل حركة الكشافة، ونفرغ لهم جهاز مسؤولين متخصصين يرسمون لحركة الناشئة الإسلامية فنونها وأذواقها وطرائقها الموحدة، ونعتقد أننا نستطيع شكلاً مصغراً مما تفعله الحكومات، وربما صعب ذلك أو استحال الآن في بعض البلاد ذات الحكم الإرهابي الحزبي، لكنه ما زال ممكناً في بلاد أخرى.

إن الشروع المبكر برعاية الناشئة يعتبر الضمانة الكبرى لحصول الدعوة على الجيل التنفيذي للمرحلة الأخيرة بعد الثاقل الطبيعي الذي يصيب كبار السن من الدعاة لمختلف الأسباب.

ولها حاجة الدعوة فعلا إلى جيل مقدم من الناشئة، خفيف التبعات، سريع الخطوات، تائق إلى روضات الجنات.

أنعم به وأكرم... ثم أنعم.

## ٢٦- وضوح الفكرة الإسلامية في نفس الداعية

إن الوضوح يؤدي إلى شعور الداعية بأنه يحمل إسلاما ليس كمثل مبدأ آخر مما عند الأحزاب العلمانية، وينتج عن هذا الشعور بالتالي فهم لضرورة الاستقلال عن غير المسلم، ومفصلة الأعداء، ويلمس دوره في مسؤولية الحفاظ على السلام، في عمل دائب ومصارعة للفكر المضاد، ويستيقن ضرورة الممارسة الحركية الجماعية إذا أريد للصراع أن يكون متقنا.

ويمكننا أن نفقه دور هذا الوضوح من مثل نضريه: أن رجلا يريد أن يشتري تحفة، فهو يتحرى الأتقن صنعا والأجمل منظراً، إذ الفطرة السوية تقوده إلى ذلك، فيري ذات النقش الفني اليدوي الدقيق على خشب الأبنوس النادر، ويرى ذات النقوش الغليظة التي تنتج المكائن ألوف النسخ المتماثلة منها من لدائن كيماوية، فإذا ظفر بالأولى: ازداد إعجابا بها مع الأيام، وحرص على حمايتها من يد تعيث بها، ووضعها في صندوق أو بعيداً عن اللصوص والأطفال، وجعل ميزاتهما موضوع حديثه إن زاره أحد، لما لمس فيها من الاتقان والجمال، من بعد ما رأى الكثير غيرها من البائتر القبيح الرخيص.

وهكذا إذا أحس الداعية فعلا بإتقان الله تعالى لأحكام الإسلام، واستمتع بجمالها ولمس المصالح الكامنة فيها، فإنه يشعر عندئذ بأن إسلامه دين عزيز، وليس كمثل دين آخر أو فلسفة، ويندفع ذاتيا لصيانته والذود عنه والتحدث بجلساته بإحساسه، والله ولدينه المثل الأعلى.

إلا أن هذا الوضوح الفكري سهل تمنييه، لكنه في التطبيق يمثل جهداً جماعياً مكثفاً في تنقيف الدعاة، وتفهيهم الأحكام الشرعية وفضائل الإيمان، من خلال تربية تعليمية طويلة ومطالعة منهجية، فتجمع لهم بذلك صورة كاملة لجمال الإسلام، وأما مجرد المقالات التي تمدح الإسلام وتذكر عدله فإنها لا تولد غير جدية سريعة الانقضاء والنفاذ.

إن هذه الحقيقة تطلعك على ارتباط عوامل الجدية الجماعية بجميع أعمال الدعوة على اختلاف أنواعها، وصلتها هذه بالناحية الثقافية دليل على أن التحسن والنجاح في أي جانب من جوانب الخطة الشاملة يؤدي إلى زيادة ونمو في جدية المجموع، مما يقنعنا بأننا إن أردنا كمال التشغيل إن أردنا كمال التشغيل والاستغلال للطاقت فإن علينا أن نتوجه لرفع المستوى التربوي العام أكثر مما نتوجه للتعويل على حث الدعاة على انفراد.

ومما نستله من المثل الذي أوردناه: أن من متممات ذلك أن نطلع الداعية على قبح واضطراب الفلسفات وأفكار الأحزاب الأخرى، ولكن في خطوة مؤجلة لاحقة، حذرًا من أن تعلق بقلب الجديد شبهة أو ينطلي عليه تدليس.

## ٢٧- البرمجة الفردية والجماعية:

نُعلم الداعية كيف يرمج يومه، ونقيد تصرفاته ونشاطه في بعض أيام الأسبوع، لا ندعه فيها حراً، ليتعلم تنظيم الأوقات، ولكن من الضروري أن ندعه في الأيام الأخرى يماسر تجربة ذاتية بغير رقابة، إذ النفس تمل الرقابة الكثيفة.

ونعلمه برمجة أسبوعه، بحيث يخصص بعض الأيام لعمل معين أو لون من النشاط، مع الانتباه إلى تخصيص يوم راحة له مهما بلغت الضرورة لأن الإرهاق يولد الملل ويضاد حقيقة الجدية.

وتزداد أهمية البرمجة الشهرية ثم الفصلية ثم السنوية، فنعلم الداعية أن يضرب لنفسه موعداً منذ الشتاء أن يعمل كذا وكذا في الصيف، وأن يقرأ كتباً مسماة خلال السنة، ولا يترك همته تحركها الصدف فحسب، أو حين ساعة يتذكرها من بعد نسيها، أو يطالع ما تقع عليه عينه من الكتب دونما اختيار للأفصح والأهم، بل نلزمه بمجدول وخطوات متتالية مدروسة سلفاً.

إن فائدة هذه البرمجة لا تكمن في أنها تمنع من التفلت فقط، بل لها أثر نفسي كبير يؤدي إلى إتقان التنفيذ، إذ الداعية يظل يفكر فيما يتعلق بالأمر الذي سينفذه بعد مدة تفكيراً متواصلًا، ويصطاد الخواطر التي تأتيه حوله، حتى إذا جاهاه وبدأ التنفيذ: بدأه بتصوّر واضح، ولكن إذا نفذه بعد انقداح الفكرة في ذهنه بمدة قليلة فإن صورة الأمر ستظل ناقصة عنده، لقصر وقت التفكير التمهيدي، فيهمل بعض الفوائد نسياناً، ولقلة الاستعداد والتهيؤ، ولطبيعة الارتجال.



وتأتي بعد ذلك: البرمجة الجماعية والخطط التنفيذية مكتملة ومستدركة على نقص البرمجة الفردية، فتوجه وتنسق فرص الاستفادة من القابليات المختلفة على نسق خطط التنمية التي تضعها وزارة التخطيط في كل دولة، وليس هناك مانع من وضع جداول زمنية مفصلة والتطرق في الخطط ذات الطبيعة التنفيذية إلى فرعيات مختلفة، وهي غير الخطط التي تعين الأهداف والسياسات الخارجية والداخلية للجماعة والتي تكون هي المقصودة عادة عند إطلاق اصطلاح (التخطيط).

إن نجاح كثير من القادة العسكريين يعزي إلى تمكنهم من إصدار أوامر واضحة مفصلة إلى كل ضابط بمعيّتهم، كل حسب صنفه وموقعه في ساحة المعركة، وقيادات المناطق والقطاعات فيا لجماعة يمكنها أن ترفع مستوى الجدية في التنفيذ كثيراً إذا استطاعت ترجمة الخطة العامة التي تضعها القيادة العليا للجماعة إلى جملة خطط تنفيذية تعين الوسائل وبمجاميع العمل والواجبات التفصيلية.

إن لجان الجماعة المختلفة إذا تمكنت من وضع برامج سنوية لها فإن التزامها بها كفيل بإيجاد ما يمكن أن ندعوه بأنه الذاكرة الجماعية العامة التي تبرز كعامل رئيسي في إحلال الجدية، ولا ننفي أن صياغة مثل هذه البرامج تستدعي صرف جهود مكثفة، إلا أ، المصلحة الكامنة فيها تسوغ صرفها.

## ٢٨- التخصص وتوزيع الأعمال:

إذ أن، لكل داعية طبيعة وهواية، والمفروض أن القادة يملكون أخباراً وافية عن صفات العاملين معهم، في شبه عملية إحصائية تنتج عن تتابع الجلسات الإدارية، وبذلك يمكنهم تطبيق القول العرفي الصائب في وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ونضيف هنا أن يكون بصحبة مجموعة مناسبة قريبة في صفاتها منه، فتنشأ عن ذلك عندئذ مجاميع التخصص واللجان الاختصاصية المختلفة وفروعها.

إن علاقة التخصص بالجدية واضحة، لأن المتخصص يعمل في محيط من الرؤساء أو الأقران أو المساعدين الذين يفهمونه، ويحاورهم ويحاورونه على بينة وعن إدراك وفي تجانس فكري وتقارب في الآراء، يشعرونه بأهمية صوابه إن أصاب، فينطلق لزيادة، ويفرح بخير يجري على يديه، وإن هو إخطأ: أعطوه الدليل على ذلك، فيفرح أيضاً بفقده عند إخوانه لم يوجههم إلى تهجم عليه،

## وصايا للدعاة

وبذلك بنفتح باب واسع للإبداع المتواصل لا يتاح لذي مقدرة مغمور بين إخوة له، يخالفونه في طبيعة الاهتمامات والثقافة، وليس للجندية غاية أبعد من الإبداع.

إن العمل اليوم في كل الدول والأحزاب إنما يبني على المشاركات الجماعية، وحتى العلوم البحتة، كالفيزياء والكيمياء، لم يعد فيها مجال كبير لاكتشافات فردية، بل لعمل مجاميع العلماء، وهكذا فإن العمل الجماعي الإسلامي من ضروراته: تقسيم التخصصات وعمل المجاميع المتعاونة، في البحث السياسي، والتخطيط، والاتصال بالكبار، والعمل الصحفي وغير ذلك وبذلك تسير الداعية همة جماعية لا تدع له فتوراً.

ومن الضروري أن تنتبه هنا إلى أننا نتحرى في الداعة الكفاية الفطرية والموهبة الكامنة فيهم إذا أردنا توزيعهم على اللجان الاختصاصية، وليس من شرط ذلك أن يساندها اختصاص مهني أو شهادة جامعية، فقد يكون الخبير السياسي أو الصحفي عندنا طبيبا أو مهندسا يحوز ما لا يحوزه الممتحن الخريج.

## ٢٩- نظرة إلى معنى الزهد في بعده الدعوى

نعم، نحن لا ننفي مصاعب العيش التي تضطر بعض الدعاة إلى هذه الهجرة، وطلب اليسار والغني وازع وغريزة، ولكن تربيتنا مكلفة بأن تحمل الدعاة على شد ركبهم والأخذ بالعزيمة وتكلف الصبر على الفقر، وأن تشعرهم بحلاوة الجزاء الأخرى ولذة النجاح في تحقيق التأثير الفكري الإسلامي والأخلاقي في الناس.

ولعل من أسمح الجزاف أن يطلق البعض قوله فيصف البلدان التي يهاجر إليها الدعاة بأنها مقابر لهم، وإنهم يتحولون فيها إلى أصفار على الشمال، ذلك أن الأرض كما أنها لا تقدر أحداً ولا تشرفه فإنها لا عقله أو تأسره، وصاحب النشاط هو هو أينما ذهب، ولكن استجابة المجتمع الغريب له تكون ضعيفة جداً، فلربما مال إلى يأس، ونظرة الانصاف تريك أنواعا من الفوائد قدمها المهاجرون، وإنما نحن ندعو إلى موازنة مصلحة كمية لسنا نجد كبير عناء لاكتشاف رجحان مقدار نفع الدعية في بلده وبين أقرانه وأهله على مقدار نفعه في الخارج، ومن هنا كانت وصية الجاسوس الأميركي إلى رؤسائه بحمل الدول النفطية على إيجاد فرص عمل للدعاة جيدة، وهي الوصية المشهورة في الوثيقة الخطيرة التي فضحتها مجلة الدعوة.

بل وأكثر المهاجرين إنما هم ضحايا تصورات خاطئة كونها لأنفسهم قبل رحيلهم، فإنهم لا يزيدون في هجرتهم على أن يستبدلوا متاعب الحاجة المادية بمتاعب أخرى من نوع جديد تنغص عليهم حياتهم أيما تنغيص.

فالمهاجر إن أحسن في المجتمع الغريب: لا يشكروه، وإن أخطأ: لا يعذروه، ويظل يعيش عن أهل البلد بمعزل، ومع بقية المهاجرين في تنافس وتتوالى التهم عليه عند أدنى خلاف أو سوء تفاهم دونما حماية من أحد يستجير به، وتتراكب على عاتقه كل أمور بيته ولا معين له من أقاربه أو أصحابه فتبدأ الانتكاسات النفسية تترى عليه وعلى زوجه وأولاده، ويتأسف على أيام كان يسير فيها في بلده مرفوع الرأس، عزيزا بين معارفه، مهما ظلمه المتجبرون، أو أرهقه العوز، ويبدأ يحس أن الناس يعاملونه نفس معاملة أي صعلوك مجرد انتسأهما إلى بلد واحد، ويفتقد الأيام التي كان يمشي بها بين الناس بمفاخره وتاريخه ونسبه ومناقب أهله، إذ كل ذلك مهدر في المجتمع الغريب مجهول، وإنما يعاملونه كابن ساعته.

إن في هذه الحقائق ما يجعل من منع الهجرة عاملا مهما من عوامل الحفاظ على الجدية الجماعية، إلا هجرة مضطر يخاف أن يهدر دمه أو يطول سجنه أو تنتزع الأسرار منه بتعذيب، أو هجرة بعثة دراسية موقوته، أو هجرة قيادي يربي ويخطط.

### ٣٠- من عوامل الجدية :

إشاعة أدب الحماسة والرقائق الوعظية:

هكذا، الآن الآن فقط تأتي الحماسة، بعد كل هذه العوامل لتستثمر نتائجها، وتستصرخ، وليس قبل ذلك، فإن بعض من يعالج أسباب الفتور الجماعي، يتوهم العلاج، ويكون بعث الحماسة هو المفهوم الوحيد الذي يتبادر إلى ذهنه ابتداء وانتهاء.

## وصايا للدعاة

كلا، بل هي آخر الأسباب، وأضعف العوامل، ولكن يرجى أن يتضاعف أثرها إذا استطعنا تجاوز التعابير الحماسية العرفية إلى أساليب أعلى فيا لمعني والمبني، مع تفنن بلاغي متنوع.

وإذا أجدنا إعادة الحاسة الجمالية الشعرية إلى جيل الدعاة الجديد المقطوع عنها فإن غرر الشعر ستكون عند ذلك مصعد حماسة وأداة ترقيق للقلوب بالغة الأثرن ولعل أشد الشباب غفلة وافتتاً على مصالح نفسه يتعظ بربته على كتفه مع همسة في أذنه، خفيضة النبرة، عالية الأصداء، إذا عاتبته فقلت له:

فكم تسدر في السهو وتختال من الزهو

وتنصب إلى اللهو كأن الموت ما عم

وحتام تحافيك وإبطاء تلافيك

طباعاً جمعت فيك عيوباً شملها انضم

وزود نفسك الخير ودع ما يعقب الضير

وهيئ مركب السير وخف من لجه اليم

وكما أن الرقائق تقطع القلب بالدينيات، فيتفرغ لأعمال الدعوة، فإن القصص كذلك أيضاً، ويجدر بأدبنا أن يتناولها بسعة.

ولعل بعض من ينحي المنحى الشديد الالتزام بنصوص أقوال أئمة السلف يرى في القصص بأساً، لما ينقل له عن دور القصص فيوضع الحديث وإلهاء الناس، ولكن سمت الوسط يدعوه إلى قبول الدائر في حد الصدق والجد منها، فإن (القصص لا يذمون من حيث هذا الاسم، لأن الله عز وجل قال: نحن نقص عليك أحسن القصص، وقال: فأقصص القصص، وإنما ذم القصص لأن الغالب منهم: الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد، ثم غالبهم يخلط فيما يورده، وربما اعتمد ما أكثر محال فأما إذا كان القصص صدقا، ويوجب وعظاً، فهو ممدوح، وقد كان أحمد بن حنبل يقول: ما أحوج الناس إلى قاص صدوق) (٤٢).

على أننا نعني ما هو أبعد من ذلك، من أسلوب القصص الأدبي، الواقعي أو المحتمل الوقوع، والذي ينهض ظهيرا لأدب الحماسة، ونظن أن من الضرورة بمكان سعي من يقص للدعاة نحو التجديد فيها، فإن تكرار قصص الصدر الأول والمشاهير كاد أن يولد مللا في نفوس وإشباعاً، وهم مدعون إلى الكشف عن بطولات جديدة معاصرة أو من التاريخ الحديث والأوسط للأمة الإسلامية، على نمط ما ذكره الأستاذ أبو الحسن الندوي من ظهور معدن البطولة في الهند (إذا هبت ريح الإيمان) فيها، أو ما ورد من أخبار الغازي عثمان باشا وصدارته للمحمة بلافتنا الإسلامية في القرن الماضي، أو جرأة البارحة حميدية في ضرب موانئ اليونان.

ومع ذلك فإن ظهور القدوة يبقى أساس التربية وبيعت الحماسة فينفس المقابل، ويكون له من الأثر التلقائي الدائم في المجموعة ما لا تصل إلى مستواه المواعظ المجردة.

### ٣١- المبالغة في السرية تجفف القلوب الندية

إلا أن هذا الوعي لضرورة هذا المنحنى اليقظ ينحرف به الغلو عن مقصده وسمته فقد يتصور البعض طبيعة من السرية الصارمة وفردية الاتصال وتباعد وقت اللقاء، ذلك ممكن لكنه في الأحزاب لا عندنا، لأن شخصية الداعية المسلم ليست كغيرها، وتلزمها رقة وشفافية، وتقوى واعتدال مزاج، ولطف حس ودماثة خلق وعمق فقه، والتفرد يضعف هذا الخصال في الداعية، ويجعله جافاً، كثيف الروح، ولقد أرهقتنا تجربة الجهاز السري بمصر في أعقاب مقتل الإمام البنا رحمه الله، وتحولت بعض عناصره إلى شبه عصابات اختلفت فارتكبت القتل، وسالت دماء مسلمة بريئة، وما كان ذلك إلا من جراء المبالغة في السرية ووضع السلاح في أيدي الضعاف قبل حصول التربية العميقة، فقسفت القلوب، وطفح الغرور.

إنه درس ينطق، يعلمك، وجوب الاحتياط المضاعف وترسيخ التربية الإيمانية وإطالة الفترة التجريبية.

لسنا ألوية إيطالية حمراء، ولا رجال عصابات، ويجب أن لا يطغى الضرر على المصالح التي نجنيها، فضلاً عن صعوبة هذه الصرامة، إذا يحول دونها ارتياد المساجد، وحجاب نساتنا، وأدبنا الفريد وعفافنا المميز، وفي هذا ما يجعل التجميع الواسع ضرورة فوق كونه تيار ضغط ومجال انتقاء، لتضيق القلة المصطفاة في الكثرة المنشرة، دون أن يعرفها المراقب والفضولي.

## وصايا للدعاة

وثن ذلك: فطم لسان الدعاة عن كلام كثير يستسهلون تداوله اليوم أثناء التعارف والاستطراد في المجالس، ومن خلال تحقيقات الصحف الإسلامية، فهم يذكرون أسماء وأخباراً لا ضرورة لذكرها، وينبشون تاريخاً، ويفضحون أسراراً، وما لم تتبدل هذه الطباع، ونجيد التمييز لحدود الأحاديث المتبادلة والمقالات الصحفية فإن صفنا معرض كله للانكشاف والمخاطر.

كفي، كفي أيها الأخوة.

كأننا نتقدم نحو ساحة الصراع ببراءة الطفولة وسذاجة الدراويش، والمفروض أن يكون الذي جرى لنا كافياً للموعظة والذكرى، ولتكوين الوعي والفتنة، وكل ما يقال عن اختلاف الظروف ووجود المجالات الحرة في بعض البلاد إنما هو كلام نظري لا تنهض له شواهد واقعية، وكل ما في الأمر أن التضييق على الدعاة لم يحن أوانه بعد في تلك البلاد، لضعفهم وعدم توليدهم لخطر حقيقي على أعداء الإسلام، وسيضربون ضربة موجعة متى اقترب خطرهم، وأل ما يجب على الدعاة إذا استبعدوا هذه التخوفات: أن يجعلوا طبيعة التكتم أو الإعلان أمراً نسبياً، لا يسارع معه من يفضل الإعلان منهم إلى إغابة مسلك المتكتمين، فإن لكل بلد ظروفه التي يقررها أهله.

وأما ما يقال عن المصالح التي تكمن في علنية القيادة وانتصاب أركانها قدوات للدعاة وزعماء للجمهور فكلام صحيح لا شك فيه، ولكن الإبقاء عليهم أحراراً يفيدون الدعوة بعلومهم ووعيمهم وتجاربهم بعيداً عن أيدي الطغاة ورصاص جماعات الاغتيال الحزبية يضمن مصالح أكبر وأكثر، ومن الممكن أن يقوم بدور الزعامة الجماهيرية دعاة من غير أعضاء القيادات.

## ٣٢- توازن الممارسة السياسية والتربية الإيمانية.

إن طريقنا ليس مثل طرق الآخرين، والأحزاب العلمانية إنما تعتمد الخداع أو الإرهاب والبطش في توسيع نفوذها، أو هي تغريهم بالمصالح والمنافع المادية، ولكن ليس لنا نحن إلا علوم الشريعة نتحدث بها ونحلل الواقع والمستجدات وفق موازينها، وإلا هذا لإيمان الذي يكون في القلب، فيفيض على الوجه والجوارح، فيقلده الناس إذا شاهدوا آثاره، ويكون هو مدخلنا لإقناعهم بأفكارنا وانضمامهم إلى حركتنا.

إن هذا الطريق الإيماني هو الضامن لعدم الانحراف، وبدون التربية عليه تنتج نفوس تفقه السياسة، لكنها صلبة لا تعر الرقة، وقلوب ربما تجيد الفوارت والثورات، لكنها قاسية، وربما نشا التضارب بينها.

وبعض إخواننا الذين يدعون إلى تجاوز التمهد التربوي يستشهدون بالثورة الإيرانية، كيف أنها كانت ممارسة سياسية جمعت الجماهير واستوعبت ونجحت.

وما نظن استشادهم في محلة، فإنهم رأوا الخميني ثائرا ولم يروه مربيا وممهداً، إذ كان له عمل قديم لسنوات طويلة يوم لم يكن أحد يعرفه، واستثمر المشاعر التي تركها نواب صفوى رحمه الله وأصحابه من جماعة فدائيان إسلام، وكتابات على شريعتي في الفكر والتربية، فوق استناده أساساً على قوة مركز العلماء في الجمهور الشيعي، وعلى شعور الترابط الذي يسودهم كطائفة.

لقد عرفوا الخميني بتعريف وكالات الأنباء والصحف له لما بدأ معارضته، وغفلوا عن تاريخه السابق فظنوا أن تجاوز المراحل في العمل مستساغ، وأصبحوا يريدون القفز من على الأسوار التي يقرها العقل السليم لكل مرحلة من مراحل العمل.

كلا، فإن الخميني لم يكن متسوراً، ولا قفز قفزاً، بل تأني ومهد وربي، وعلى إخواننا أن يفعلوا الذي فعل.

إن البعض يحاول نقد مسيرة الدعوة كلما رأى فوز الآخرين، ومنهم من يعزو طول الطريق إلى الجمهور التي تستهلكها التربية الإيمانية، فيدعو إلى اطراحها وتجريد العمل في السياسة، ولكننا نرى أن العمل التربوي هو الأساس الذي تستند عليه جولاتنا السياسية، ونظنه خطأً أصيلاً يميز العمل الجدي الدائم عن العمل الارتجالي السريع.

### ٣٣- التدرج في الإصلاح:

ذلك أن النفوس تألف الاعوجاج إذا عاشت فيه دهرا طويلا، وتتصلب على ما تألف من المعاصي، وإذا أردنا لها نقلة مفاجئة سريعة،: حاصت وتمردت، وتفطنت، تبغي التملص فنضطر إلى الترفق، وتجزئ الخير في ورود متتابع متصل، حتى يكتمل.

## وصايا للدعاة

والأساس الفقهي الذي تستند عليه قاعدة التدرج يكمن في قاعدة ترجيح المصلحة الكبيرة على الصغيرة عند تعارضهما، فإن، امتناع الناس عن قبول الخير دفعة واحدة قد يؤدي بهم إلى شقاق لنا يتطور إلى فتنة عارمة، وهي مفسدة كبيرة، نبعدها ونأى عنها باحتمال مفسدة تأخير إعلان وتطبيق الحق الذي يرفضونه.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

"إنما نزل أول ما نزل منه -أي القرآن- سور من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام: نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً".

ولسنا نريد بذلك التملص من بعض الشرع، فإن الشرع كامل، وكله واجب، ولكننا في تطبيقه على الناس أول أيام حكمنا أو في دعوتنا الناس له قبل أن نحكم، أو في تربية الدعاة عليه: يسوغ لنا أن لا نحدث به أو نطبقه دفعة واحدة، بل في خطوات.

ودلينا على صواب هذا السلوك ما كان من الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فإنه خليفة فقيه، وكان قد جاء إلى الحكم بعد مظالم ارتكبها بعض الذين سبقوه، فتدرج ولم يستعجل، فدخل عليه ولده عبد الملك فقال له:

(يا أبت: ما يمنعك أن تمضي لما تريده من العدل؟ فوالله ما كنت أبالي لو غلت بي وبك القدور في ذلك.

قال: يا بني: إني إنما أروض الناس رياضة الصعب، إني أريد أن أحيي الأمر من العدل فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فينفروا من هذه، ويسكنوا لهذا)(٤٣).

أي يخرج طمعهم بالموعظة والتأني، ليكون عن قناعة، لا بخوف من السطوة والعقاب.

ويبدو أن هذا الولد الصالح قد حاز حماسة فاقت التي عند أبيه فدعته إلى معاودة الاستغراب من سياسة التأخير والتدرج، فكان منه أن:

(٤٣) كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال/٩٩، والصعب هو فحل الجمل العنيد.



(دخل على أبيه، فقال: يا أمير المؤمنين: ما أنت قائل لربك غدًا، إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تمتها، أو سنة فلم تحيها؟

فقال أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرًا.

يا بني: إن قومك قد شدوا هذا المر عقدة عقدة، وعرورة عرورة ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم: لم آمن أن يفتقوا على فتقا يكثُر فيه الدماء. والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يراق في سبي محجمة من دم أو ما ترضي أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحي فيه سنة؟(٤٤).

هكذا... إذ المهم أن تكون هناك نية جازمة، وسير وإحلال للخير والسنن، وأما مقدار ذلك فتحدده الظروف وردة الفعل المعاكسة، ولا بد من تكيف للمحيط، ولا بد من مرونة تمتص الصدمات المحتملة.

### ٣٤- شروط تقدم الجماعة:

وضع سيد قطب رحمه الله ثلاثة شروط لتقدم الجماعة الإسلامية فتوقع أن:

(تنتصر هذه الجماعة على نفسها وعلى نفوس الناس منعها تارة، وتنهزم في المعركة مع نفسها أو مع نفوس الناس تارة، بقدر ما تبذل من الجهد، وبقدر ما تتخذ من الوسائل المناسبة للزمان ولمقتضيات الأحوال، وقبل كل شيء: بمقدار ما تمثل هي ذاتها من حقيقة هذا المنهج، ومن ترجمته ترجمة عملية في واقعها وسلوكها الذاتي)(٤٥).

(٤٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي/٢٤٠.

(٤٥) هذا الدين/٨.

فأما بذل الجهد فيجب أن يكون بحجم الحاجة، وما مناسبة الزمان والمكان إلا كناية عن وعي تفصيلي وتخطيط دقيق، وتمثيل حقيقة المنهج في الواقع السلوكي لا يكون إلا بتحول العواطف المجردة والحماسة الطارئة إلى تربية راسخة.

لكن الماشي في الصحراء سريع الملل، ما لم ير نوراً يسليه ويزيل وحشته، وما هذه الآراء، إلا بارقة أمل تدفع نحو العمل الجاد، ولقد امتلأت حواضر الإسلام اليوم بدعاة رجاة تفخر بهم الأمة، وحق لذلك أن نرتاد لهم ونكشف المزيد من ربوع الرجاء.

### ٣٥- لكن الصاعدون يعيدون البناء

من هنا كان الخيار أمام دعاة الإسلام خياراً واحداً، لا ثاني له، ولا تنازل عن بعضه: أن يطلقوها صيحة تكبير لله تعالى، تميد لها الطواغيت مضطربة، ويقىموها صلاة تسجد معها الجباب، عنواناً لطريق تربوي يتولى مهمة التغيير...

وتعالى التكبير: يا سدة الأصنام ميدي، ويا علوج تنائي

فالصلاة الطهور عالية الأصماء جوابه.. بكل فضاء

هزت الجاهلي فاهتز إنساناً ثابت العزم مثل الأعباء

إنه طريق البناء بالصلاة يهز رجال اليوم فيتركون أطواراً جاهلية تكتنف حياة المجتمع وينتظمون في الدعوة، كما هز رجال جاهلية العرب بالأمس، فإن الإنسان يصيب كمال إنسانيته بدون الصلاة، إذ هي من تمام فطرته، وبها يترك هو الجاهلية كله، ويشرع في حمل أعباء التغيير الثقيل، مثلما يصفو ذهنه، فيكتشف ضرورة حمل السلاح...

فليس تنفع مظلوما شكايته إن لم يجالذ بسيف صارم حذم

ولو أجاب بغير السيف: لم يجب...

وذلك فهم قدس رواه ابن قتيبة الدينوري عن علي بن أمية أول زمن بني العباس، لما آله ما هنالك من اضطراب عم فيه:

فناء مييد، وذعر عتيـد  
 وجوع شديد، وخوف وضيق  
 وداعي الصباح، بطول الصباح  
 السلاح السلاح، فما نستفيق(٤٦)  
 فما كان يدري، أيهما أعجب: إيغال الظالم في غوايته، أم مبالغة المظلوم في غفوته؟

### ٣٦- بين الاقتحام المرتجل والوداعة الساذجة

هما طريقان خاطئان ننكرهما:

طريق التهور والمجازفة، والتسرع والاختصار، دون تربية ممهدة، ولا بث وعي مساند، فإن مثل هذا العمل لا يقف على أرض صلبة، ولا له احتمال دوام، بل هو الفورة المرتجلة التي ترتفع ومعها أنقال هبوطها، والمفروض في الدعاة أن يكونوا (أعمق فكراً، وأبعد نظراً، من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا إلى أعماقها، ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها)، والجماعة (إذا استخدمت قواعد الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال، مضطربة النظام، أو ضعيفة العقيدة، خامدة الإيمان، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك)، والقاعدة في ذلك: (أن أُل درجة من درجات القوة: قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدها قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً)(٤٧).

وطريق التربية المجردة، الباردة غير اللاهبة، العزلاء المستضعفة: لنا إنكار عليه مماثل، فإن سير الأنبياء عليهم السلام لتنكر هذا الطريق، ولو أنهم نظروا إلى أسلوب قيام دول الشيوعية وإلى مراحل قيام دولة اليهود لأنكروا على أنفسهم قبل إنكارنا عليهم.

ورحم الله الرافي، ما أفقعه، وأعلمه بطريق الإصلاح حين يقول:

(لو أنك صبغت البحر بملء قارورة حمراء لما صبغت البحر الإنساني بالزاهد والمصلح، ما دام المصلح شيئاً غير السيف، وما دام الزاهد شيئاً غير الحاكم)(٤٨).

(٤٦) عيون الأخبار ١/١٣٢.

(٤٧) للإمام البنا في المؤتمر الخامس

(٤٨) وحي القلم ٢/١٩٧.



فلو فرضنا أنك تصبغ البحر الأزرق بلون أحمر بواسطة مجرد قارورة حمراء واحدة، مع استحالة ذلك، فإنك لن تحصل على نتيجة من صلاحك في المجتمع ما دام السيف ليس في يدك، وما دمت بعيدا عن الحكم، إن هذا الأمر مستحيل أكثر من استحالة تبديل لون البحر بمجرد قارورة حمراء.

إنه لا قيمة لزهد وإصلاح بلا قوة تتحرك.

بل اعلم أنك:

متى تجمع القلب الذكي، وصارما ووعيا عليا: تجتنبك المظالم

فالجاهلية تستأسد على جماعة الإيمان وتريد الإيقاع بها، ولن يتمكن المؤمنون من دحرها إلا بهذه الثلاثة:

باجتماع الفراسة السياسية، وهي: القلب الذكي.

مع القوة، يجازتها، أو بالتغلغل الصامت، وذلك: الصارم.

مع الفقه الحركي الرفيع باستعلاء المفاصلة، وذلك هو: الوعي العلي.

فجد وعيا صحيحا لحقيقة المعركة، تحمله قلوب ذكية بعيدة عن السذاجات.

وجدا صارمًا تحمله سواعد قوية لا تعول على مجرد تقديم المذكرات.

وجد عزة مستعلية، تحملها نفوس أبية لا تخدرها حلاوة الخلوات.

تجتنبك المظالم.

وتعصف بالجاهلية.

إن الدعوات تسرف في الكلام أحيانا، وترفع المنابر لخطبائها:

تنصح حكاما ما هم بأحرار ابتداء، ولو أنها سلكت طريق الخزم لكان أسهل لها وأقصر.

ولذلك نبه الإمام البنا جنده إلى طبيعة مستقبلهم، وطلب منهم الاستعداد، وذكرهم بأنهم (سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة) (٤٩).

### ٣٧- خلوص النية: خلاصة العطية

ويبهر الناظر إلى سيرة السلف عمق الاقتران التام في سلوكهم بين التربية الإيمانية والممارسة السياسية والجهادية، حتى لتقتنع بأنهم لم يكن ليتاح لهم التأثير الذي تركوه والنصر الذي حازوه إلا بتهديب النفوس وكثرة العبادة.

ليست أمثلة الصحابة والتابعين والصدر الأول فحسب، وإنما هو إعطاء الإيمان حتى في قرون التخلف أيضاً، وينتصب عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية مثالا كامل الأوصاف، وهو شقيق شيخ الإسلام أبي العباس، وكان فقيها كأخيه، مع أن شهرته أقل وله باع في الحديث ومعرفة الأسانيد ورجالها.

قالوا: (كان صاحب صدق وإخلاص، قانعاً باليسير، شريف النفس، شجاعاً مقداماً، مجاهدًا، زاهدًا، عابداً، ورعاً، يخرج من بيته ليلاً، ويأوي إليه ليلاً، ولا يجلس في مكان معين بحيث يقصد فيه، لكنه يأوي المساجد المشهورة خارج البلد، فيختلي فيها للصلاة والذكر، وكان كثير العبادة والتأله، والمراقبة والخوف من الله تعالى) (٥٠).

وفي سرد مثل هذه الأوصاف المجتمعة ما يخبرك أن الشاعر لم يكن خيالياً متوهماً لما رسم صورة الحر، وإنما هي نماذج واقعية حية أفيطمع أن يأخذ دعاة الإسلام اليوم من هذا الفقيه جهاده وشجاعته وإقدامه، دون زهده وورعه وذكره؟

ويبرز إبراهيم بن علي الواسطي ثم الشامي المتوفى سنة ٦٩٢ قدوة أخرى، ونموذجاً لهذا الشمول، فقد وصفوه بأنه (ملازم للتعبد ليلاً ونهاراً، قائم بما يعجز عنه غيره، ومبالغ في إنكار المنكر، بائع نفسه فيه، لا يبالي على من أنكر، يعود المرضى، ويشيع الجنائز، ويعظم الشعائر

(٤٩) المؤتمر الخامس.  
(٥٠) ذيل طبقات الحنابلة ٣٨٢/٢.



والحرمت، وعنده علم جيد، وفقه حسن، وكان داعية إلى عقيدة أهل السنة والسلف الصالح، مثابراً على السعي في هداية من يرى فيه زيغاً عنها) (٥١).

وما تطمح تربية إلى تكوين رجال أوفى منه في هذه الخلال، وكأن من يصفه يصف نموذج الداعية الذي نريده، يتحرك حركته اليومية الجامعة.

أفيطمع أن يأخذ دعاة الإسلام منه إنكاره المنكر، واختلاطه بالناس وعلمه دون عقيدته وعبادته؟ إن طبيعة الشخصية التنفيذية ليست سياسية بحتة، ولا يكفيها تفاعلها التربوي مع المواقف، فإن الولاء السياسي لا يرتقي إلى درجة الولاء الإيماني، وقد يخالطه طمع دنيوي، وهذه الصور والنماذج السلفية الأصيلة تعظ المخطط السياسي المسلم وتجبره على أن يمر بالدعاة المنفذين المخططة في الممر التربوي الإيماني الأخلاقي، لينمي فيهم عشر صفات متكاملات مترابطات، تسمح له أن يطمع بفوز، وأن يعد المستضعفين به، وأن يتمنى.

### ٣٨- رجاء العبودية الخائفة:

فإن مدار أمرنا على العبودية الخالصة لله رب العالمين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: (يا معاذ بن جبل: قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على عباده أن يعبدون ولا يشركوا به شيئاً).

وانظر إلى ثمن هذه العبادة لما استدرك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا معاذ بن جبل: قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك: قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم) (٥٢).

هكذا تبدأ تربية المسلم، بخوف العذاب واستحضار هذا الخوف كلما قرأ القرآن، فقد جعل الله تعالى وجل القلوب صفة إيمانية فقال: (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ

(٥١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٢٣٠.

(٥٢) صحيح البخاري ٨/١٣٠ طبعة محمد صبيح.

زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) حتى تقشعر الجلود من بعد، كما قال الله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ)، ثم يكون انهمار دموع العين، فإنهم (إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ).

وتساقط دموع أخريات إذا يوبخ أحدهم نفسه ويحثها أن:

ويحك يا نفس احرصى	على ارتياد المخلص
وطاوعى، واخلصى	واستمعى النصح وعى
واعترى بمن مضى	من القرون وانقضى
واخشى مفاجأ القضا	وحاذري أن تحدعى

ويظل وجلا حتى يستوقفه الرجاء، ويتذكر أن رحمة الله سبقت غضبه، فتتعادل حالته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة: لم يبأس من الجنة. ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب: لم يأمن من النار) (٥٣).

ويأخذ يرجو لنفسه الخير إذا رأى نعمة الله عليه في الإسلام، وأنه أحسن حالا من الكافر وأولى بأن لا يطره اليأس، ثم ينتبه إلى نقصان حاله عن كمال الإيمان، فيظل لا يجزم لنفسه بالأمن.

(الصفة الثانية): ذوق حلاوة الإيمان:

كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يجبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار) (٥٤).

(٥٣) صحيح البخاري ١٢٣/٨.  
(٥٤) صحيح البخاري ١٣/٨.

## وصايا للدعاة

فحب الله أول موارد هذه اللذة، وهو أصل إيماني ثابت كررت ذكره الآيات، كما قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)، وإذا كان هذا الحب من العباد: تكرم سبحانه عليهم بحب مقابل، كما قال عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)، ولذلك جمع الله تعالى هذين الحبين المتقابلين، فأبأ عن نفسه وعنهم، أنه وإهم: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ).

وحب النبي -صلى الله عليه وسلم- مكمل لحب الله تعالى، ولا نشهد لمن تجرد عنه بإيمان، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (فو الذي نفسي بيده: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) (٥٥).

وينمو هذا الحب بكثرة ما نتلقن من فضائل النبي -صلى الله عليه وسلم- وشمائله وأخلاقه، وبكثرة ما نقرأ من صفحات الحديث، وتلك هي التربية التي نعنيها.

## ٣٩- علو الهدف الواحد:

الاختيار إنما هو اختيار واحد، وقد تجنح النفس إلى اختيارات هابطة تراحم هدفها السامي، إلا أن التقاء الهدفين محال، وسد الشاعر طريق التقائهما لما أخبرنا أن:

الهوى الدنيوي والهدف العلوي في النفس ليس يلقىان

وهذه الحقيقة تدعونا إلى تجريد وتمحيض الإخلاص في نفوس الدعاة العاملين، وأن يتحرروا من كل الأطماع والشوائب، وأن يظل هذا التجرد يتعاضم فيهم حتى يصل إلى درجة التبطل في أداء العمل للدعوة الإسلامية المباركة، ويصيرون (كأن مادتهم من السحب، فيها لغيرهم الظل والماء والنسيم، وفيها لأنفسهم الطهارة والعلو والجمال، يثبتون للضعفاء أن غير الممكن ممكن بالفعل،



إذ لا يرى الناس في تركيب طباعهم إلا الإخلاص، وإن كان حرمانا، وإلا المروءة، وإن كانت مشقة (٥٦).

إن طريق الدعوة واحدة لا يحتمل الشركة، وعلامة الداعية القائم لله ولنصرة دينه بصدق: (أن يكون أنسه بالله تعالى: والغالب على قلبه: حلاوة الطاعة، إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة، إما محبة الدنيا، وإما محبة الله، وهما في القلب كالماء، والهواء في القدح، فالماء إذا دخل: خرج الهواء، ولا يجتمعان، وكل من أنس بالله: اشتغل به ولم يشتغل بغيره، ولذلك قيل لبعضهم: إلى ماذا أفضى بهم الزهد؟ فقال: إلى أنس بالله، فأما الأُنس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان) (٥٧).

#### ٤٠- امتزاج القلب والعقل:

فإن الإنسان هو هو: ساذج منخدع.

والأهواء هي هي، كيدها لا يعظ البعض، فيأبون إلا تكرار التجربة، والسير في الدرب المهش، وقد خدعت هذه الأهواء الشاعر مع علمه بأنها استدرجت سلفا له، وأخبر أنها ستظل تغري اللاحقين، فراح يكشف الحقيقة، ويخفف من مراراتها بتوهمه لذة فيها يستطيعها، ويقول:

يا طيب أهواء      تغري ولا تسلي

لم يغني عنها      من سار من قبلي

كم موكب بعدي      في لهفة السؤل

يمشي على دربي في مدرج الرمل!!

انظر: غنها لهفة السؤل، أي تفكيره العقلي فقط، لا تأمله الروحي القلبي.

لكنها عندنا هي حياة القلب والعقل معاً، ولا بد من امتزاج العواطف الإيمانية بالعقل الاتباعي، ولا العقل الحر الأهوائي، إلا ما يكون من العمل بإشارة العقل السليم لاكتشاف المصالح الكامنة

(٥٦) وحي القلم ٢/٢٩١.

(٥٧) إحياء علوم الدين ٤/٢٤١.

ي الأعمال لتكون دليلاً لنا إذا لم يكن هناك نص شرعي، وليس هو العقل الذي يتجاوز صحاح النصوص فيتخبط.

وما زالت هذه الساحة مجال صراع منذ القرون الأولى، وما زال أمرنا يقوم على نقد العقلانية المعتزلية، وترك القياسات المفرطة المعطلة للأحاديث الصحيحة.

### ٤١- رفض التسايط الجاهلي:

فإن من لا يضبط نفسه: لا يؤثر في غيره.

وقد قال إقبال:

كل من في نفسه لا يحكم هو في حكم سواه مراغم

أي: يحكمه سواء رغما عنه، وكما أنه في النفس فهو في الحكم السياسي العام أيضاً، تحكمه الأحزاب، ومجاميع المغامرين، حتى ليجد السفية ثغرة يلج منها فيتصدر، وذلك ما أخبرنا به النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يتحدث عن علاقات الساعة قائلاً يصف شدة الانحراف:

(إنها ستأتي على الناس سنون حداعة: يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويضة: قيل وما الرويضة؟ قال: السفية يتكلم في أمر العامة) (٥٨).

وكم من رويضة اليوم يقود، غفلة الشعب فقط هي التي أوصلته، يعطيه في الانتخابات الأصوات على غير ما هدى وبلا ميزان، أو يعزف عن العمل الجماعي المنظم فيؤسس السفية عصابة ترفعه.

والوعي إزاء هذه الفلتات وعيان:

وعى رجل يعاتب الشعب، ويستنكر غفلته، ويقف ع ند مجرد التبيكيت، ويدقق في محاسبة السذج، وتقريعهم، ويستعلى مستشفياً، ويترك الجليل المخدوع في ورطته، متزويماً هو بوعيه، ويظل يردد من مقبعة مرة بعد مرة أن:

(٥٨) حديث صحيح في مسند الإمام أحمد برقم ٧٨٩٩، بتحقيق أحمد محمد شاكر.

يا شعب لا تشك الشقاء      ولا تطل فيه نواحك  
لو لم تكن بيدك مجروحاً      لضمدنا جراحك  
أنت أنتقيت رجال أمرك      وارتقيت بهم صلاحك  
فإذا بهم يرخون فـوق      خسيس دنياهم وشاحك  
أيسيل صدرك من جراحتهم      وتعطيهم سلاحك  
لهفي عليك، أهكذا      تطوى على الذل جناحك

ولم يقل غير الحق ولا وصف غير الواقع، ولكن وعيه هو الوعي السليبي المفضول، ويقابله وعي داعية مبادر، كله إيجابية واستدراك، قد تيقن أن الشعب ضحية تربية أرادت له الاستكانة وحرمته قواعد التمييز، فهو في حث لهم، واستنهاض وتجميع، وتربية، وتنظيم، ليكتسح بهم منازل السفهاء ووكر كل رويضة، فيطفق يعلمهم مع رشيد مغزى التكبير العاصف بالطواغيت، ويلقنهم الهتاف..

فتية الإسلام إن باغ تجبر      فاصرخي في وجهه: الله أكبر  
وإذا الغادر عن لؤم أشاحا      فأطلقوها صرخة: الله أكبر  
ومن القرآن فلنقبس هـدان      كبروا يا إخوة: الله أكبر  
يد عزم بيد أخرى سننصر      فيدوي عزمنا: الله أكبر

ثم يقف بهم على ثنية ثانية، وفي صعدة أخرى، من بعد ما بين لهم نظام العمل الجماعي، ونهج الحكم الإسلامي، ويدع للرافعي المنبر، ليشدد عليهم، ويزيد نظرية تأثير التكبير تأكيداً، فيدوي صوته...

(لا تضطربوا.. هذا هو النظام.

لا تنحرفوا... هذا هو المنهج.

لا تتراجعوا... هذا هو النداء.

لن يكبر عليكم شيء ما دامت كلمتكم الله أكبر (٥٩).

إن الشعوب قد طوت على الذل جناحها، وسلمت سلاحها، وهي التي جرحت نفسها إذا رضيت بالمخادعين، حكماً، ولو كان منطقنا دنيوياً لوقفنا موقف العتاب والتقريع للشعوب، ولكنه واجب شرعي كلفنا الله به: أن نزيل هذه الطواغيت، وأن نكون نحن المصلحين لإفسادها، الوارثين من بعدها.

## ٤٢- عيش الجد الدائب

وهو الذي كان عليه أكثر الصحابة، وأجيال الفتوح الأولى من التابعين، والذين أرسوا قواعد العلم منهم ومن أتباعهم، وعمر بن عبد العزيز وجماعته الذين جددوا الأمر، وأحمد بن حنبل ورهطه الذين تصدوا للبدع، والمجاهدون من الفقهاء، والدعاة الذين تركوا في مقاتلتهم قصصاً فيها تذكرة لأولى الألباب.

لقد رصدوا أنفسهم للتأثير في الحياة، ولم تكن لهم آمال شخصية، ولذلك استطاعوا إعزاز الإسلام، فقبس لهم الإسلام من عزته.

وتماً مية مصعب بن عمير رضي الله عنه نفس الداعية موعظة حتى ليكاد أن يشرق باللقيمات قبل أن يقلقه التنعم والبطر.

ففي صحيح البخاري: (أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أتى بطعام وكان صائماً، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في بردة، إن غطي رأسه، بدت رجلاه، وإن غطي

رجلاه، بدا رأسه) قال الراوي: (وأراه قال وقتل حمزة وهو، خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام) (٦٠).

هكذا ميتة الفتى الذي كانت تدلل أمه وتلبسه ثوب الحرير مرة واحدة تستبدله بغيره إذا اتسخ، لا تغسله.

آمن لما عرف الحق، فتجرد.

وبقلة يقتدون يتجرده تستطيع الدعوة أن تغير مجرى الحياة، ولكن الدعاء اليوم يطمعون، فيكسلون!

إن التحديات المنتصبة أمام الدعوة لكبيرة حقاً، والمعركة دائمة، ولا أمل إلا بإحياء السمات القديم الأول.

وتعجب حقاً لدعاة تراهم في كل بلد، يستطيعون الجلوس إلى بعضهم طويلاً، ويتبادلون التحاب، تغمرهم رحاب التأخي، والصراع من حولهم مستعر، ولو أنهم التقوا سراعاً لقاء التناصح والتواصي، ثم نفروا يعلمون الناس ويتحولون، لكان خيراً لهم، ولكانت دعوتهم أظهر.

### ٤٣- رهبة موقف الموت:

فيستحضر موت المعتمد بن عباد رحمه الله، الذي حكم الأندلس دهرًا، كأعز ما تكون الملوك، ولما عزله المرابطون ونفوه إلى أقاصي مراكش ومات: ما زاد الناس في التنادي للصلاة على جنازته غير قولهم: (الصلاة على الغريب) (٦١).

وللعاقل في ذلك عبرة، وذو القلب الحي يشعر بغرته في هذه الدنيا قبل النداء عليه، ويدرك أن:

الناس في هذه الدنيا على سفر وعن قريب بهم ما ينقض السفر

(٦٠) صحيح البخاري ٩٣/٢.  
(٦١) نفع الطيب ٣٥٦/٥.

فمنهم قانع راض بعيشته — ومنهم موسر والقلب مفتقر

والنفس تشبع أحياناً فيرجعها نحو الجماعة حب العيش والبطر

فيختار القناعة، ويرضى بغني القلب، وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن، ولذلك يجب استمرار خوف أحدنا من بقية عمره، حذراً أن يوسوس الشيطان له بنكوص، وهو الله وحده يثبت القلوب، ومن هنا كانت المحاسبة ركناً أساسياً في الاختيارات التربوية الإيمانية التي أرشدنا إليها الإمام البنا رحمه الله، وأوجب علينا:

(أن نحاسب أنفسنا على الماضي، وعلى المستقبل، من قبل أن تأتي ساعة الحساب، وإنها لآتية...)

على الماضي: فنندم على الأخطاء، ونستقيل العثرات، ونقوم المعوج، ونستدرك ما فات، وفي الأجل بقية، وفي الوقت فسحة لهذا الاستدراك.

وعلى المستقبل: فعند له عدته، من القلب النقي، والسريرة الطيبة، والعمل الصالح، والعزيمة الماضية السباقة إلى الخيرات.

والمؤمن أبداً بين محافتين: بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه) (٦٢).

### ٤٤- عزم التعاهد المبكر:

فإن طريق الوفاء نحن فيه.

وإنك بمجرد أن تكون داعية: تعادي.

وإنه لقانون يبشر به ورقة بن نوفل نبينا - صلى الله عليه وسلم - فيقول:

(لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي).

عداوة تطلق لمروءة ورقة العنان فيقول:

(يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك).

ثم يبادر فيبايع:

(إن يدركني يومك: أنصرك نصرًا مؤزرًا) (٦٣).

وهكذا سن ورقة في أمتنا سنة المبادرة المبكرة إلى التعاهد، فألزمنا من بعده.. لا فكاك.

وفي ذلك إشارة قوية إلى ما يجب أن يكون عليه الداعية من همّة الوفاء، وأن عليه نصر يوم الدعوة الفاضل.

### ٤٥- خروج المخاطر الباذلة:

فإن عملنا هو عمل تعرضي، وما هو بمجرد عمل سياسي بحت، ولا هو بالعمل التربوي المجرد، وإنما نحن حركة لدعاتها مخارج ومخاطر، وبذل.

كذلك سماها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما سئل عن أفضل العمل، فقال:

(رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء) (٦٤).

فانظر وحلل هذه الكلمات: تجدد كيف أنه:

خرج: وهو الخروج اليومي للتبشير بالدعوة، أو دخول المعارك الحاسمة، لا يحدث نفسه بأوبة.

يخاطر: فسيماها مخاطرة، وإلا فما أسهل الإقدام على العمل المضمون.

بنفسه: أي بروحه، بدمه، بجسده، لا يخشى حبلا ولا رصاصة.

وماله: أي براتبه، وموارده، وأملاكه التي هي ملك الدعوة وأجازت له الانتفاع منها.

فلم يرجع بشيء بعد ذلك، لأنه انتقل نقلة البذل في الله، ومن طبيعتها أنها لا رجوع فيها، بل لها توجه نحو الأمام فحسب، بلا التفات.

(٦٣) صحيح البخاري ٦/١.

(٦٤) صحيح البخاري ٢٤/٢.

يقدم لها غير وجل، ويقول غير آسف:

وأراني أسمو بسعبي ووعيي      عن جزاء من معدن الأرض، بخس  
حسب نفسي من الجزاء شعوري      أنني في الإله أبذل نفسي  
لكنها الأرض قد اهترت وربت وأنبتت البهيج لما كان البذل.

### ٤٦- قطع العلائق الدنيوية:

ولا عجب إن كررت هذه المواعظ ذم الدنيا واقتصررت على أمور الدين، فإن الأكثرين قد شغلتهم الدنيا حتى صاروا بمسالكها خبراء، ولكنه الدين الدين، كما قال عطاء بن يسار:

(دينكم دينكم، لا أوصيكم بدنياكم، أنتم عليها حراس، وأنتم بها مستوصون) (٦٥).

والتخفف منها ضروري للإسراع في خروج المخاطر، ومن استكثر، أثقلته وأهنته، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: (إن قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم)، ولذلك كره الفقهاء كثرة التمتع بالحلال، لما فيه من تخذيل الممتع عن الجهاد وإبطاء النفرة.

وما لم يكن هذا التقلل: كان الاسترسال في الاستزادة، وعراض التمنيات، فإن إغراءها دائم لا يفتر، والنفس تضعف، وكم من لاحق لم يعظه ماض، ولما التفت الشاعر بعد الانتباهة وجد الركب مزدحما، ورأى وراءه قوما ما زال يستدرجهم حبيها، فقال ندمان آسفاً:

ما أنت يا دنيا وما      أبقيت للأحلام مني؟  
تطوين بالإغراء أيامي      وأطويها تمنني  
غيت حبك وانتشيت      وكم فتى بعدي يغني



ولذلك كان من تمام واجب الدعوة أن تنتشل دعايتها من ركب النشوة الهائم، وتميزهم في ركب جد مستقل، وتعاكس أغاني الغافلين بحذاء التوبة الإيمانية، إذ يرفع الحادي صوته شاكرًا... .

صحا قلبي وأقصر بعد غي طويل كان فيه من الغواني

بأن قصد السبيل فباع جهلا يرشد وارتحى عقبي الزمان

وقدما كان معترما جموحا إلى لذاته سلس العنان

وأفلق بعد صبوته وأضحى طويل الليل يهرف بالقران

ويدعو الله مجتهدا لكيما ينال الفوز من غرف الجنان

فتمضى قافلة الخير في الطريق عازمة.

غير أنه طريق الفتور الإيمانية، لا طريق الرهبان النصارى، كما قال بعض الشيوخ: (طريقنا تفني وليس تنصر).

قال بن تيمية: (يعني هو استعمال مكارم الأخلاق، ليس هو النسك اليابس) (٦٦).

وآية ذلك: أن لا تترك المال بتاتا، فإنه عصب الحياة والعمل، ولكن تجعله في يدك لا في قلبك، غير فرح به إذا أتى، ولا آسف إذا فات، كما قال تعالى: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ).

هذه الصفات: بعضها يسند بعضا لتكوين الشخصية الإيمانية التي تتولى تنفيذ الخطة الإسلامية.

وفي كلها فضل وخير، غير أن نفس الداعية الحر تبقى طامحة إلى نيل الشهادة.

ليس بين مقتله وبين الجنة إلا خطوة واحدة، كما وصفها جابر بن عامر شاعر ربيعة للإمام أحمد أيام الحنة، إذ لقيه وهو يرسف في الأغلال يقودونه إلى المأمون، فقال جابر:

(يا هذا: ما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة ها هنا!) (٦٧).

(٦٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٨٤/١١.

(٦٧) مناقب الإمام أحمد/٣١٢.

ليس أكثر.

قال أحمد: فشدت كلمته قلبي أيما شد، وثبتتني.

وهكذا: أقل من خطوة.

القتل هاهنا.. والجنة هاهنا... متجاورين.

ليس بينهما صحراء..

وما ثم إلا نقلة.. يسيرة.

وسمع عمر رضي الله عنه إنساناً يقرأ الآية: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) فقال عمر: (إنا لله وإنا إليه راجعون، قام رجل يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فقتل) (٦٨).

قال الطبري: (فكل من باع نفسه في طاعته حتى قتل فيها، أو استقتل وإن لم يقتل، فمعنى بقوله: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، في جهاد عدو المسلمين كان ذلك منه، أو في أمر بمعروف أو نهي عن منكر) (٦٩).

وهو، كما يقول الطبري أيضاً: (إنما شراها للوثوب بالفريق الفاجر) (٧٠).

والوثوب بالفاجر هو اللفظ الصحيح لقولنا: الوثوب على الفاجر، أي الثورة عليه، ومنازعة، ومحاولة تنحيته.

فهذا واجبك أخي، فامض إليه.

أنت مدعو للوثوب بالفريق الفاجر الذي استولى زوراً.

ولك من الجزاء: مرضاة الله.

وقد ربح البيع، ربح البيع.

(٦٨) تفسير الطبري بتحقيق أحمد ومحمود شاكر ٢٥٠/٤.

(٦٩) تفسير الطبري بتحقيق أحمد ومحمود شاكر ٢٥٠/٤.

(٧٠) تفسير الطبري بتحقيق أحمد ومحمود شاكر ٢٥٠/٤.

## ٤٧-الثقافة التاريخية للدعاة

يحتاج الداعية خلال مسيرته الدعوية إلى إثراء مجموعة ثقافات تلزمه في دعوته .. ومن هذه الثقافات الثقافة التاريخية .. فالتاريخ هو ذاكرة البشرية، وسجل أحداثها، وديوان عبرها، والشاهد العدل لها أو عليها، ويهمننا في ذلك تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية خاصة، وتاريخ الإنسانية بصفة عامة، أعني المواقف الحاسمة منه، والملامح الرئيسية فيه.

لماذا دراسة التاريخ؟!!!

• لأن التاريخ يوسع آفاق الداعية في اطلاعه على أحوال الأمم، وتاريخ الرجال .. فيرى الإنسان من خلال دراسة التاريخ بعين بصيرته كيف تعمل سنن الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جور؟ وكيف ترقى الأمم وتهبط، وكيف تقوم الدول وتسقط، وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم، وكيف تحيا الحضارات وتموت، وكيف ينجح القادة ويفشلون، وكيف تنام القلوب وتصحو. قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [الحج:٤٦].

• ولأن التاريخ أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم، فهو مرآة مصقولة تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى، ونهاية الكفر والفجور، وجزاء الشاكرين لأنعم الله، وعقوبة الكافرين بها.. وكيف يجني من يغرس الخير، ويحصد من يزرع الشوك، ولذا عني القرآن الكريم بذكر قصص السابقين، وتواريخ الغابرين، لما فيها من عبر بليغة، وعظات حية.. كما قال تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) [ق:٣٦، ٣٧].

والداعية يحتاج إلى أن يستشهد للمعاني والقيم التي يدعو إليها بأحداث التاريخ، ومواقف الأبطال، وأحوال الأمم.. فهذا أعون على تثبيتها في العقول والقلوب..

• ولأن التاريخ كثيراً ما يعين على فهم الواقع الماثل، ولا سيما إذا تماثلت الظروف، وتشابهت الدوافع، وهذا ما جعل العرب قديماً يقولون: "ما أشبه الليلة بالبارحة"، وجعل الغربيين يقولون: "التاريخ يعيد نفسه"، بل القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى كما في قوله: (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) (البقرة: ١١٨).

## ٤٨- حقائق ينبغي أن ينتبه لها الداعية

١- أن يستخرج المغزى الأخلاقي للتاريخ، واتجاهات الأحداث فيه، وحصادها الناطق بلسان الحال؛ وأن يستنبط منه رؤوس العبر، ومواقع العظمة.. لا أن يستكثر من الجزئيات، ويُسهب بالتفصيلات والوقائع.

٢- أن يكون ذا وعي يقظ للوقائع التاريخية التي تخدم موضوعه، وتعمق فكرته، وتقدم لها الشواهد الحية.. وليس من اللازم أن يجد هذه الوقائع في كتب التاريخ المتخصصة، بل كثيراً ما يلتقطها بحسه الواعي من مصادر قد لا يلتفت إليها كثيراً رجال التاريخ، فقد يلتقطها من القرآن الكريم فيما قصّ علينا من أخبار الأمم، وقد يلتقطها من كتب الحديث والآثار.. وقد يلتقطها من بعض كتب الأحكام مثل كتاب "الخراج" لأبي يوسف، وكتاب "الأموال" لأبي عبيد، وقد يلتقطها من كتب الأدب، أو كتب الحسبة، أو كتب الرحلات، أو كتب الفتاوى.. أو غيرها.

٣- أن يعني بسير الرجال، ومواقف الأبطال، وبخاصة العلماء، والدعاة، والمرشدين الربّانيون، والأئمة المجتهدون.. وفي تاريخنا ثروة من السير تمثل فيها الأسوة الحسنة، والقُدوة الصالحة، وتبرز الشخصية المسلمة مجسدة في مواقف وأعمال.. كما نلمس ذلك في كتب الطبقات والتراجم، ونجد ذلك في "سير أعلام النبلاء"، و"وفيات الأعيان"، و"طبقات ابن سعد" و"تهذيب التهذيب" و"حلية الأولياء" و"صفة الصفوة".

٤- أن يهتم بربط الحوادث والوقائع بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية، فالذي يطالع تاريخنا الإسلامي بعمق، ويتأمل سيره بدقة، يجد أن المد والجزر، والامتداد والانكماش، والنصر والهزيمة، والازدهار والذبول.. كلها ترتبط بمقدار صلة الأمة بالإسلام أو انفصالها عنه، وقرّبها من تعاليمه أو بعدها عنها، وحسبنا أن ننظر نظرة عَجلى إلى عصر الراشدين، أو عصر عمر بن عبد العزيز، أو عصر الرشيد، أو عصر نور الدين وصلاح الدين.. لنرى تمسكاً بالدين أو رجعة إليه، ونرى ثمارها عزّاً وازدهاراً، والعكس بالعكس في عصور أخرى.

٥- أن يكون محور التاريخ الإسلامي هو الإسلام نفسه دعوة ورسالة، وأثره في تربية الأجيال، وتكوين الأمة المسلمة، وإقامة الدولة الإسلامية، وبناء الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية، وتأثير الإسلام في العالم كله، وقدرته على الانتشار عند القوة، والمقاومة عند الضعف،

واستطاعته التأثير في الناس ليعتقوه عن رضئ واختيار - كما تم ذلك مع السلاجقة والتتار - واحتزانه أيضاً كل أسباب الحيوية، وطاقت القوة لإمداد أمة الإسلام بروح الجهاد، وعنصر المقاومة.. لإثبات الذات، واستعادة المجد.

وينبغي للداعية أن يركز على الحقائق التاريخية التالية:

١- يجب إبراز الجاهلية العالمية والعربية بكل أفكارها، وتصوراتها، ودعواتها، وأساليبها.. بلا إفراط ولا تفريط.

ذلك أن التزعات التبشيرية والاستشراقية.. تريد أن تُلبس الجاهلية الحاضرة لبوساً حسناً، مضخّمة ما كان لها من حسنات، متغاضية عمّا عجت به من مثالب، وقد طرب لذلك القوميون، وخصوصاً من العرب، فحرصوا على عرض الجاهلية العربية مبرأة من كل عيب.. كما يبدو ذلك في دراسة التاريخ والأدب، وما سمي "المجتمع العربي".. متجاهلين ما كان عليه العرب قبل الإسلام من فساد العقائد والأخلاق والأنظمة والتقاليد!

ورضي الله عن عمر الذي قال: "إنما تنقض عُرا الإسلام عُروة عُروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".. وهذا بشرط ألاّ يمسّ ذلك ما تميزت به أمة العرب، ولغة العرب، وأرض العرب.. من خصائص ومزايا رشحتها لحمل الرسالة الإسلامية الخالدة إلى الناس (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يُجْعَلُ رِسَالَتُهُ) [الأنعام: ١٢٤].

٢- ينبغي الاهتمام بحركات الإصلاح والتجديد في تاريخ الإسلام، وبرجال التجديد الذي يبعثهم الله بين حين وآخر ليجددوا لأمة الإسلام أمر دينها، كعمر بن عبد العزيز، ونور الدين الشهيد، وصلاح الدين، والشافعي، وابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، وحسن البنا.. وقد يكون المجدد فرداً أو جماعة أو مدرسة إصلاحية، يبرز بها اتجاه في الإصلاح له سماته وخصائصه.

٣- كما يجب الالتفات إلى دور الإسلام ورجاله وأثره في حركات المقاومة والتحرير التي ظهرت في العالم الإسلامي، منذ وطئت أرضه جيوش الاستعمار، فرغم المكر الصليبي، ومحاولات التخدير والتضليل.. لم يسلم الاستعمار من المقاومة الباسلة في كل بلد دخله، وأريق الدماء، وسقط الشهداء تلو الشهداء.. ولم تزال المقاومة على مر الزمن حتى كان التحرير، وكان الإسلام وعلماؤه ودعاته وراء هذا الجهاد للاستعمار بريطانياً كان أو فرنسيّاً أو إيطاليّاً أو أسبانياً؛

كأمثال الشيخ ابن باديس في الجزائر، والشيخ عمر المختار في ليبيا، والشيخ العربي الدرقاوي في المغرب، والشيخ عز الدين القسام في فلسطين.. ومئات غيرهم، وقد شهد بذلك مؤرخون غربيون مثل "برنارد لويس" في كتابه "الغرب والشرق الأوسط".

وعلى الداعية أن يحذر في المجال التاريخي من أمرين هاميين:

• أولاً: أن يحذر الروايات التاريخية التي دُوّنت بلا تمحيص ولا تحقيق:

فليس كل ما تحويه كتب التاريخ صحيحاً تماماً.. فكم حوت مراجع التاريخ من مبالغات وتشويهات وتحريفات تكذبها الحقائق الثابتة بالاستقراء أو بالموازنة بالأدلة الناصعة في مصادر أخرى؟!!

وكم لعبت الأهواء والعصبية السياسية والدينية والمذهبية دورها في كتابة التاريخ وفي رواية وقائعه، وتلوين أحداثه، وتصوير أبطاله مدحاً أو ذمماً، إيجاباً أو سلباً! وخصوصاً إذا علمنا أن التاريخ يكتبه عادة المنتصرون الغالبون، والغلبة لها بريق وأضواء كثيراً ما تعشى أعين المؤرخين عن سوءات الغالبين، في حين تُضخّم أخطاء المغلوبين، وتطمس فضائلهم عن قصد أو غفلة.

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامي الذي يتعلق بأمثل عصور الإسلام وأفضلها وهو تاريخ العصور الأولى التي شهد لها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالخيرية، والتي انتشر فيها الإسلام في الآفاق، وانتشرت معه لغته وفقهه، واتسع فيها تعلم كتابه وسنة نبيه، وهو تاريخ عصر الصحابة ومن تبعهم بإحسان.. إذا نظرنا إلى هذا التاريخ وجدناه قد ظلّم وشوّه في كتب التاريخ أي ظلم وتشويه؟! ثم يجيء المعاصرون ليأخذوا من تلك الكتب بعجرها وبجرها، وبغنها وسمينها.. ويقولون: نحن لم نأخذ عن الطريقة العلمية الموضوعية، فمصدرنا فيما نقل من نصوص تاريخية: الواقدي، أو الطبري، أو ابن الأثير.. نعزو فيما نأخذ إلى جزء كذا، صفحة كذا، طبعة كذا..

هكذا يصنع المستشرقون، وهكذا يفعل أساتذة التاريخ في الجامعات، وهكذا يسير الذين يكتبون عن التاريخ ممن يريدون أن يشوهوا تاريخنا الناصع، ويطعنوا بعظمائنا الأفاضل.

كان لزاماً على علماء الإسلام، ورجال الاختصاص، وأهل التحقيق.. في كل زمان ومكان.. أن يكلفوا أنفسهم في البحث عن النصوص التاريخية، والتحقق من أسانيدها، والعوامل السياسية التي أثرت فيها.. ولا سيما المطاعن التي سدّدت لجليل الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

وعذر الأئمة كالطبري وأمثاله في أمرين :

الأول : أنه يروي الحوادث بسندها إلى من رواها ، وقد قيل : " من أسند فقد حمل " وكان هذا مقبولاً في زمنه لكثرة العلماء.

وقد قال الطبري نفسه في مقدمة تاريخه: " .. فما كان في كتابي هذا مما يستنكره قارئه أو يستشعنه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة فيعلم أنه لم يؤت من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا ، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا .. " ، وهكذا أخرج نفسه من العهدة وألقاها على القارئ.

والثاني : أنه لم يهتم بتمحيص ما روي؛ إذ موضوعه التاريخ ولا يترتب عليه حكم شرعي من تحليل أو تحريم أو غيرها .. وقد قال عن نفسه مسوغاً هذا التساهل بقوله : " ... إذ لم نقصد بكتابنا هذا الاحتجاج " يقصد الاحتجاج للأحكام.

الأمر الثاني : الحذر من التفسيرات المشوهة للتاريخ

في عصرنا اليوم الذي هو عصر الأهواء والعصبية والتيارات الفكرية يتعرض تاريخنا الإسلامي لتفسيرات مشوهة مغرضة من قبل أناس قلبوا الحقائق، وحرّفوا الكلم عن مواضعه، وإليك - أخي الداعية - نماذج من هذا القلب والتشويه:

فالمستشرقون والمبشرون.. حين يبحثون في التاريخ يخدمون به فكرة بيتوها عن محمد صلى الله عليه وسلم ودينه وأصحابه، فمحمد صلى الله عليه وسلم عند هؤلاء ليس برسول الله، والإسلام ليس بدين الله، وأصحابه ليسوا إلا عصابات من المغامرين المتنافسين على الدنيا، المتعطشين لإراقة الدماء، المكرهين الأمم بالقوة على الإسلام.. لا يعتقدون بدين سوى اليهودية والنصرانية، أما الإسلام في زعمهم نسخة محرّفة منهما، وتعليم بشر، حتى الحضارة الإسلامية فإنها طبق الأصل عن حضارة اليونان والرومان.. (ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [التوبة: ٣٠].

وفي سبيل هذا يغفلون أحياناً قيمة، ويضخمون أحياناً تافهة، ويعتمدون أخباراً ضعيفة أو مكذوبة، يتصيدونها من أي كتاب، ولو كان كتاب "الأغاني" للأصفهاني. ويوجهون هذا كله

## وصايا للدعاة



توجيهًا مغرضًا مسمومًا يؤيد اعتقادهم السابق عن الإسلام وكتابه ورسوله وأصحابه وأمته..  
كأمثال المبشرين: جرجي زيدان، وفيليب حتى، وسلامة موسى..

والماركسيون الشيوعيون .. يفسرون التاريخ - وفقاً لفلسفتهم المعروفة - تفسيراً مادياً طبقيًا،  
ويحاولون أن يطبقوا ذلك على نشأة الإسلام وظهوره، ويسفون في ذلك غاية الإسفاف،  
ويحتملون الوقائع والأحداث ما لا تحتمل، ويقسمون الصحابة - رضي الله عنهم - إلى يمين  
ويسار، ويديرون صراعًا موهومًا بينهم..

وكثيرٌ من كتّاب المسلمين أنفسهم - ويا للأسف - يخلعون على حوادث التاريخ، ومواقف  
رجاله ما عرفوه وخبروه من الأعيب السياسة، ومواقف رجالها في هذا.. ويتخيلون العلاقة بين  
عمر وخالد، أو بين عثمان وعلي، أو بين علي ومعاوية وطلحة والزبير - رضي الله عنهم جميعاً  
- من أمثال العلاقة بين الطامحين والطامعين من رجالات الأحزاب، وتجار السياسة في عصرنا،  
ويفسرون المواقف والأحداث تبعاً لهذا التصور الظالم، والمتجني على هذا الجيل المثالي الذي لم  
تكتحل عين الدنيا بروية مثله، بل عقت أم التاريخ أن تلد جيلاً مثل هؤلاء!!

والقوميون من العرب .. يوجهون التاريخ الإسلامي كله وجهة قومية بحتة، فالإسلام في نظرهم  
انتفاضة عربية أو وثبة من وثبات العبقريّة.. ورسول الإسلام - صلوات الله وسلامه عليه -  
بطل قومي، جادت به أمة العرب على الإنسانية!!

فمن الطبيعي بعد هذا التفسير المشوّه للتاريخ أن يغدو أبطال الإسلام، وعلماءه، ورجالاته  
الكبار على مدار الزمن في نظر هؤلاء أبطالاً عرباً، وأن تُسمى الحضارة الإسلامية أيضاً "حضارة  
عربية".. وذلك لقطع الصلة بين العرب وبين الإسلام.. علماً بأنه لولا الإسلام لما كان  
للمسلمين في التاريخ بطولات ولا حضارة ولا أمجاد.. ورحم الله الفاروق عمر أمير المؤمنين  
القائل فيما رواه الحاكم: "نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام؛ فمهما ابتغينا العزة بغير الإسلام، أذلنا  
الله".

فعلى الداعية أن يحذر مثل هذه التشويهات والتفسيرات للتاريخ الإسلامي، بل عليه أن يحذر  
الجيل المسلم من أن يقعوا في شركها، ويتأثروا بمفاهيمها..



كان يأتي إلى المسجد الوحيد في المدينة من مكان بعيد جداً لأداء صلاة الفجر، وعلى الرغم من المخاطر التي كانت تقابله وكانت تمنع كثيراً من الناس من الحركة في هذه الساعة المبكرة من اليوم، فقد كان حريصاً أشد الحرص على ذلك، وسماعته يقول: "منذ أن قرأت قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة"، وأنا حريص على أن أكون من أهل هذا الحديث، إن شاء الله.

سألته: ما الذي دعاك إلى الإسلام ..؟!

فقال: ولدت في جزيرة صغيرة في البحر الكاريبي لأب مسلم وأم نصرانية، كنت أرى أبي يؤذن في البيت ويصلي، ولكني ما كنت أعرف ماذا يفعل، فقد توفي وعمري سبع سنين فقط لا غير، كل الذي أدريه أنه أسرَّ إلى في مرض وفاته قائلاً: (أنت مسلم يا ولدي .. إياك أن تذهب إلى الكنيسة مع أمك .. أنت مسلم، أليس كذلك؟! ) ثم فارق الحياة ..

نسيت وصية أبي .. أو قل: لم أكن أفهمها . وذهبت إلى الكنيسة، فقد كانت أمي كاثوليكية متدينة، وما كنت أقتنع بكثير مما أسمع أو أراه هناك.. فلما كبرت كنت أتفقت من قيود الكنيسة، واشتغلت بالتجارة، فانفتحت على الدنيا، فازدادت غفلي وبعدي عن التفكير في الأديان جميعها.

حتى جاء اليوم الذي سافرت فيه إلى جزيرة (جاميكا) لغرض التجارة، كنت أسير في أحد شوارع العاصمة ، وفجأة .. سمعت صوتاً رخيماً متخشعاً ينادي بالأذان، ما كنت أعرف ماذا يقول، ولكني تذكرت والدي، تذكرته وهو يشدني على صدره، والدموع تملأ عينيه، ويقول لي: ( أنت مسلم .. أليس كذلك؟! ) وكأنه يستعظني أو يستجديني، أحسست برعدة شديدة تسري في حسدي، لا أدري لماذا اقترن الإسلام عندي بالأذان، فما كنت أعرف عنهما شيئاً . وأخذت أرتجف، حتى انفجرت بالبكاء .. مشاعر كثيرة اختلطت في ذهني، وكأني وجدت شيئاً عزيزاً على نفسي طالما افتقدته .. بكيت، وبكيت .. وما كنت أبالي بنظرات المارة الذين ينظرون إلي ويتعجبون.

ذهبت أبحث عن مصدر الصوت، حتى دلوني على المسجد، فوجدت المؤذن رجلاً كبيراً أمياً لا يعرف شيئاً كثيراً عن الإسلام، فعاجلته بالسؤال بعد السؤال، لكنه لم يشف غليلي، وإنما دلني



على مكتبة المسجد، فما وجدت فيها شيئاً أقرؤه إلا ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية .. فأخذت أقرأ بنهم شديد حتى وقفت على قول الله تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المائدة: ٧٣) .. فأحسست بهزة عنيفة أيقظتني من سبات عميق، وما بت تلك الليلة إلا وأنا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

تأملت هذه القصة، ثم رجعت إلى نفسي، وقلت: كم هم أولئك الحيارى الذين يتخبطون في ظلمات الجاهلية شرقاً وغرباً، بل وفي ديار الإسلام، ومنهم من كانت أمهاتهم غير مسلمات ومع ذلك لم نحسن عرض الإسلام عليهم بصفائه ونقاؤه ومحاسنه العظيمة؛ على الرغم من التقنيات الهائلة التي تميز بها هذا العصر، حتى إن القرآن العظيم لم تيسر لنا ترجمة معانيه ترجمة سليمة خالية من الأخطاء المنهجية واللغوية إلى اللغات الحية فضلاً عن اللغات الأخرى.

إن البشرية .. كل البشرية متعطشة إلى هذا القرآن العظيم لينقذها من حيرتها وتخبطها، وإنه أمانة عظيمة، فهل نعي هذا؟!..!!

## ٥٠- دور المسجد في بناء الشباب<sup>(١)</sup>

مرحلة الشباب هي المرحلة الحرجة التي يمر فيها الشباب بتغيرات جسمية ونفسية وعاطفية، ويتعرض فيها للصراع بين المثل العليا والسقوط في حمأة الرذيلة، وللتناقض والازدواجية بين ما يلقيه وما يعيشه وبين ما يسمعه وما يراه.

المسجد طوق النجاة

والمسجد بالنسبة للشباب في هذه المرحلة هو طوق النجاة، والداعية الناجح هو السباح الماهر الذي يستطيع أن ينتشل هذا الغريق من بين أمواج الفتن والظلمات التي تكتنفه من كل جانب .. ونحن نوجه الحديث هنا إلى الدعاة فقط، ولا نخطب الموظفين من أجل "لقمة العيش" فهؤلاء نسقطهم تماماً من الحساب .. نتحدث مع الدعاة الذين حملوها أمانة ملكت عليهم أنفسهم،

(١) بقلم / عبد الرحمن واصل

وسرت في شرايين أجسامهم، فأصبحت هي شغلهم الشاغل وهمهم المُقعد المقيم.. لا عن الذين قال فيهم الشاعر:

فأما القتال فلا قتال لديكم... .. ولكن سيراً في عراض المواكب

إن الداعية الذي أخلص لله نفسه هو الذي يجعل من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوته ومثله الأعلى، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المحور الذي تدور عليه الحياة من حوله، فقد كان أباً لكل صغير، وأخاً لكل كبير، وملاًذاً يلجأ إليه الناس لحل ما استعصى عليهم من مشاكلهم، وقد كان المعلم والمشرف الاجتماعي والطبيب النفسي، ولن يستطيع الداعية إلى الله تمثّل هذه القدوة إلا بثقافته العالية التي تنمو يوماً بعد يوم، فرسالته وعلمه هما اللذان يفرضانه على الناس، والعمل الجيد يفرض نفسه.

وبالطبع لن نستطيع استيعاب دور المسجد في هذا المجال الضيق، ولكننا سنركز على ما يمكن أن يقدمه المسجد للشباب، فالمسجد وحده هو الذي يستطيع أن يقدم للشباب ما عجزت أن تقدمه لهم المدرسة والبيت والشارع ووسائل الإعلام.

يقول علماء النفس في هذا المجال: إن مرحلة المراهقة هي الفترة التي يكون الدين فيها بالنسبة للشباب، هو المخرج والمنتفس الوحيد، الذي يحقق له الأمان من الضغوط النفسية والمشاكل الانفعالية، التي تقع عليه من داخل نفسه وخارجها.

فذكر إخواننا الدعاة أن المعركة ميدانها عقول الشباب، والشباب الذي يعاني من الفراغ الديني يقع فريسة لا تكلف شيئاً للشيوعية والمذاهب التي تدعو إلى التحلل من ضوابط الدين.

وإن الشيوعيين (وكل أصحاب الأفكار الهدامة) على ما عندهم من البضاعة المزجاة، فإنهم عرضوها على الشباب عرضاً أنيقاً منمقاً، جعل بعضهم يفتتن بهذا المسخ المنحرف للفطرة البشرية.. فكيف بنا ونحن أصحاب الدين الحق نفشل في عرض ديننا عرضاً قوياً مغرياً ينبئ عن حقيقته الرائعة..؟

وإن نصيباً كبيراً من هذا التحلل الذي ينتاب الشباب يقع العبء فيه والمسؤولية عنه أمام الله في ساحات القيامة على عاتق الذين يخذلون دينهم ودعوتهم، أو الذين يسيؤون طريقة عرض الدين على الناس، أو يعرضونه بطريقة منفرة

ما الذي يمكن أن يقدمه الداعية إلى الشباب؟

إن شبابنا في طول الوطن الإسلامي وعرضه ما زال بخير رغم حملات التضليل الضارية التي تشن عليه من كل الجبهات المعادية للإسلام.. وشجرة الإيمان ما زال أصلها ثابتاً في قلوبهم، ولكنهم يفتقدون القيادة.. يفتقدون القدوة، بعد ما أصيبوا بالإحباط وبالغصص في حلوقهم وهم يرون الأكابر كل يوم يقولون ما لا يفعلون.. يسمعون كلاماً رناناً ووعوداً جوفاء يصرح بها اليوم لتبتلع غداً.

والشخصية الوحيدة التي يمكن أن تقدم هذه القدوة حية متجسدة هي شخصية الداعية المخلص، فيصبح بذلك أجمل عنوان لأعظم رسالة. ومهمة الداعية هي أن يقوم بعملية حصار للأباطيل والمبادرة إلى الرد على محاولات النيل من العقيدة، وتصحيح مفاهيم الشباب من الخلط والخبث الذي تمارسه وسائل الإفساد.

نريد أن تتحول خطبة الجمعة إلى "مدرسة الجمعة" مدرسة تعالج فيها موضوعات الساعة وقضايا الشباب، مدرسة تعرض عظمة الإسلام في معالجة مشاكل العصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ونحن لا نلقي بالاً للذين يهرفون بما لا يعرفون ويقولون بفصل الدين عن الدولة. (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) [الأنعام: ٩١].

ولا نريد من الداعية أن يكون دوره هو الدور الإيجابي الوحيد.. فما المانع أن يكون الداعية مكتبة في مسجده بالجهود الذاتية يستطيع كل رواد المسجد الاستعارة منها بموجب إيصال مطبوع يكتب عليه المستعير بياناته فتكون استعارة الكتب منها خالية من تعقيدات المكتبات العامة.. إننا نتمثل هذا العمل نستطيع جذب المزيد من السباب المسلم إلى المسجد وربطه به.

ما المانع أن يتنازل الداعية عن الدرس بعد صلاة الجمعة، ليقدم أحد الشباب من رواد المسجد ليلقي موعظة يكون هو قد أشرف على أعدادها أو يقدم طالباً من كلية الزراعة، أو الطب، أو الصيدلة، ليقدم إلى جماهير المصلين وجة علمية إسلامية من خلال تخصصه يفيد منها المسلمون في حياتهم العامة.. إن هؤلاء الشباب سيكونون صفاً ثانياً للدعوة إلى الله..

ومن أجل الأعمال التي يمكن أن يقدمها المسجد للفتاة المسلمة أن يخصص الداعية ساعة معينة في يوم معين من أيام الأسبوع لتكون درساً للمرأة المسلمة، والمرأة ليست أقل تأثراً من الرجل في

شؤون العقيدة، وليس هذا بدءاً من الأعمال، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جاءت امرأة إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرَّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تَعَلَّمْنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. قَالَ: "اجْتَمَعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا". فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَلِمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ تَقْدُمُ ثَلَاثَةَ مِنْ الْوَلَدِ إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ". فقالت امرأة: واثنين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "واثنين".

ومما يزيد من حيوية المسجد وإشعار المسلمين بعظمة الإسلام أن تقدم من خلال المسجد نماذج تطبيقية للسلوك الإسلامي في مجال التكافل الاجتماعي، بأن يقوم الداعية بمساعدة شباب المسجد بقيادة حملة لجمع التبرعات من الملابس والأغطية وغيرها، وذلك في بداية فصل الشتاء، ثم يقوم بعد ذلك بتوزيعها على الفقراء.

كل هذا النشاط يمكن أن يقوم به الداعية لمزيد من ربط الشباب بالعقيدة من خلال المسجد، ونحن نقدمها كأمثلة ولكنها ليست نظرية، لأنها طبقت وآتت ثماراً طيبة والحمد لله رب العالمين. ولعل بعض الأخوة الدعاة قد تجاوزوا هذه المرحلة فهنيئاً لهم توفيق الله لهم.

### المسجد ومشكلات الشباب العاطفية:

الإسلام لا يدفن رأسه في الرمال، ولا يعامل البشر كملائكة، ولم يجعل الجنس عيباً ولا دنساً ولا قدراً إذا كان في إطار من الحدود التي حددها الله عز وجل، وتأسيساً على ذلك فليس هناك مانع على الإطلاق من التعرض لمشكلات الشباب الجنسية والعاطفية، سواء أكان ذلك على المنبر أو في الدرس بعد الجمعة.

وليس من المعقول أن تعرض الفضائح على الشاشات، وعندها نأتي لنعالج نتخرج من العلاج، فنكون قد أخلينا الميدان تماماً لهذه الوسائل لتمارس الهدم كما يحلو لها..

ولأن الكلام في الجنس سلاح ذو حدين، فإننا سنضع بعض الضوابط التي تساعد الداعية في هذا المضمار:

أولاً: توعية المستمعين بأن الكلام في الجنس للإصلاح أو للتعليم ليس حراماً، فإن العلم يضيء بين الكبر والحياء، وهذا رسول الله ﷺ يقول: "أيها الناس.. إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أعجازهن".

ثانياً: معالجة الموضوعات الجنسية بصورة مهذبة، وألفاظ غير جارحة للحياء والمشاعر، ولنا في كتاب الله وسنة رسوله - عندما يتحدث عن الجنس - أسوة حسنة ومنهج راشد.

ثالثاً: عدم تسليط الأضواء القوية على الأفعال الجنسية والدخول في التفاصيل التي تثير الشهوات، فإن الله عز وجل عرض في القرآن قضية الشذوذ الجنسي، وتحدث عن اللحظات الحرجة التي يعلو فيها نداء الغريزة فوق كل نداء، تحدث عن يوسف وامرأة العزيز، مشهد جرت تفاصيله داخل حجرة نوم امرأة العزيز، ومع ذلك لم يكن تركيز القرآن على أنواع العطور التي وضعتها، ولا الملابس التي لبستها، ولا على صنوف المغريات والمهيجات، ولكن التركيز كان مسلطاً على موقف الترفع والتسامي والاعتصام بالله، وتفضيل النوم وراء القضبان على النوم على الأثاث والرياش ونيل المتعة، فينبغي على الداعية أن يكون غاية همه ليس الفعل في ذاته، وإنما في الأضرار المترتبة عليه.

رابعاً: على الداعية أن يكون محيطاً بالموضوع الذي يتحدث فيه إحاطة كاملة من شتى جوانبه، وأن تكون عنده خلفيات عنه يحتفظ بها لنفسه، فليس كل ما يقرؤه أو يعلمه يتحدث به إلى الناس، وذلك لأن نسبة عالية من الشباب الذي يستمع إليه قرأ الكثير عن الموضوع الذي يعرضه، فإذا لم يشعر الشباب الذين يستمعون إليه أنهم أضافوا إلى معلوماتهم جديداً، وصححوا مفاهيمهم الخاطئة من منطق الإقناع والحجة، فإن النتيجة ستكون فقدان الثقة بالداعية ومعلوماته معاً. ولعل في الكتاب الذي بين يديك وفي المراجع التي رجع إليها ما يعينك على كثير مما تريد، وفقني الله وإياك إلى سبيل الرشاد.. (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت: ٦٩].

## ٥١- علو الهمة في الدعوة إلى الله تعالى

• قال - تعالى -: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين).

- قال ابن القيم: مقام الدعوة إلى الله أشرف مقامات التعبد.
- ويقول أيضا: فالدعوة إلى الله - تعالى - هي وظيفة المرسلين وأتباعهم وهم خلفاء الرسل في أممهم والناس تبع لهم.
- وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : إن لله عند كل بدعة كيد بما الإسلام وليا من أوليائه يذب عنها وينطق بعلاماتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن.
- قال القرطبي: فجعل الله - تعالى - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فرقا بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ورأسها الدعاء إلى الإسلام.
- قال أبو قاسم الغرناطي في ذكر قصة نوح: ذكر أولا أنه دعاهم بالليل والنهار ثم ذكر أنه دعاهم جهارا ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة.
- صورة نوح في دعوته وهو لا يمل ولا يفتر ولا يبأس أمام الإعراض والإصرار هي صورة لإصرار الداعية على الدعوة.
- قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانوا يقرئون الناس... سبحان الله! ما منع العمى ابن أم مكتوم عن الدعوة إلى الله ف- رحمه الله - ورضي الله عنه.
- يقول زياد الزبيدي الذي كان في جند عمرو بن العاص: فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ثم نخيره بين الإسلام والنصرانية فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية.. من حرصهم على دعوة الناس.
- يقول توماس أرنولد عن تحمس المسلمين لنشر الإسلام على الساحل الغربي من أفريقيا: وإذا ما اجتمع في مدينة ستة رجال منهم وأقل من ذلك أو أكثر وعزموا على أن يقيموا فيها فترة من الزمن سارعوا إلى بناء المسجد وأخذوا ينشرون الدعوة.

## وصايا للدعاة

- يقول عمر بن الخطاب: إنما بعثت عمالا ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ويقيموا بينكم دينكم.
- ما كان يشغل الدعاة إلى الله عن الدعوة التي امتزجت بدمائهم شاغل مهما عظم والله صبرهم في نشر دعوتهم وإسلامهم.. وحياتهم من أجل نشره.
- وانظروا إلى حرص النساء.. فهذه أم سليم تلقن ابنها أنس شهادة الإسلام رغم معارضة زوجها ودعت أبا طلحة إلى الإسلام حينما تقدم إليها ولم ترتض منه مهرا سوى الإسلام.
- أخي: كان الدعاة إلى الله يسيحون لنشر الدعوة وتبليغها ويبادئون الناس بالكلام ولا ينتظرون مجيء الناس إليهم وهكذا كان شأن الدعاة دوما.
- يقول أحدهم: هم قيام في مقام الدعوة، يدعون الخلق إلى معرفة الحق - عز وجل - .
- قال الشافعي: من وعظ أخاه بفعله كان هاديا.
- الدعوة إلى الله وسيلة لإقامة العبودية في النفس ونشرها بين الناس وهي في نفسها عبادة.
- إذاً لا نجاح للدعوة ولا وصول للغاية.. إن أعطيناها فضول الأوقات. بل يجب علينا أن نلزم أنفسنا بالمسؤولية التي جعلها الله في أعناقنا
- ألا وهي الدعوة إليه...
- جعلنا الله من الذين يبلغون عن رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ...

المصدر: <http://islamz.com>

## ٥٢-الدعاة .. ورعاية مقتضى حال المدعوين

الذكاء في الدعوة إلى الله له دوره الكبير والمؤثر في نشر هذه الدعوة بين الناس وفي مدى قبولهم لها وانتفاعهم بها .. ومن أكبر ما يعين الداعية على ذلك مراعاة حال المدعوين وما يناسبهم في لحظتهم من أنواع الخطاب وهو ما يسمى بمراعاة مقتضى الحال.



فينبغي للمرشد (الداعية) النابه أن يلاحظ ما تقتضيه أحوال الأشخاص والمجتمعات الخصوصية والعمومية، ويراعى أيضاً الزمان والمكان من إلقاء درس أو خطابة أو شدة أو لين أو جدل بالحسنى أو ضرب مثل أو رواية قصص أو إيجاز أو إطباب فيما يقول إلى غير ذلك مما يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والجامع لهذه المتفرقات قول الله جل ثناؤه: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥]، فإنه تعالى أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو إلى دين الإسلام - الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم، وأخرى بملة إبراهيم - بالمقالة المحكمة وهي الحجة القطعية المزيحة للشبهة، وذلك بالنسبة لأولى النفوس القوية الاستعداد لإدراك المعاني الطالبيين للحقائق وهم الخواص، وبالخطابيات المقنعة والعبير النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتتوخى الخير لهم، وذلك بالنسبة لذوي النفوس الكدرة ضعيفة الاستعداد الشديدة الألف للمحسوسات القوية التعلق بالرسوم والعادات، ولكن لا عناد عندهم وهم العوام، وبأحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر، واستعمال المقدمات تسكيناً لشغبهم وإطفاءً للهبهم، كما فعل الخليل عليه السلام، وهذا بالنسبة للمعاندين المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، لما غلب عليهم من تقليد الأسلاف، ورسخ في نفوسهم من العقائد الباطلة فصاروا بحال لا تنفع فيه المواعظ والعبير، بل لا بد من إقامتهم الحجر، لكن بأحسن طرق الجدل لتلين عريكتهم وتزول شكيمتهم.

### أحوال المدعوين

ويصح أن يقال: إن هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن المدعوين على ثلاثة أحوال:

منيب متذكر: ، وهذا شديد الحاجة إلى معرفة الأوامر والنواهي.

ومعرض غافل: ، وهذا شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب.

ومعارض متكبر: وهذا شديد الحاجة إلى المجادلة .

فجاءت هذه الآية الكريمة في حق هؤلاء الثلاثة، ولم يقيد الحكمة بوصف الحسنة؛ إذ كلها حسنة بخلاف الموعظة، إذ ليس كل موعظة حسنة، وكذلك الجدل.. وهذا قد يرجع على حال المجادل وغلظته ولينه وحدته ورفقه، فهو مأمور بمجادلتهم بالحال التي هي أحسن.

والحاصل أن طرق الدعوة إلى الله تعالى تتفاوت بتفاوت أحوال الناس، فإن لكل مقام مقالاً، ولكل نفس إعراضاً وإقبالاً، فقد يكون الدرس أنفع للقوم لاشتماله على الأخذ والرد والوقوف على ما عساه أن يكون غامضاً على السائل، فلا يعدل عنه إلى الخطابة، وقد تفضل الخطبة الواحدة ألف درس في بعض المجتمعات والأوساط، فلا يعدل عنها إلى الدرس. وقد يكون اللين أفضل من الشدة، فقد تكره الموعظة لما فيها من الغلظة أو الخرق والحمق. قال رجل للرشيد: يا أمير المؤمنين! إنني أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها. قال: كلا، إن الله أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو شر مني، قال لنبيه موسى، إذ أرسله إلى فرعون: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه: ٤٤]، فإن ظاهره عرض ما فيه الفوز العظيم والسعادة الدائمة بالنسبة إلى فرعون، والترجي بالنسبة لهما، أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجهد طاقته ويبدل أقصى وسعه.

### بين الإيجاز والإطناب

كذلك الإيجاز لا يكون إلا للخواص وأولي الأبواب الراجحة والقلوب الحاضرة. وأما الإطناب فهو مشترك بين الخاصة والعامّة ويكون مع الغبي والذكي. وليجعل القرآن الحكيم في ذلك إماماً يقتدى به ومرشداً يهتدى بهديه، ألا ترى أنه إذا خاطب العرب أخرج الكلام مخرج الوحي والإشارة لشدة ذكائهم وقوة فطنتهم ورجاحة عقولهم، وإذا خاطب غيرهم كبني إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مطولاً مبسوطاً معاداً في مواضع كثيرة لبعده فهمهم وتأخر معرفتهم واحتياجهم إلى الإكثار والإطالة، فما خاطب به مشركي العرب في مقام الاستدلال على قدرة الله ووحدانيته قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ \* مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج: ٧٣، ٧٤].

بيانه أن أقل درجة المعبود القدرة على جلب ما ينفع العابد، ودرء ما يضره، والآلهة التي عبدها المشركون لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقهم، فكيف ما هو أكبر منه. ولا يقدر على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه فيستقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب وهو أضعف الحيوانات، ولا على استرجاع ما سلبهم إياه، فلا

أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها، فكيف يليق بعاقل أن يعبدها من دون الله، والمعبود في الضعف والعجز فهو عاجز متعلق بعاجز..

وقيل هو تسوية بين السالب والمسلوب الذباب والآلهة في الضعف والعجز، فالطالب الإله الباطل، والمطلوب الذباب يُطلب منه ما يأخذه مما هو عليه، ولفظ الآية يتناول الجميع، فضعف العابد والمعبود والمستلب، فمن جعل هذا إلهاً مع القوي العزيز؟! فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه.

وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتسفيه أحلامهم والشهادة على أن الشيطان قد لعب بهم أعظم من لعب الصبيان بالكرة، حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات، والغنى عن جميع المخلوقات، فأعطوها صوراً وتمثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإله الحق وأذلها وأصغرها وأحقرها، ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه. وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء إلهيتهم أن هذا المخلوق الأقل الأذل العاجز الضعيف، لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستردوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدرُوا عليه.

ومما جاء في مقام الرد على منكري البعث قوله تعالى: (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) [مریم: ٦٧]، فإنه لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الإيجاز لم يقدرُوا - ونظيره قوله تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس: ٧٩]، وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) [الروم: ٢٧].

فإن هذا معلوم لكل صانع يتكرر منه عمل؛ لأن الأول لم يستقر بعد في خزانة الخيال، والثاني قد ارتسم وثبت له مثال، وإذا كان هذا في حق من يتفاوت في قدرته الصعب والسهل، كذلك فما ظنك بمن لا يتوقف مقدوره إلا على مجرد تعلق الإرادة الأزلية؟ فهذه الآيات الكريمة على إيجازها برهان قائم على أن البعث مما يدخل تحت سلطان قدرته تعالى من باب أولى، وغير خاف عليك ما جاء فيه عن بني إسرائيل.

وعلى الجملة فلا إيجاز موضع كما أن للإطناب موضعاً، فاستعمال أحدهما موضع الآخر خطأ واضح وعي فاضح، كما روي عن جعفر بن يحيى البرمكي أنه قال: "متى كان الإيجاز أبلغ كان

الإكثار عيًّا". وقال الخليل: يختصر الكلام ليحفظ ويسط ليفهم - وقد كانت العرب تطيل لسمع منها وتوجز ليحفظ عنها - فالإطناب إذا لم يكن منه بد فهو إيجاز وهو في الوعظ خاصة محمود، كما أن الإيجاز في الإفهام محمود. والداعية الحازم هو الذي يتفرد في حال القوم ويأتي في كل حال ما يناسبه.

## مقومات النجاح في تكوين الداعية<sup>(١)</sup>

التمييز الإيماني من أهم ركائز ومستلزمات الدعوة:

إن الدعوة إلى الله هي مهمة الرسل والأنبياء، ورسالة الوارثين من الدعاة والعلماء (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن)، والدعوة لها مستلزمات ومتطلبات، ومن أهم ركائزها وأولى دعائمها الإيمان والعلم وهما أعظم الأسس وأولى الأولويات، ولذا فإن التوضيح لهما والتركيز عليهما له أهميته في تثقيف وتكوين الدعاة.

ونبدأ اليوم بالتمييز الإيماني والتفوق الروحي باعتبارهما الركيزتين الرئيسيتين اللتين تعتمد عليهما الدعوة.

فالتمييز في مجال الإيمان عقيدة صحيحة، ومعرفة جازمة وتأثيراً قوياً يعد بلا نزاع أهم المقومات وأولى الأولويات بالنسبة للداعية، لكي يكون عظيم الإيمان بالله، شديد الخوف منه، صادق التوكل عليه، دائم المراقبة له، كثير الإنابة إليه، لسانه رطب بذكر الله، وعقله مفكر في ملكوت الله، وقلبه مستحضر للقاء الله، مجتهد في الطاعات، مسابق إلى الخيرات، صوام بالنهار قوام بالليل، مع تحري الإخلاص التام، وحسن الظن بالله وهذا هو عنوان الفلاح، وسمت الصلاح ومفتاح النجاح، إذ هو تحقيق لمعنى العبودية الخالصة لله وهي التي تجلب التوفيق من الله فإذا بالداعية مسدد، إن عمل أجاد، وإن حكم أصاب، وإن تكلم أفاد.

وهذا الباب واسع الجوانب متعدد المستلزمات، وحسي أن أبرز أهم هذه الجوانب:

(١) د. علي بن عمر بادحدح <http://www.olamaalshareah.net>

## ١ - عظمة الإيمان بالله:

فأساس كل أمر هو تجريد التوحيد والبعد عن الشرك. ولا بد أن يكون الداعية صحيح الإيمان، خالص التوحيد، وعنده من العلم ما يعرفه بالله وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وان تستقر هذه المعرفة في سويداء قلبه، وتملك عليه أقطار نفسه، وتجري مع الدماء في عروقه.

وهذه الغاية العظمى تتصل أكثر شيء بأعمال القلوب التي تخفي على الناس ولا يعلمها إلا علام الغيوب، إلا أن آثار ذلك تظهر بوضوح في الأقوال والأفعال، وكل ذلك ينعكس على الداعية فتظهر على شخصيته آثار الإيمان الصحيح المتحرك ومن أبرزها:

### أولاً: التحرير من عبودية غير الله

الإيمان قوة عظمى يستعلى بها المؤمن على كل قوى الأرض، وكل شهوات الدنيا، ويصبح حراً لا سلطان لأحد عليه إلا الله، فلا يخاف إلا من الله، ولا يذل إلا لله، ولا يطلب إلا من الله، ولا يأمل إلا في الله، ولا يتوكل إلا على الله، وللإيمان تأثير كبير في أعظم أمرين يسيطران على حياة البشر وهما: الخوف على الرزق، والخوف على الحياة

أما الأول: فلا يخفى كم أذل الحرص أعناق الرجال، وكم شغل الناس حب المال، لما ذهب الذهب بأبصارهم وسى قلوبهم، أما المؤمن فحقائق الإيمان تملأ قلبه فلا يتأثر بشيء من هذا لأن في قلبه قول الحق جل وعلا {وفي السماء رزقكم وما توعدون} [الذاريات: ٢٢].

ولأنه يعلم من بيده الرزق {فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له} [العنكبوت: ١٧].

### الثاني: اليقين

فيقين المؤمن أن الموت والحياة بيد الله، وأنه لا ينجي حذر من قدر، وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وأن الموت ليس بالأقدام وأن السلامة ليست بالإحجام بل كما قال تعالى: {أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة} [النساء: ٧٨].

### ٢ - الخشية من الله:

وهي من أعظم آثار الإيمان وأبرز أوصاف المؤمنين {الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون} [الأنبياء: ٤٩]

{الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله} [الأحزاب: ٣٩]  
وقدوتهم في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (إني لأحشاكم الله وأتقاكم له)  
[أخرجه البخاري في كتاب النكاح "الفتح: ٩١٠٤"] .

" والخشية أحص من الخوف، فهي خوف مقرون بمعرفة" [تهذيب مدارج السالكين: ص: ٢٦٩]

وعندما تعمر الخشية والخوف قلب الداعية المؤمن يتميز عن الغافلين والعاثين لأن الخوف يحول بين صاحبه وبين محارم الله.

والخشية أساس مراقبة الله ترقى بالمؤمن إلى درجة الإحسان وأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

### ٣- الإخلاص لله

" الإخلاص لله روح الدين ولباب العبادة وأساس أي داع إلى الله" [مع الله: ص ٢٠١].  
وهو " في حقيقته قوة إيمانية، وصراع نفسي، يدفع صاحبه بعد جذب وشد إلى أن يتجرد من المصالح الشخصية، وأن يترفع عن الغايات الذاتية، وأن يقصد من عمله وجه الله لا يبغى من ورائه جزاءً ولا شكوراً" [صفات الداعية النفسية: ص ١٢].

فالمخلصون " أعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهراً أو باطناً لوجه الله وحده" [تهذيب مدارج السالكين: ص ٦٨]  
والإخلاص للداعية ألزم له من كل أحد وأهميته تفوق كل أمر، وهو استجابة لأمر الله {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} [البينة: ٥].

### ٤ - حسن الصلة بالله

المقصود بها إقامة الفرائض، والاستكثار من النوافل، والاشتغال بالأذكار، والمداومة على الاستغفار وكثرة التلاوة القرآنية، والحرص على المناجاة الربانية، وغير ذلك من القربات والطاعات.

والخلاصة أن التميز الإيماني من أعظم أسباب نجاح الداعية، إذ ليس النجاح بفصاحة اللسان ولا قوة البرهان ولا كثرة الأعوان، بل هو مع ذلك وقبل ذلك بتوفيق الله الذي يخص به أوليائه ولا شك " أن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله لدفع الناس إلى سبيله، لا بد أن يكون شعورهم بالله أعمق، وارتباطهم به أوثق، وشغلهم به أدموم، ورقابتهم له أوضح"، ونحن نريد روحانية إيجابية لا انعزالية تركز على العبادات والأوراد بعيدة عن التفاعل مع الحياة وما فيها من هموم ومعاناة، نريد "روحانية إيجابية تحفزه للتضحية وتستهدف الشهادة وتعمق الحاجة إلى رضا الله لتغدو هاجسا يوميا يلاحق كل مواطن رضاه في عملية تدقيق ومعاناة تجعله يعيش مع عقيدته في أفكاره ومشاعره وفي علاقاته ومطامحه، فتتحول في داخل ذاته إلى هم يومي متحرك يراقب الأشياء من خلاله، ويحدد موفقه منها على أساسه".

### ٥٣- \*وأخيرا.. أسلم أستاذ الجامعة الأمريكية في مصر

لا حديث في الجامعة الأمريكية في القاهرة هذه الأيام إلا عن أستاذ علم الأجناس صاحب الوسامة الزائدة، وأحد أبرز الأساتذة في مجاله.

لكن الضجة التي يثيرها حالياً ليست لأي من السببين (لا لوسامته ، ولا لأستاذيته)، وإنما لأنه أسلم أمام شيخ الأزهر.. فبعد ٣٥ عاماً من الحياة والبحث والتدريس في العالم العربي الإسلامي نطق الدكتور دونالد كول (سابقاً) عبد الله طالب دونالد كول (حالياً)، بالشهادتين في مشيخة الأزهر الشريف التي لا تبعد عن مقر عمله في الجامعة الأمريكية في القاهرة سوى ٢٠ دقيقة، لكنها تبعد عن تكساس آلاف الأميال وتفصلهما فجوة حضارية فكرية أخذت في الاتساع.

كان إشهار "عبد الله طالب كول" إسلامه مفاجأة للكثيرين من طلابه ومعارفه، لكن أصدقاءه المقربين توقعوا ذلك، وإن كان توقعهم تأخر بعض الشيء. صديق قريب منه باغته حين أخبره

## وصايا للدعاة

بإشهاره إسلامه قبل أيام بقوله: "حقيقي؟" هذا غريب.. كنت أعتقد أنك أسلمت قبل سنوات".

قال عبد الله كول: تمكنت من الفرار من المشاركة في حرب فيتنام، وبدلاً منها أمضيت الفترة بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٧٠ في ربوع المملكة العربية السعودية، والحمد لله الذي مكّني من العيش في الرياض القديمة، حيث كان أذان الصلاة المنطلق من مآذنها الألف من القوة بحيث يدفعني دفعاً إلى التفاعل معه".

يتذكر عبد الله كول الليلة الأولى من الشهور الـ ١٨ التي أمضاها مع البدو في الربع الخالي والمنطقة الشرقية، إذ وجد نفسه يقوم من دون تفكير إلى صلاة الجماعة: "لم أكن مسلماً وقتها، لكنني في قرارة نفسي كنت على يقين بأن الإله الخاص بهم هو ربي أنا كذلك". لكن الحياة في "بيركلي" الأمريكية - التي عاد إليها - كانت مختلفة، صحيح أن العبارة الأولى التي تفوه بها في المحاضرة الأولى التي ألقاها هي أن الإسلام دين جميل، لكنه سرعان ما عاد إلى العالم الإسلامي، وهذه المرة إلى مصر، تحديداً إلى الجامعة الأمريكية في القاهرة، لكنها كانت في السبعينات مكاناً علمانياً بحثاً، كما يقول: "حتى اللغة العربية نادراً ما كانت تسمع في ممرات الجامعة، كان الإسلام في الجامعة تاريخ وفن وعمارة، ورحلات ميدانية إلى المتحف والمساجد القديمة.

وفي الثمانينات تسلل عدد من أصحاب الذقون ومرتديات الزي الإسلامي إلى حرم الجامعة، فحدث ما لم يكن في الحسبان: طالب الطلاب بمصلى يصلون فيه، وكنت مراقباً للوضع آنذاك، لكنني في قرارة نفسي كنت سعيداً لما يحدث، وربما هذا بسبب خلفيتي عن الإسلام في السعودية".

ومنذ أسلم أقبل عبد الله كول على الفروض والصلاة في أحد المساجد، ونظراً لمظهره الغربي البحت، بعينه الزرقاوين وبشرته الشقراء، سألته "الحياة" عن رد فعل المصلين تجاهه، قال: "داخل المسجد نقف جميعاً سواسية، لكن الأمر يختلف في المقهى".

وعن يوم إسلامه أمام شيخ الأزهر يقول: "استقبلني شيخ الأزهر بنفسه، وأسلمت على يده، وحين سألتني عن رحلتي إلى الإسلام وسبب استغراقها وقتاً طويلاً، أوجزت في الرد، فقال: أنت



أستاذ جامعي، ونحب أن نسمع منك باستفاضة، فاستفضت وبكى صديقي المصري الذي اصطحبني تأثراً".

كان أجداد عبد الله كول بين المستوطنين الأوروبيين الأول في فيرجينيا، وقد فروا من الاضطهاد الديني والكيث السياسي، وجاهدوا لتأسيس مجتمع جديد يركز على الاحترام والحرية "وأنا أسير على خطاهم، لقد هاجروا عبر المحيطات والقارات، وكذلك أنا. هم اتبعوا الإنجيل المقدس، لكنهم لم يعرفوا القرآن، أما أنا فعرفته، ومهمتي حالياً هي نشره".

في غضون أيام سيتوجه مسلمنا الجديد إلى الولايات المتحدة، وهو ليس قلقاً من ردود فعل أصدقائه وأقاربه، لكنه سعيد بأن الفرصة ستكون متاحة لينظر إلى الإسلام في أمريكا من وجهة نظر مسلم.

### ٥٤- من آفات الدعاة : الوهن أسبابه ومظاهره<sup>(١)</sup>

يتعرض الفرد والأمة دائماً وباستمرار إلى عوارض متعددة وظروف طارئة، ويتفاوت أثر ذلك بحسب طبيعة المؤثر الجديد وبنیان الفرد والأمة والعوامل المساعدة، وقد ينتاب الفرد أو المجتمع مرض عارض ويزول بسرعة دون أن يترك أثراً ما وقد يصاب الفرد بمرض معين فيقتصر عليه ولا يمتد إلى المجتمع ولا تحس الأمة به، وقد يتحول من الفرد إلى المجتمع فيصبح مرضاً قاتلاً ووباءً فتاكاً، ومن هذه الأمراض الفتاكة التي يشترك فيها الفرد والمجتمع وتندر الأمة بالويل والدمار مرض الوهن.

الوهن: هو الضعف في العمل والأمر والعظم، ورجل واهن: أي ضعيف في الأمر والعمل<sup>(١)</sup>

جاء ذكر الوهن ومشتقاته في القرآن الكريم عشر مرات وجاء المعنى المقصود به الوهن هو الضعف ودعم التمسك وقد ضرب الله مثلاً يوضح به الضعف في صورة مادية ملموسة ومرئية لبیت العنكبوت فقال: "مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (العنكبوت: ٤١) فمجرد الالتجاء إلى غير الله

<sup>(١)</sup> فضل الله ممتاز <http://www.almoslim.net/>

## وصايا للدعاة

تعالى ضعف كالاتجاه العنكبوت إلى بيتها، والعنكبوت حشرة ضعيفة لا قوة لها ولا حماية وبيتها من عملها فالضعف لا يولد قوة فبيتها أضعف البيوت لأنه لا يدفع عنها حراً ولا برداً ولا أذى.

يتعرض الفرد والأمة دائماً وباستمرار إلى عوارض متعددة وظروف طائفة ويتفاوت أثر ذلك بحسب طبيعة المؤثر الجديد وبنیان الفرد والأمة والعوامل المساعدة وقد ينتاب الفرد أو المجتمع مرض عارض ويزول بسرعة دون أن يترك أثراً ما وقد يصاب الفرد بمرض معين فيقتصر عليه ولا يمتد إلى المجتمع ولا تحس الأمة به.

واستعمل القرآن الكريم أيضاً الوهن بمعنى الضعف المعنوي فبعد هزيمة المسلمين في موقعة أحد وجه الله لهم الخطاب بعدم الضعف النفسي من أثر الهزيمة وعدم التمادي في الحزن على الشهداء، قال تعالى: "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (آل عمران: ١٣٩) فمداولة الأيام وتعاقب الشدة والرخاء محك لا يخطئ وميزان لا يظلم والرخاء في هذا كالشدة وكم من نفوس تصبر للشدة وتتماسك، ولكنها تتراخي بالرخاء وتنحل والنفوس المؤمنة هي التي تصبر للضراء ولا تستخفها السراء وتتجه إلى الله تعالى في الحالين وتوقن أن ما أصابها من الخير والشر فيأذن الله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوهن وأسبابه: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ فقال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت" (٢).

وتعريف الوهن في هذا الحديث (حب الدنيا وكراهية الموت) فالعقوبة عقوبتان العقوبة الأولى انتزاع المهابة والعقوبة الثانية عقوبة الوهن هاتان العقوبتان من الله تعالى الذي جعل المتخاذلين من المسلمين في كل المجالات في موضع الغثائية لا قيمة لهم تتقاذفهم أمواج المجتمعات المتحلقة من حولهم، وكل ذلك نتيجة الخواء والاستفراغ والتآكل الهيكلي للجسم المسلم فبعد أن كان ذو وزن وقيمة يخافه الناس مهابة وإجلالاً وتقديراً أصبح جسداً هيكلياً هشاً نحيفاً شاحباً تندفعه الصيحات والأيدي، فالذي أوصل لمرض الغثائية ما هو إلا الاستجابة للعالم بكل صيحاتها الاستجابة للنفس والهوى وللنساء وللمال وللمنصب والجاه... وعدد ما شئت من المغريات

والمهيات وهذا واضح في قول الله تعالى: "زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ" (آل عمران: ١٤) وهذه الآية الكريمة تجمع كل ما يحتويه تعبير (حب الدنيا).

ونشأ عن مرض الوهن الحرص على تحصيل الدنيا بكل وسيلة وعلى جمعها بكل سبب وأصبح كل إنسان لا يهيمه إلا نفسه وما يتعلق ببلاده وإن ذهب دينه ولهذا المرض العضال أسباب ومظاهر يمكن التحرز والابتعاد منه بعد معرفة تلك الأسباب والمظاهر الخطيرة المؤدية إلى إصابة الإنسان بداء الوهن وأهمها (٣):

### ١ - ضعف الإيمان:

فالإيمان جذوة تتقد في قلب الداعية فتقوده إلى كل خير وتتنأى به عن كل شر فإذا ما ضعف الإيمان أو فقد فإن صاحبه لن يبالي بالمكرمات ولن يسعى للمعالي.

ثم إن ضعف الإيمان أو فقده أعظم ما يقرب الداعية ليرمي به في مستنقعات الوهن ويقلل بركة عمره وعلمه وعمله، فالإيمان بالله عز وجل وبقدره خيره وشره وما أعدّه للمؤمن من الأجر والمثوبة أساس كل أمر يقوم به الداعية.

### ٢ - ضعف الغيرة على الحق:

فالغيرة الصادقة تبعث صاحبها إلى الفضائل وتنهض إلى محاربة الفساد بكل صوره وتأخذ بيده إلى مكافحة المبطل أو المفسد وتقويم عوجه في تثبيت وحزم.

أما ضعف الغيرة على الحق أو فقدها فنقيصة خطيرة تتزل بالداعية إلى الوقوع في الآفات كالوهن والكسل في الدعوة والخوف وغيرها.

### ٣ - الكسل في الدعوة.

وهذا من أعظم مظاهر الوهن فكم من المسلمين من يتوانى في الدعوة إلى الله مع أنه على درجة كبيرة من العلم والبيان تؤهله لنفع الناس والتأثير فيهم ودفع الضرر عنهم.

وكم ممن يدعو إلى الله من تضعفه نفسه ويصيبه الوهن وينكص على عقبيه عند أدنى عقبة تعترضه، إما من كلام الناس ولومهم وإما عن إعراضهم وقلة استجابتهم أو غير ذلك مما لا بد لمن يدعو إلى الله من مواجهته والاستعداد التام لدفعه.

أين هؤلاء الدعاة من حياة الأنبياء والمرسلين ومن حياة العلماء العاملين والدعاة المخلصين؟

بل أين هم من العلمانيين ودعاة الانحلال والرذيلة والغرام والغزل ممن يضحّي واحدهم بكل ما عنده في سبيل الوصول إلى هدفه غير مبال بلوم اللائمين مع أنكم يا معشر الدعاة ترجون من الله ما لا يرجون؟

#### ٤- التفريط في عمل اليوم واللييلة:

التفريط هو التقصير في الأمر وتضييعه حتى يفوت وفي التتريل: "أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي حَنْبِ اللَّهِ" (الزمر: من الآية ٥٦) أي أنيؤوا إلى ربكم وأسلموا له مخافة أن تصير إلى حال الندامة للتفريط في أمر الله.

وعندما يتلطح ويتدنس الداعية والعياذ بالله فيصيبه الوهن ويكون غير محترس أو متحزز من المعصية لا سيما الصغائر تلك التي يستهين بها كثير من الناس ولا يولونها رعاية أو أهمية، وحينئذ فلا بد من العقاب ويكون العقاب بأمور كثيرة من بينها الإصابة بأفة الوهن والتفريط في عمل اليوم واللييلة والتكاسل في أداء العبادات فيتكاسل في أدائه للوظائف العبادية التي ينبغي للمسلم الحفاظ والمواظبة عليها في اليوم واللييلة حتى يخرج وقتها وتفوت مثل النوم عن الصلاة المكتوبة، ومثل إهمال النوافل الراتبة أو صلاة الوتر أو تضييع الورد القرآني والأذكار والدعاء أو المحاسبة لنفس والتوبة والاستغفار أو التخلف عن الذهاب إلى المسجد وعدم حضور الجماعة بغير عذر ولا مبرر أو إهمال عبادات أخرى أو إهمال الآداب الاجتماعية من عيادة المرضى وتشجيع الجنائز والسؤال عما في الناس ومشاركتهم أحوالهم في السراء والضراء.. إلى غير ذلك من الطاعات والعبادات (٤). فما يصيب الإنسان من وهن وما تصيبه من مصيبة فيما كسبت يده يقول الله تعالى: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ" (الشورى: ٣٠)

#### ٥ - الاستعجال:

ولا بد للمسلمين عامة ولحملة الدعوة خاصة أن يعتصموا بالصبر ويجذروا من الاستعجال فالنفس مولعة بحب العاجل والإنسان عجول بطبعه كأنه المادة التي خلق الإنسان منها قال تعالى: "خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ" (الأنبياء: من الآية ٣٧) فإذا أبطأ على الإنسان ما يريده نفذ صبره وضاق صدره ناسياً أن الله في خلقه سنناً لا تتبدل وأن لكل شيء أجلاً مسمى، وأن الله لا يعجل بعجلة أحد من الناس ولكل ثمرة أوان تنضج فيه فيحسن عندئذ قطفها والاستعجال لا ينضجها قبل وقتها فهو لا يملك ذلك، وهي لا تملكه ولا الشجرة التي تحملها إنما خاضعة للقوانين الكونية التي تحكمها وتجري عليها بحسب ومقدار، ولهذا خاطب الله رسوله بقوله: "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ" (الأحقاف: من الآية ٣٥)

## ٦ - اليأس:

وهذا عامل آخر يجرد الداعية إلى الوهن ويقع فيه كثير من الدعاة فهو من أعظم الآفات التي تعوق الدعوة فإن اليأس لا صبره له لأنه يدفع الزارع إلى معاناة مشقة الزرع وسقيه وتعهده هو أمله في الحصاد فإذا على قلب وأطفأ شعاع أمله لم يبق له صبراً على استمرار العمل في أرضه وزرعه وهكذا كل عامل في ميدان عمله وصاحب الدعوة والرسالة كذلك ولهذا حرص القرآن الكريم على أن يدفع الوهن عن أنفس المؤمنين فبذر الأمل في صدورهم: "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (آل عمران: ١٣٩) وقال تعالى: "فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ" (محمد: ٣٥).

ولما أمر موسى عليه السلام قومه بالصبر إزاء طغيان فرعون وتهديده أضاء أمامهم شعلة الأمل فقال: "قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (لأعراف: ١٢٨).

ولما شكوا خباب بن الأرت رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما يلقي من أذى المشركين شكوى تحمل الضيق والتبرم ضرب له النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً بما لقيه المؤمنون في الأزمنة الماضية ثم طرد عن قلبه اليأس وزرع فيه الأمل الخصب حين أخبره أن الله سيئتم هذا الأمر حتى يسير الراكب من أقصى الجزيرة إلى أقصاها لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه!!

وما ذلك إلا لأن الأمل أكبر معين على الصبر على طول الطريق ومشقاته وأن اليأس من أقرب الطرق إلى الوهن (٥).

## ٧ - قلة الصبر:

لا شك أن أهل الإيمان وأهل الدعوة أشد تعرضاً للأذى والابتلاء في أموالهم وأنفسهم وكل عزيز لديهم فقد اقتضى نظام الكون أن يكون لهم أعداء يمكرون بهم ويكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر كذلك جعل الله لآدم إبليس ولإبراهيم نمرود ولموسى فرعون ولمحمد أبا جهل وأمثاله "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ" (الفرقان: من الآية ٣١).

فمن ظن أن طريق الدعوة مفروشة بالأزهار والرياحين فقد جهل طبيعة الإيمان بالرسالات وطبيعة أعداء الرسالات.

ولعل هذا الحسبان أو الوهم داخل نفوس بعض المؤمنين في العهد المكّي بعد أن أصابهم من العذاب ما أصابهم فترل قوله تعالى: "أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ" (العنكبوت: ٢)

بل في العهد المدني نجد أن القرآن ينفي مثل هذا الحسبان الواهم في مثل قوله تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ" (البقرة: ٢١٤).

الجنة إذاً لا بد لها من ثمن وهي سلعة غالية فلا مضر من الثمن وقد رفعه أصحاب الدعوات من قبل فلا بد أن يدفعه إخوانهم من بعد دون أن يتطرق الوهن في قلوبهم.

## ٨ - المبالغة في تعظيم شأن الخوف:

فهذا السبب من أكبر الأسباب الداعية لإصابة الإنسان بالوهن فكم من الدعاة من أقصره الخوف عن الدخول في ميادين الدعوة وللقرآن الكريم أبلغ الكلم في تصوير حال الجبناء فلننظر إليه إذ يصفهم ويرينا كيف يذوقون موجات الفزع المرة بعد الأخرى فيقول "يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ" (المنافقون: من الآية ٤).

ويرينا كيف يظهر أثر الجبن في أبصارهم إذ يقبلونها وهم في ذهول من أدركه الموت، فيقول: "أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ" (الأحزاب: من الآية ١٩).

كما أن القرآن الكريم نعى على الجبناء ونبه على أنهم قد فقدوا جانباً في رجولتهم قال تعالى في توبيخ قوم تأخروا عن الجهاد في سبيل الله وقعدوا مع من لم يُخلقن للطنن والضرب: "رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ" (التوبة: من الآية ٨٧).

فهذا الخوف الذي ذكر خوف سلمي مانع من الدعوة ولهذا صح أن يكون سبيلاً إلى الوهن والفتور (٦).

#### ٩ - المبالغة في احتقار النفس:

فكثير من الدعاة مصابون بهذا الداء فالواحد من هؤلاء يبخس حظه ويبالغ في احتقار إمكانياته ولا يثق في نفسه البتة بل يرى أنه دون مستوى القيام بالدعوة وأنه لا قيمة لدعوته ولا أمل في نجاحه ولا يمكن أن يصدر منه عمل عظيم يسد ثغرة في ميدان الدعوة فهذا شعور بالوهن والضعف وصغر الشأن ومن شأنه أن يقتل الطموح ويفقد ثقة الداعية بنفسه فإذا هو أقدم على عمل شك في مقدرته وارتاب في إمكان نجاحه (٧).

ومن طبيعة الناس أنهم يحتقرون من احتقر شأنه ويدوسون بأقدامهم من استذل وفي الوقت نفسه يحترمون المقدم الوائق من نفسه العالم بقدرها فالثقة بالنفس فضيلة وشتان بينها وبين الغرور الذي يعد رذيلة فثقتك بنفسك أيها الداعية تعني معرفتك الصحيحة بما وبمقدار ما تتحمله من أعباء الدعوة الإسلامية وما تلتزمه من واجبات، وكذلك عملك بما لديها من استعداد وملكات ومواهب حتى تتمكن من القضاء على الأوهام التي تعوق طريق دعوتك (٨).

#### ١٠ - التقصير في الأخذ بمقومات النجاح:

إن التقصير في الأخذ بمقومات النجاح وأسباب الفلاح قد يؤدي إلى تسليط الوهن وسيطرته على القلوب ومن ثم إلى الفشل والإخفاق ويتولد من أثر ذلك بعض المفاهيم والأعمال الخاطئة فيسرع الرجل إلى الإعراض والنفور من الناس وبدلاً من أن يصبر أو ينقذ نفسه ويغير أسلوبه

## وصايا للدعاة

ويعالج خطأه نراه يلقي باللائمة على الناس ويحكم عليهم بالفساد والاستعلاء عن الحق وأنهم أعداء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح الذي قال فيه: "إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم" (٩).

فلا بد من إعداد العدة البدنية والمادية والمعنوية وسائر أنواع العدة من جميع الوجوه حتى نستغني بما أعطانا الله سبحانه وتعالى من الأسباب لنجاح دعوتنا.

## ١١ - صحبة الأشرار ومرافقة المخذلين والسفهاء:

ومن الأسباب المهمة التي تؤدي إلى تحكم الوهن في تصرفات الداعية هي صحبة أشرار الناس ومرافقة المخذلين والسفهاء فالصحبة السيئة تحسن القبيح وتقبح الحسن وتجتر المرء إلى الرذيلة وتبعده عن كل خير وفضيلة ذلك أن المرء يتأثر بعادات جلسه فالصاحب ساحب.

ثم إن مجالسة الخذلين ومرافقتهم تنساق بصاحبها إلى الحضيض فكلما هم بالصعود عوقوه عن همته وثنوه عن عزمه تارة بالتخذيل وتارة بالتخويف وتارة بوضع العراقيل.

وقد صدق من قال:

وأشد ما يلقي الفتى من دهره \*\*\* فقد الكرام وصحبة اللؤماء (١٠)

ومن الناس من إذا ابتلى بسيفه ساقط لا خلاق له. أخذ يجاربه في قيله وقاله مما يجعله عرضة لسماع مالا يرضيه من قبيح القول وردئة فيصبح مساوياً للسفيه في سفهه إذ نزل إليه وانخط في مرتبته (١١)

إذا جاريت في خلق دنيئاً \*\*\* فأنت ومن تجاربه سواء (١٢)

وهناك أسباب أخرى كثيرة لتسلط الوهن على الداعية لا يسعنا ذكرها هنا بالتفصيل ومنها:

التهرب من المسؤولية، والتكلف والتصنع، والاشتغال بما لا يعني والانصراف عما يعني، والتحسر على ما مضى وكثرة التلاوم وقلة العمل، وكثرة الشكوى إلى الناس، والاسترسال مع الأمانى الكاذبة، والتردد في أمور الدعوة وغيرها.



فالمقصود من ذكر ما تقدم هو تحقيق غاية الدعوة، والبعد عن الأسباب التي تقف أمام الداعية، فيجب الإقلاع عن تلك المظاهر والوسائل المؤدية إلى غرق سفينة الدعوة.

-----

(١) المعجم الوسيط ١٠٦٠/٢

(٢) رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام، والإمام أحمد في المسند برقم ٢١٣٦٣

(٣) راجع على سبيل المثال: عدة الصابرين لابن القيم الجوزية، وأدب الدنيا والدين للماوردي، ورسائل الإصلاح لمحمد الخضر حسين، والهمة العالية لمحمد بن إبراهيم الحمد.

(٤) الجواب الكافي لابن القيم الجوزية ص ٧٤

(٥) راجع كتاب المحن للتميمي، والصبر في القرآن للدكتور يوسف القرضاوي ص ١١٣

(٦) الهمة العالية ص ٧٨٧٩

(٧) الهمة العالية ص ٧٧٧٨

(٨) الهمة العالية ص ٧٧٧٨

(٩) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٥/١٣

(١٠) ديوان البارودي ص ٣١

(١١) الهمة العالية ص ٦٢٧٤

(١٢) ديوان أبي تمام ٢٩٦/٤

١٤٢٦/٧/١٣ هـ

٥٥-الكلمة<sup>(١)</sup>

الكلمة هي ثقيلة في ميزان العقلاء، بل هي أفضل الجهاد، وأعلى شعب الإيمان، الكلمة يهوي بها المرء في النَّار سبعين خريفاً، ويخرج بها من دائرة الإيمان، الكلمة تبلغ ما لا يبلغه الجيش، الكلمة توقد جذوة الحرب، كما تطفئ لهيب الجمر

فإنَّ النَّارَ بالعودين تُذكى وإنَّ الحربَ أولها الكلامُ

ولذا كان من وصايا النبي - صلى الله عليه وسلم - لأحد أصحابه لما سأله عن النجاة: (أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك) (رواه الترمذي برقم ٢٤٠٦، وقال الألباني صحيح)، والكلمة تفضح خبايا القلب، وتكشف أسرار النفس (( وَتَعْرِفْنَهُمْ فِي لَحَنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ )) (محمد: ٣٠)، وقد قال عثمان - رضي الله عنه -: "ما أسر رجل سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه، وفي فلتات لسانه"، وكان السلف يتركون الفضول من الكلام حرصاً منهم على استقامة أمرهم، واستدامة عقولهم وعافيتهم؛ قال عطاء: "بترك الفضول تكمل العقول"، وقال بعض الحكماء: "إذا تم العقل نقص الكلام"، ومن عظمت هذيرته، واستفحلت ثرثرته ولو بالعلم؛ فدحت أخطاؤه، وكثرت سقطاته، وفي الحديث: ( من صمت نجاً ) (رواه الترمذي برقم ٢٥٠١، وقال الألباني صحيح)، وكما قال الشاعر:

من لزم الصمت نجاً من قال بالخير غنم

وكم من كلمة كانت أسيرة رجل، فما لبث حتى صار أسيرها، قال أعرابي: "الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فإذا تكلم بها كان أسيراً في وثاقها"، وقد عد الحكماء كثرة الكلام من السخافة قال المأمون: "السخافة كثرة الكلام، وصحبة الأندال".

الكلمة طعنها دام، وجرحها غائر، تبلغ ما لا يبلغه الجيش، فاحذر من كلمة لا تبق لك مع خصمك موضعاً للصالح، ولا موطناً للتلاق، فإن وخز الكلمة لا يبريه الاعتذار، ولا ينسيه تعاقب الليل والنهار.

(١) د. عبد الحكيم أبو زيان/ <http://www.islamselect.com>

صمتّ على أشياء لو شئتُ قلتُها ولو قلتُها لم أبقِ للصالح موضعاً

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : "إن كان الشؤم ففي اللسان، ووالله ما على وجه الأرض شيء أحق بطول سجن من اللسان"، ووالله لقد فكرت:

وما شيء إذا فكرت فيه أحق بطول سجن من لسان

والعقل اللبيب هو الذي لا يندفع بكلمة حتى يعرضها على قلبه، ويمررها على فكره، وإلا أخطأت الكلمة طريقها؛ فكانت وبالأعلى عليه، "وإن زلل الكلام لأفدح وأنكى من زلل الأقدام" كما قال عمرو بن العاص - رضي الله عنه - : "زلة الرجل عظمٌ يجبر، وزلة اللسان لا تُبقي ولا تذر"، وكما قال الشاعر:

يموت الفتي من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمى برأسه وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

الكلمة أوبقت على رجل من بني إسرائيل ديناه وآخرته كما جاء في الحديث الحسن: أن رجلين من بني إسرائيل كان أحدهما مجتهداً في الطاعة، والآخر مقترفاً للذنوب، ولا يزال المجتهد يقول للمذنب: أقصر، وذات يوم وجد المجتهد في الطاعة المذنب عاكفاً على ذنبه، فقال له: أقصر، فقال له المذنب: خلني وربي، أبعثت على رقيباً؟ فقال المجتهد: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة؛ فاجتمعا عند رب العالمين بعد قبض رويهما، فقال الله للمجتهد: أكنت بي عالماً أو كنت على ما في يدي قادراً؟، وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة - وهنا محل الشاهد - : "والذي نفسي بيده، لقد تكلم بكلمة أوبقت ديناه وآخرته"، فإذا كانت الكلمة بهذه المزلّة، وبتلك الخطورة، فليس من اللائق بالعقل أن يتجاهل قدرها، أو يتجاوز موضعها، أو يهمل تبعاتها، والعجب من رجل يخلص في كل أعماله لله - تعالى -، ويتجه بطاعته لمولاه، لكنه أمام الكلمة مهزوم الجانب، خائر القوى، فاقد السيطرة، لا يستطيع التحكم فيها لتهدم له كل ما بناه، وتوبق عليه آخرته وديناه!!، يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : "ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم والزنا، وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك.. ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي

لها بالا، يتزل بالكلمة الواحدة منها أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفرى في أعراض الأحياء والأموات لا يبالي ما يقول"، إن الكلمة ولو في الخير إذا أخطأت موطنها كانت ضرباً من الهذرية، ونوعاً من الهذيان الذي لا ينبغي.

### ٥٦- كيف نتخلص من الوهن؟<sup>(١)</sup>

إن المسلم الذي يدرك حقيقة الإيمان ومقتضياته يشعر بألم ومعاناة شديدة من جراء الوضع المؤسف الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية اليوم عموماً ودعاتها خصوصاً، ولا يستطيع أن يقف موقف المتفرج من آلام الأمة وما تعاني من "ضعف" و "هوان" و "هزائم" متلاحقة من قبل أعداء الإسلام، ومع انتشار مرض الهوان كما ذكر في الحلقة الأولى، وبالتالي من واجبه الإيماني أن يبحث عن سبل الخلاص ويبدل كل ما أوتي من قوة وجهد في سبيل إخراج دعاة الأمة من هذه الحالة المتردية التي لا تتفق بحال من الأحوال مع ما أمرنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من الأخذ بأسباب النصر والابتعاد عن مواطن الضعف والوهن واليأس.

وبما أن تشخيص الداء هو أول خطوة لمعالجة المرض ولن يكون الدواء نافعاً إلا بعد معرفة الطبيب لنوع المرض وأسبابه، فإن الدراسات التي تكشف عن مواطن الداء في بنية دعاة الأمة وتبين العلاج، لها فائق الأهمية وكبير الأثر في النهوض بالدعاة للخروج من القمقم لاحتلال مكانتها في الحياة وأداء دورها الرسالي الخالد في قيادة الأمة وأستاذية البشرية خاصة في العصر الذي انكشف زيف المناهج والمذاهب الوضعية التي أعلنت عن فشلها وإفلاسها في إسعاد البشرية أو وضع حد لمعاناتها المتزايدة بسبب بعدها عن منهج الله تعالى.

إن المسلم الذي يدرك حقيقة الإيمان ومقتضياته، يشعر بألم ومعاناة شديدة من جراء الوضع المؤسف الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية اليوم عموماً ودعاتها خصوصاً

<sup>(١)</sup> فضل الله ممتاز/ <http://www.almoslim.net>

ولكي يتمكن الدعاة في هذه الأمة من تنظيم صفها الداخلي، ويتحرز من مواضع الضعف والهوان يضع نصب أعينها الخطوات التالية:

#### ١. سلامة العقيدة:

فسلامة العقيدة أهم المهمات وأوجب الواجبات، العقيدة السليمة سبب للنصر والظهور والتمكين والاجتماع، العقيدة السليمة تحمي معتنقيها من التخبط والفوضى والضياع، وتمنحهم الراحة النفسية والفكرية، وتدفعهم إلى الحزم والجد في الأمور، تكفل لهم حياة العزة والكرامة.

والعقيدة في الإسلام هو الأساس الذي يقوم عليه بناء الإيمان في نفس الإنسان المسلم، ولا بد أن تظهر آثار العقيدة في سلوك الإنسان وأعماله.

فإذا كانت العقيدة راسخة في قلب الإنسان ونفسه نرى أثر هذه العقيدة في استقامة خلقه وسلامة تصرفاته وحسن معاملاته.

إذن العقيدة هي التي تصيغ الحياة إما سلباً أو إيجاباً، وإذا أدركنا ذلك ندرك سر الاهتمام البالغ الذي أولاه الإسلام للعقيدة، فقد عاجلت السور المكية قضية العقيدة في نفوس المسلمين معالجة عميقة بكافة جوانبها، ولذلك من الطبيعي جداً أن ينعكس أي ضعف أو خلل أو غيبش يطرأ على عقيدة المسلمين وتصوراتهم ونظراتهم للأمور والأشياء أن ينعكس على سير الدعوة ويسفر عن ضعف ووهن وهزيمة أمام العدو في ميادين الدعوة.

وإن في غياب العقيدة السليمة تدخل الوسوس والهواجس القلوب ومن ثم يسيطر الخوف والوهن والرعب على النفوس، إذن فلا بد من الاهتمام الشديد بالجانب العقدي للدعاة وتربيتهم على العقيدة الصحيحة.

#### ٢. قوة الإيمان:

إن الإيمان بالله - سبحانه وتعالى وما يتبعه من أمور عقديّة أخرى وما ينبثق عن كل ذلك من تصور للوجود والحياة والكون هو أساس البناء الذي تقوم عليه شخصية المسلم، كما أنه الموجه الذي يوجه أفكار الإنسان المسلم وسلوكياته وتصرفاته.

## وصايا للدعاة

والإيمان يجعل المسلم يخرج من دائرة المادة الضيقة، وهو الباعث للهمة والمقوي للإدراك، وكلما ضعفت إرادة العبد، ووهنت قوته أمدته هذا الإيمان بقوة قلبية تتبعها الأعمال البدنية وكلما أحاطت به المخاوف كان هذا الإيمان حصناً حصيناً يلجأ إليه المؤمن، فيطمئن قلبه وتسكن نفسه، ومن هنا جاء اهتمام الإسلام بقوة الإيمان في نفوس أبنائه، فلا يرضى الإسلام أن يكون الإيمان في قلب المسلم ضوئاً خافتاً أو صوتاً مهموساً ولكنه يريد جذوة متقدة وضياء يغمر الآفاق، حتى يرشد الفكر ويوجه السلوك، ويسيطر على المشاعر ومن ثم يجعل الحياة كريمة سعيدة كما يريدتها الإسلام.

وبما أن الإيمان أكبر مصدر للقوة في نفس المؤمن، فإن القلب الذي يملأ الإيمان أعماقه لجدير أن يثبت في العواصف والزلازل ويدفع صاحبه إلى مزيد من الصبر والاستقامة في مواجهة الشدائد.

٣. الاستعانة بالله تعالى والشعور بمعيته:

ومن يستعين بالله تعالى ويتوكل عليه في دعوته، ويشعر بمعيته وتأييده ليثبت مثل ثبوت الجبال الشامخات ولا يتزلزل أمام بهرجة الباطل والشوكة الزائفة لأهله، وهو من ثمار الإيمان الصادق بالله تعالى يقول تعالى: "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة: ٢٥٧)، وقال تعالى: "وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا" (الطور: من الآية ٤٨).

ومن كان بمعية الله مصحوباً، وكان بعين الله محفوظاً، فهو أهل لأن يتحمل المتاعب ويصبر على المكاره.

٤. اليقين بحسن الجزاء:

فإن ما يحث المسلم على الدعوة إلى الله تعالى ويثبته عليها، ويزيده رغبة فيها وحرصاً عليها أن يطمئن أنه مجزي عليها جزاءً مرضياً ومن هنا يشير القرآن الكريم أن المؤمنين ينتظرهم أحسن الجزاء من الله تعالى، وذلك حين يرجعون إليه ويقفون بين يديه فيعوضهم عن عملهم أكرم العوض ويمنحهم أعظم الأجر وأجزل المثوبة.

ولا نجد في القرآن شيئاً ضخماً جزاؤه وعظيم أجره مثل الدعوة إلى الله والصبر عليها، فهو يتحدث عن هذا الأجر بأسلوب المدح والتضخيم، فيقول: "نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" (العنكبوت: ٥٩).

وهو يبين أن الصابرين إنما يجزون بأحسن ما عملوا، فضلاً من الله ونعمة: "مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (النحل: ٩٦).

ولا شك أن يقين الإنسان المؤمن بحسن الجزاء وعظم الأجر عند الله تعالى على البلية يخفف مرارتها على النفس، ويهون من شدة وقعها على القلب، وكلما قوي اليقين ضعف الإحساس بألم المصيبة (١).

الجرأة في الحق قوة نفسية رائعة يستمدتها المؤمن الداعية من الإيمان بالله الواحد الأحد الذي يعتقده، ومن الحق الذي يعتنقه، ومن الخلود السرمدي الذي يوقن به، ومن القدر الذي يستسلم إليه، ومن المسؤولية التي يستشعر بها، ومن التربية الإسلامية التي تُنشأ عليها

٥. اليقين بالفرج:

ومما يعين المسلم على العمل اليقين بأن نصر الله قريب وأن فرجه آت لا ريب فيه، وأن بعد الضيق سعة، وأن بعد العسر يسراً، وأن ما وعد الله به المؤمنين وما وعد به المبتلين من العوض والإخلاف لا بد أن يتحقق، فهذا اليقين جدير بأن يبدد ظلمة الوهن والقلق من النفس، ويطرد شبح اليأس من القلب، وأن يضيء الصدر بالأمل في الظفر، والثقة بالغد (٢).

يقول الله تعالى: "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" (الشرح: ٦ . ٥).

٦. التحرر من عبودية غير الله:

الإنسان الذي يؤمن بأن الله هو المحيي والمميت، والنافع والضار، والمعطي والمانع، ويؤمن كذلك بأنه ليس للبشر مهما علا قدره وعظم شأنه أن يسوق إلى الإنسان ما أراد الله منعه أو يمنع عنه ما أراد الله أن يعطيه إياه مثل هذا الإنسان يتحرر من سيطرة الغير، قال تعالى: "وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا" (الفرقان: من الآية ٣).

فإيمان المسلم قوة عظمى يستعلي بها المؤمنون على كل قوى الأرض، وكل شهوات الدنيا، ويصبح حراً لا سلطان لأحدٍ عليه إلا الله، فلا يخاف إلا الله، ولا يذل إلا الله، ولا يطلب إلا من الله، ولا يأمل إلا في الله، ولا يتوكل إلا على الله، وإذا تعرضت حريته للخطر يدافع عنها ويستعد لأصعب المعارك لأجل الاحتفاظ بها.

٧. الترفع عن الشهوات:

ولا شك أن الترفع عن الملذات والشهوات، والجهاد لأجل الخير والصلاح يعطي الداعية المسلم دافعاً قوياً في استمرارية دعوته لمكافحة الشر، والتطلع إلى المزيد من الخير والأجر ومن كان هذا دافعه ومحركه في الوقوف أمام الأعداء لمؤهل للنصر بإذن الله، حيث إن حب الخير والعمل له يجعل الإنسان لا يشبع منه يطلب المزيد ولا يتطرق الوهن إليه أبداً، ذلك أن القلب في الترف والإغراق في النعيم يعد من أعظم الشواغل والقواطع التي تشغل صاحبها عن طلب الكمال وتقطع عليه طريق المجد والسؤدد، ثم إن الإغراق في النعيم يثبت في نفس صاحبه أخلاقاً مردولة من نحو الجبن والخور، وقلة الأمانة، والإمساك في وجوه الخير، وذلك مما يورث الوهن وضعف الهمة، يقول الله عز وجل: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (الأعراف: ٣١).

٨. الاقتداء بأهل الصبر والعزائم:

ومما يعين الداعية في السير إلى الأمام: التأمل في سير العظماء الرجال من علماء ومجاهدين ومن كرماء وأبطال الصابرين، وما لاقوه من صنوف البلاء وألوان الشدائد، وبخاصة أصحاب الدعوات وحملة الرسالات من أنبياء الله ورسله المصطفين الأخيار، الذين جعل الله من حياتهم وجهادهم دروساً بليغة لمن بعدهم ليتخذوا منها أسوة، ويتعزوا بها عما يصيبهم من متاعب الحياة وأذى الناس، يقول الله تعالى: "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ" (الاحقاف: من الآية ٣٥)، وأمتنا الإسلامية على مر عصورها لم تخل من نماذج عظيمة وقمم سامقة، سواء في ميادين العلم والعبادة أو ميادين الجهاد والدعوة أو ميادين العطاء والتضحية وسجل لهم التاريخ مواقفهم الثابتة كي يقتدى بهم.

٩. مصاحبة الأخيار وأهل الهمم العالية:



فهذا الأمر من أعظم ما يبعث الهمم ويربي الأخلاق الرفيعة في النفس، فالإنسان مولع بمحاكاة من حوله شديد التأثر بمن يصاحبه.

والصداقة الشريفة تشبه سائر الفضائل من رسوخها في النفس وإيتائها ثمراً طيباً في كل حين، فهي توجد من الجبان شجاعاً، والبخيل سخاءً، فالجبان قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يخوض في خطر ليحمي صديقه من نكبة عندما تشتد المحن وتتفاقم الفتن، وتقبل الشدائد كأموج البحر وتأخذ بخناق المؤمنين وتزيغ الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر ويظن الناس بالله الظنون، ويتلى المؤمنون ويزلزلوا زلزلاً شديداً، فإذا كان الأمر كذلك فما أجدد الداعية أن يبحث عن إخوان ثقات وأبطال حتى يعينوه في هذه اللحظات الحاسمة في حياته (٣).

قال ابن حزم - رحمه الله: من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة والبر والصدق وكرم العشيرة والصبر والوفاء والأمانة والحلم وصفاء الضمائر وصحة المودة (٤).

١٠. الجرأة في قول الحق:

الجرأة في الحق قوة نفسية رائعة يستمدّها المؤمن الداعية من الإيمان بالله الواحد الأحد الذي يعتقدّه، ومن الحق الذي يعتنقه، ومن الخلود السرمدي الذي يوقن به، ومن القدر الذي يستسلم إليه، ومن المسؤولية التي يستشعر بها، ومن التربية الإسلامية التي نشأ عليها.

وعلى قدر النصيب المؤمن من الإيمان بالله الذي لا يغلب، وبالحق الذي لا يُخذل، وبالقدر الذي لا يتحول، وبالمسؤولية التي لا تكل، وبالتربية التكوينية التي لا تمل بقدر هذا كله يكون نصيبه من الجرأة والشجاعة وإعلان كلمة الحق التي لا تخشى في الله لومة لائم (٥).

وهذا هو وصف الصفوة المختارة لحمل الرسالة والدعوة في كل عصر يفلت فيه الناس من المسؤولية ويتخلون عن التبعية، يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (المائدة: ٥٤)

المراجع

(١) الصبر في القرآن الكريم للدكتور يوسف القرضاوي ص ٩٥٩٦.

(٢) الصبر في القرآن الكريم ص ٩٧٩٨.

(٣) الهمة العالية ص ٢٧.

(٤) الأخلاق والسير لابن حزم ص ٢٤٢٥.

(٥) صفات الداعية النفسية لعبد الله علوان ص ٢٣.

### ٥٧- من مهارات الاتصال<sup>(١)</sup>

تعلم فن الحوار !!

الحوار فن وعمل، وضرورة إنسانية لا يمكن الاستغناء عنها في حياة الإنسان الاجتماعي بطبعه، وفن الحوار يمكن عده فن حياة وفن بناء العلاقات الإنسانية المتميزة، إذ الحوار أول وأسرع وسيلة للتواصل والتقارب بين البشر. حاجتنا إلى الحوار حاجة ماسة لا يمكن الاستغناء عنها، وتأتي هذه الحاجة لتلبية العديد من الحاجيات الضرورية لتكامل الشخصية الإنسانية عموماً وشخصية الفتى على وجه الخصوص، ومنها:

(١) الحاجة إلى الانتماء:

وهي حاجة تتبلور وتتكامل بالحوار الفعال بين أفراد الفئة والوحدة التي تشكل خلية متكاملة يستشعر الفتى أنه جزء منها. ولا تستقيم عملية الانتماء إلا بالحوار البناء وتوفير المجالات لممارسة عملية الحوار والتواصل بين الأفراد.

(٢) الحاجة إلى الاعتبار:

(١) د. مصطفى أبو سعد/

وهي حاجة تلبئها أحواء الحوار الفعال الذي يعترف بقدرات الفرد ويشني عليها وينمئها وبتبئح فرصة للفتيان أن يتعلموا مهارة التفاعل مع الناس من خلال الحوار والتعبير عن الذات..

(٣) الحاجة إلى التفاعل:

وهي حاجة تقتضئها اجتماعية الإنسان أن يجد من يتفاعل معهم في الحوار والمشاعر والنشاط.  
\* من أصول الحوار:

الحوار يهدف صاحبه إلى التواصل مع الآخرين، سواء بإقناعهم أم بإخبارهم أم بتبئبهم أم بالتماس شيء منهم.. ولا يتحقق الهدف منه إلا إذا روعيت بعض أصول الحوار الجاد والمثمر.. ومن هذه الأصول:

(١) ابتغاء الحق:

حيث يكون حرص الإنسان أن يجد الحق وبتبئبغه، سواء ظهر على يده أم على يدي غيره.. وقد تبئ الغزالي هذه الحقيقة في قوله: أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يديه أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق.

(٢) احترام الطرف الآخر:

لا يثمر الحوار لو انتفى الاحترام بين المتحاورين.. وهو واجب مهما كان الشخص الآخر صغيراً كان أم كبيراً، فقيراً أم غنياً.

(٣) الإنصاف:

الإنصاف زينة الحوار، وهو يقرب بين النفوس ويبعد الظنون والوساوس.. قال حاتم الأصم: معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي، قالوا: وما هي؟ قال: أفرح إذا أصاب، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي حتى لا تتجاهل عليه.

(٤) الإصغاء:

الحوار تواصل متبادل بين طرفين ولا ينبغي الاستئثار بالحديث.. قال ابن عباس رضي الله عنه:  
لجليسي علي ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأن أوسع له في المجلس إذا جلس، وأن أصغى إليه  
إذا تحدث.

(٥) الصدق.

(٦) الرفق.

(٧) الهدوء.

### ٥٨-رسالة إلى المعلم<sup>(١)</sup>

الحمد له الذي رفع شأن العلم والعلماء فقال: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون). الحمد لله الذي جعل في الناس بقية تدل على الخير وترشد إليه.  
وأشهدُ ألا إله إلا الله شهادة تنجي صاحبها من المهلكات، وتوصله إلى أعلى الدرجات وتبوءه  
الجنات

يا رب حمداً ليس غيرك يحمداً \*\*\* يا من له كلُّ الخلائق تصمداً

أبوابُ كلِّ ملكٍ قد أُصِدَّتْ \*\*\* ورأيتُ بابك واسعاً لا يُوصدُ

وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم خير الأنام ومعلم الإنس والجان والمرسل  
إليهم بأكمل بيان

صلى عليك الله يا علم الهدى \*\*\* واستبشرت بقدمك الأيام

هتفت لك الأرواحُ من أشواقها \*\*\* وازيَّنت بحديثك الأقلامُ

ورضي الله عن آله الكرام وأصحابه مصابيح الدجى في الظلام ومن تبعهم بإحسانٍ بلا توانٍ  
وإمهال.

أما بعد:

أيها المسلم:

(١) إبراهيم بن مبارك بوبشيت

فهذه رسالة من طالب أرسلها.

فعلى ماذا تدور؟ وعن ماذا تتحدث؟ ولمن وجهت إليه يا ترى؟؟؟؛

فهل هي من رسائل الحب والغرام التي بدأت تعج بها الساحة؟ أم رسالة تطلب مصلحة من مصالح الدنيا؟، فإذا بالجواب يقول: لا.

أم هي رسالة من ولدٍ لوالده؟، أم موجهة لمسؤول؟ فإذا بالجواب: لا. إذن ما هو خبرها؟ وما سبب إرسالها؟.

وإذ بالرسالة قد خرجت من قلب هذا الطالب إلى من كان سبباً في سعادته الحقيقية بعد الله تعالى بنماء عقله وتفتح ذهنه وزيادة علمه. رسالة إلى من عايش معه شطراً من حياته، فاقتبس فيها هدياً من هديه وسمتاً من سمته واقتفى أثراً من أثره، رسالة لمن كان سبباً بعد الله في علمه وتعلمه، من كان يمضي معه ما يقرب من ست (٦) ساعات فلا تفارق عينه عينه ولا هيئته خياله.....

أو تراك قد عرفت المرسل إليه؟ إنها رسالة من طالب قد تخرَّج وأنهى مرحلة التعليم وانتقل إلى مرحلة أخرى، أرسلها وفاءً وشكراً إلى ذلك المعلم الكريم المبارك. الذي طالما سكب دم روحه من أجل تعليمه حيث قال كاتبها...

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أستاذي الكريم ومعلمي الفاضل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد: فهذه رسالة من قلب طالما غرست فيه بعض غراسك وزرعت فيه بعض زرعك، فرويته بمعلم فضلك ووهبته جميل هباتك

أستا ذي ومعلمي: كم كنتُ أغبطك على هذه المهنة العظيمة ذات الشرف في الدنيا والآخرة، كيف لا وهي مهنة الأنبياء وطريق المرسلين، ولقد كنتُ أتأمل قوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون). فقلتُ في نفسي هنيئاً لك هذا الفضل.

فإذا جاء الناس يوم القيامة بالشاة والبعير والعمارات والعقارات والأموال والمراكب الفارهة التي جمعوها في الدنيا جئت أنت تحمل معك البقرة وآل عمران وأناساً اهتدوا بمهديك وتعلموا من



علمك ونهلوا من فضلك قد نورت بصائرهم ونفيت عنهم الجهالات وأبعدتهم عن الفضلات. فكم حاربت إبليس وأبعدت طلابك عن التلبس وخشيت عليهم من أن يكونوا مفاليس وبشراك

بشراك بمديث رسولك ومصطفاك، حيث قال: (إن الله وملائكته، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر، ليصلون على معلم الناس الخير). رواه الطبراني في الكبير والضياء عن أبي أمامة وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وأحسبك أنك منهم إن شاء الله تعالى بصدق نيتك وإخلاصك لله تعالى.

معلمي الفاضل: إنك من المجاهدين بكل حقٍ وحقيقة فأنت على ثغرة من ثغور المسلمين فلئن كان المجاهد في ثغور البلاد يحميها من تسلط العابثين، ودخول المعتدين الذين يُزعزعون أمنها ويولدون الرعب لها فأنت من أعظم المجاهدين فمن يحمي العقول من عبث العابثين ولوث العلمانيين وتحريف الغالين وينفي شبه الزائغين..... إنه أنت يا أستاذي الكريم فالقرآن أمامك والتوحيد سلاحك والتفسير بيانك والفقهاء إمامك والتاريخ سندك والجغرافيا دليلك و الإنجليزي رموزك والغازك وأساس كشف أسرار أعدائك و الجولوجيا وعلم الأرض فهما مجال تطبيق علمك والرياضة قوتك ونشاطك والمؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. والفيزياء والكيمياء هما مصدر الابتكار والاختراع من أجل القوة والغلبة ولا أنسى الرياضيات منمية العقول و الفهوم والإدراك إذ لا حراك إلا بوقود وهي وقودٌ للعقول العاملة والأفهام الثاقبة وقبل الختام فالحاسوب هو جهاز التكنولوجيا والذي أصبحت ترى العالم كله من خلاله وتخاطب من شئت بواسطة.....

أيها المجاهد: استمع لكتاب الله تعالى وهو يخبر عنك(ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبير).

أستاذي الكريم معلمي الفاضل:

لأن افتخر المهندس برونق إنشائه وجمال إبداعه. وبرز الطبيب بفرط ذكائه وخفة أدائه لأعماله وارتفاع صيته وشهرته وازدحم الناس على عيادته، وظهر المخترع والمبتكر بجمال ابتكاره وذاع صيته في كل أرجاء بلاده،

فلا أنسى ذخيرتك العظمى التي تدر عليك الحسنات مدراراً وتسجلها في ميزانك بلا عدٍ ولا حسابان، ذلك العالم الرباني وطالب العلم الهمام الذي قصد المصادر الربانية و المنح الإلهية فحفظها وقام للناس موجهاً وللجهال معلماً وللمتعلمين معضداً فقام بالحق وبه يعدل. وذاك الشاعر الفصيح، واللغوي الرصين الذي نافح برصانة كلماته عن الإسلام وأثار حماس أهل الجهاد فكان بحق حسان عصره وعليّ زمانه ومهما أطلعنا الفلكي على بعض اكتشافاته وعظيم استنتاجاته ومهما اعتلى الطيار في السماء، أو أجاد السباحة في الهواء والفضاء وتمايل بطيارته كتمايل طير الحمام بفرح الخروج مع ضوء النهار وبالغدو والإبكار. وذالك القائد العسكري الذي أخذ العهد على نفسه بحماية دينه ومليكه ووطنه سواءً كان في البر أو البحر أو الجو.....

فيا استاذي: حُقَّ لك أن تفخر فهؤلاء كلهم وغيرهم كثيرٌ وكثيرٌ بعض نتاجك (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون). فلئن تقاعد أي موظف عن عمله وانقطعت عنه تبعاته ونسي متطلباته واندرثت في الغالب بعض صلواته... فلا تنقطع صلواتك ولا تنتهي سنوات خدمتك فالكل لا ينسى فضلك وإبداعك، فأنت مربي الأجيال لتعمر الديار وينتشر الأمان بسبب انتشار العلم وسعة الفهم وقوة البيان.....

أستاذي الكريم:

طالما طاردتُ الذكريات كلما تجاوزت مرحلة من المراحل لا تنسى فقد عشت معك سنوات الابتدائية الجميلة وغمرتني فيها بعطفك وحنانك وحظك لي على التعلم وأنت تكرر أول ما أرسل الله به رسوله صلى الله عليه وسلم قال له: (اقرأ بسم ربك الذي خلق ) خلق الإنسان من علق\* اقرأ وربك الأكرم\* الذي علم بالقلم\* . فسميت في قلبي حب التعليم وغرست فيه البر والمثابرة، ولما انتقلتُ إلى المتوسطة كانت وسطاً لحياتي فحظيتُ بالتوجيه، خصوصاً أني في



مستقبل فتوتي وشبابي ولما انتقلت إلى الثانوية عرفتُ أن الحياة بلا علم ثانوية، فتعلمتُ منك أهما بداية الانطلاق والاختراع وأهما بلا إبداع تصبح عذاباً ولما انتقلتُ إلى الجامعة حظيتُ منك بكل معلومة جامعة بل ومانعة فبارك الله في علمك يا أستاذي وكسائك الله حلل الكرامة..... فأنت يا معلمي:

زاد الطريق في ظمأ العلم وفشو مرض الجهل وسياج الأمان في كثرة السباع وسوء الأفهام و الحصن الحصين بإذن رب العالمين عند انتشار الشياطين، فالعلماء كواكبُ في السماء، فهم ورثة الأنبياء وسادة الشهداء تستغفر لهم حيتان الماء، وطيور السماء، وتدعو لهم النملة وتستغفر لهم النحلة.....

هذا هو العلم لاطينٌ ولاحجرٌ \*\*\* ولاخيلٌ ولاعيسٌ ولابقرٌ  
هو النجاةُ هو الرضوانُ فاحض به \*\*\* وما سوى العلمِ لاعينٌ ولاأثرٌ  
فيا أستاذي الكريم:

يا من حملت راية العلم سنين وسنين حُقَّ لك هذا الوسامُ من الملك العلام (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً).

أستاذي ومعلمي:

يا من أكن له خالص شوقي واحترامي ولذلك خط له بناي، لقد راجعتُ سجل الذكريات على مر المراحل والأعوام في تلك الليالي المظلمات فحظيت ببعض الأمور التي هي والله لسعي طالب الكمال لا لتلمس العيوب في الحديث والمقال وتصيد الأخطاء التي قد مضى بها غابر الزمان. فيا سناذي الكريم: لم أنس ذلك الأسلوب الجميل الذي تعودناه منك ألا وهو: رحم الله امرأً أهدى إلي عيوبي وطالما كنتُ تُشَنَّف آذاننا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قال لله، وكتاباه، ورسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم).



فإذا كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالنصح لعامة المسلمين فكيف بمعلميها وناصحيها فلا تنسَ يا أستاذي أن أسرتي أسلمت لك مضغتها ودماً من دمها فاتقِ الله فيها صنها بالخوف من الله وعلّمها مراقبته فبأخلاقك تتخلق وبسمتك تتسم أستاذي ومعلمي: لقد رأيتُ أن القدوة فيك في بعض الأحيان تنحرم والله يقول (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا). فأنت من أعظم الأئمة فأتعجب من أن قولك في بعض الأحيان لا يوافق الصواب فالكذب تنطقُ به والسب والشتم والاحتقار والاستهزاء صفة تتراوح عندك كتراوح الحر والبرد لقد تعجبتُ من أفعالك التي تنمي لتناقضك فتحثنا على استغلال الوقت وتنظيمه والعناية به وعدم إهداره ولقد تناقلت. الأخبار عنك من مصادرنا الموثوقة أنك صاحبُ سهر ووقت يقضى في الملاهي حتى أصبحنا نرى قلبك لاهياً. فلا تظن أستاذي أني نسيت جميل نسائم نصحك ولكني خشيت عليك من قول ربنا سبحانه (يا أيها الذين ءامنوا لما تقولون ما لا تفعلون).

أنسيت ونحن و في سنين الابتدائية وأنت تعلمونا أركان الإسلام ومن ذلك الصلوات الخمس وكنت تحظنا عليها فتعجبتُ منك أنك تنقصها فلقد أخبرني والدي وبعض زملائك أن لا تشهد صلاة الفجر جماعة في المسجد على جهة الاستمرار والعصر في بعض الأحيان. بل لقد لمستُ ذلك وأنت تشرحُ لنا حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم: أثقل الصلاة على المنافقين: (ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعصر) الذي رواه البخاري عن أبي هريرة فمررت عليه مرور اللثام فلم تعطه حقه ولم تبين فضله.

أستاذي: لقد تذكرتُ حديث سنن الفطرة، ذلك الحديث العظيم الذي ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عشرٌ من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية و السواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البرامج و تنف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء) يعني الاستنجاء قال الراوي نسيتُ العاشرة إلا أن تكون المضمضة، فتعجبتُ منك يا أستاذي أنك أعطيتها حقها ووفيتها شرحها فبارك الله في فيك وعلّمك، ولكن لفت نظري وأبعد وسني أنك لم تعطِ أحد ألفاظ الحديث حقه ألا وهو — إعفاء اللحية — فلا تظن أني كلما

رأيتها وقد أخذتها الشياطين أو احتوشتها الوحوش فأخذت من أطرافها فما بقي إلا الأصول  
فنسأل الله بقاء الأصول

وأنقل لك يا أستاذي كلاماً نفيساً لعالمٍ نفيسٍ ألا وهو العلامة ابن عثيمين — رحمه الله تعالى —  
قال في كلامه الثمين [وأما إعفاء اللحية وهو عدم التعرض لها بقصٍ أو حلقٍ أو نتفٍ فلأن الله  
خلقها تمييزاً بين الذكور والإناث وإظهاراً للرحولة والقوة ثم قال رحمه الله تعالى: فخلق اللحية  
حرام لأنه خروج عن الفطرة ومخالفة للرسول وأتباعهم وموافقة للمشركين وتغيير لخلق الله تعالى  
بلا إذنٍ منه وليس إبقاء اللحية من الأمور العادية كما يظنه بعض الناس وإنما هو من الأمور  
التعبدية.... ثم قال ومن أعفاها من المشركين فإنه هو المتشبه بنا وليس نحن المتشبهين به.  
أستاذي الكريم:

كم كان تعجبني هيئتك وجمال ملبسك الذي طغى على جمال درسك وتوصيل علمك فلقد  
آثرتي حرصك العظيم على ملابسك وتجددها كل حين ولم أرَ تجدد وسائلك التعليمية أثناء  
الشرح.

بل يؤلمني أني أرى مادة جافة إنما هي نقل للمعلومات من الكتاب وما دام الحال هذا فلماذا لا  
تسجل المادة ونسجمها نحن وجميع الطلاب فكم كنت أتمنى أن أسمع سبب نزول هذه الآية  
والقصة التي فيها دون أن تكون مقررة في المنهج مستفيدين من المنهج العلمي الرائع الذي ابتكر  
لنا لأن الأجهزة الحديثة لها الأثر البالغ كما تعلم ولا يخفى عليّ أنها ليست في المنهج  
المقرر.....

أستاذي وينبوع فؤادي: —

كم كنت أتمنى أن أرى مادة الجغرافيا مليئة بالإيمان إذا تحدثت عن الجبال وعظمتها والسماء  
وعظيم اتساعها والأرض وجمال إبداعها. فالسماء انشقت والجبال تفجرت وأخرجت الماء،  
والأرض انشقت ومُدت وألقت ما فيها وتخلت فربطت بين السحاب بالإيمان فهطل المطر،  
وحدث التبخر وكم هي تلك الظواهر الجغرافية التي تحتاج لربط بالقرآن و السنة ولكن عدم  
حرصك هو الذي جعل هذه المادة قائمة على الجمود.

ولا أنسى التاريخ يا أستاذي.....

فتعجبتُ من شرحك في مادة التاريخ حيث إنه لا يعدو المنهج المقرر و ذلك لأنك لا تعلم إلا ما يختص بمنهجك فقط دون أن يكون لديك علمٌ بأمور كثيرة عن التاريخ أو نسيت ذلك اليوم الذي كنت تشرح فيه عن فتح مكة؟ ولما سألتك من خلف الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة؟ قلت: لا يسأل أحدٌ خارج الدرس.....

أستاذي العزيز: —

اللغة العربية هي لغة القرآن الذي هو كلام الرحمن الذي أنزله الله: (بلسانٍ عربيٍّ مبين). فما سببُ ضعفي وضعفٍ غيري؟ إن من أسباب ذلك عدم كلامك الكلام العربي وسلاسة لسانك. وأنا أعلم: أن من اللحن لا يصلحه سبويه ولا يقيمه نفطويه، واسمع معي هذه الحكاية: كان جعفر البرمكي عند الرشيد كالمأمور فلما رفع المجرور ترك رأسه في البلاط يدور. وهذا أبو جعفر المنصور: لما رأى أبا مسلم يضم المكسور جعل سيفه في صدره كالضمير المستور...

فيا أستاذي: — لحن القول أهون من لحن الفعل فعظم النحو لأحبابي كفى بالنقص الذي وقع لي ولزملائي....

أستاذي وطريق وصولي.....

لا أنسى الجولوجيا مادة العلم الجميل والخلق الفسيح فكم فيها من إعجاز الله تعالى فبين علم الأرض وما فيها من جبال راسيات وسهول وأثمار جاريات وكذلك أختها الأحياء وبها تعرف كيف كانت الحياة من معرفة علم الأجنة والنطف ومراحل التكوين لهذا الإنسان ساعة والأنسجة ساعة ولكن ذهبت بسبب عدم الإتيان بآيات التدبر والتفكر (فلينظر الإنسان مم خلق ) خلق من ماءٍ دافقٍ) يخرج من بين الصلب والترائب). الفيزياء والكيمياء مادة التصنيع والابتكار ذهبتا بعدم الحظ على الاختراع والابتكار، بل إن من المؤسف أن تردد دائماً أنه لا يوجد إمكانيات إن هذا لا يقوله صاحب همة وعزم —وإذا لم يوجد الماء أجزأ التيمم وإذا لم يوجد صلى على أي حالٍ كان وما أجمل الرياضة لولا أن بعدها الرياضيات وبينهما تناقض في العبارات فصارت الرياضيات لا تعتمد على الفهم والاستيعاب.

فيا أستاذي الكريم:

كرر الدرس فالخطو بمسألة واحدة أفضل من ذهاب المسائل في حب كان فيصبح الخبر بلا مبتدأ.

وأما الرياضة فإنها حصة النشاط والحيوية فقد انتكس فيها الهدف فأصبحت تركز فيها على الأبدان وتركت العقول فأصبحت لا تتكلف شيئاً إنما هو رمي هذه الكرة جلدة السوء فقط دون بث روح النشاط في القلب والروح.

فيا أستاذي لماذا لا تذكر لنا سيرة سلمة بن الأكوع في غزوة ذي قرد وكيف كان يسابق الخيل ويده مثل خف البعير بدل سيرة الرياضيين الكفرة وتذكر لنا سيرة خالد وكيف كان في الجهاد دون ذكر المصارعين العرايا وما أجمل الإتيان لنا في بعض الأحيان بسيرة الرسول وكيف كان يسابق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بدل الجريدة الرياضية في كل حين إذ في سيرته كل أخبار الرياضة وكم كنت أتمنى أستاذي أن تكون حصة الرياضة المليئة بالأنس والراحة فيها الحظ على اللباس الشرعي والبعد عن اللفظ القبيح والمنطق الذميم....  
و لا أنساك أنت نعم أنت...

يا من نقلت معارفي و ربطت إحساسي و مشاعري بجهاز يعتبر حبلأ موصولاً بالعلم  
فيا أستاذي معلم الحاسب الآلي أنت المعني بالخطاب فلا تحد عن اتباع الصواب فإنه من أخلاق أولي الألباب فكم أتأمل تلك الأساليب و نحن في معمل الحاسب و أنت توجهنا بالهدوء في التعامل مع هذا الجهاز و الحذر من الخطأ و لو كان صغيراً فإن تأثيره عظيمٌ و أخذت أقلب صفحات قلبي و مكنون فؤادي.

فقلت: يا أستاذي تعجبت من الخبر الذي قال لي: إنك ليس عندك جهاز في البيت!!  
و ذكرتني كلمتك بالتعامل بدقة مع الجهاز وتأثير الخطأ و إن كان صغيراً فقلت: أين نحن عن تأثير الذنوب التي تطمس على القلوب فلا تعقل الخير و لا تبصر الصواب و الله يقول ((و ذروا ظاهر الإثم و باطنه)).

و ما أجمل أن أرى منك يا أستاذي حثاً لزملائي و توجيههم بتسخير هذا الجهاز للخير خصوصاً و أني أراهم يسألونك عن بعض المواقع الإباحية و كيفية فك الحماية عن هذه المواقع و لم أرَ منك تمعراً في الوجه لهذه الأسئلة المحزنة و لم أرَ منك نصحاً و إرشاداً لهم و حثاً على تصفح المواقع الإسلامية التي تحتوي على خطب و محاضرات و دروس مفيدة.

و لعلي أطلت عليك و لكن لا ألام فالكمبيوتر صاحب العقل المدبر عند الكثير من الناس و صار هو صاحب و الصديق عند آخرين فسلب عقولهم و قضم وقتهم و استنزف أموالهم. أستاذي الكريم:

و عندما كنت أتأمل تلك الرسومات و الأشكال جملة المحيا التي تسحر الناظر و توقف الماشي، و تمتلك تلايبب الفؤاد. لماذا لا يكون ذلك و هي نابعة من روحك قبل قلمك و من جمال خيالك قبل رونق ألوانك.

أستاذي و معلمي:

لقد أعجبتني ما رأيته في غرفة التربية الفنية من شهادات حققتها و جوائز نلتها. و لكم كنت أنا و زملائي نسمع عن بعض الإبداعات التي كانت في حياتك سواء تلك المناظر الخلاية و الخطوط التي خطها بنانك.

و لكن ألني أني لم أرَ ذلك ثلاث سنوات قضيتها معك في المرحلة المتوسطة خصوصاً و قد ذهبت أيام الابتدائية في رسم الشجر و السيارات فقط فلقد كانت حصة الفنية حصة الأعمال الشاقة من حمل أمتعة المدرسة و تنظيف الغرفة.

أستاذي و معلمي:

ما أجمل اختياراتك للألوان و حسن التنسيق بينهما متعجباً من عدم تناسق أخلاقك مع ذوقك فقلت: سبحان الله ((و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة)).

فتعجبت من طيشك في بعض المواقف و سرعة إيذاء لسانك قبل يدك.

و كم كان بعض الأساتذة يعيبون علينا عدم جمال خطوطنا و كلما أخبرناك بذلك لم تبد لنا حراكاً.

حتى تخرجنا من المتوسطة و لم نزل شيئاً ف ((إنا لله و إنا إليه راجعون)).

أستاذي

هذا بعض من نصحي، وحي لك جعلني أكتبها لك، وطلبي لكمالك حرضني على توجيهك.

أستاذي

أنت علم الخير ورمز الهدى للسائرين، النظر إليك ليس كالنظر لغيرك، وصلاحك صلاح للجيل.

فما أصبت من خير فهو من الله وما أخطأت فمن نفسي، والله ورسوله منه بريتان وصلى الله

على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

تلميذك البار

١٤٢٢/٦/٢٦ هـ

<http://www.saaid.net>

### ٥٩- وأنه هو أضحك وأبكى<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) [النجم: ٤٣]، الضحك المعتدل بلسم للهموم، ومرهم للأحزان، وله قوة عظيمة في فرح الروح، قال أبو الدرداء: إني لأضحك حتى يكون إجماماً لقلبي، وكان أكرم الناس صلى الله عليه وسلم يضحك أحياناً حتى تبدو نواجذه، وهذا ضحك العقلاء العارفين بداء النفس ودوائها، والضحك ذروة الانشراح، وقمة الراحة، ونهاية الانبساط، ولكنه ضحك بلا إسراف، فإن كثرة الضحك تमित القلب، ولكنه التوسط، قال عليه الصلاة والسلام: "وتبسمك في وجه أخيك صدقة" قال تعالى: (فَتَبَسَّمْ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا) [النمل: ١٩]، وليس ضحك الاستهزاء والسخرية، قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ) [الزخرف: ٤٧]، ومن نعيم أهل الجنة الضحك قال تعالى: (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا

(١) محمد بن عبد الله الشايع

مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) [المطففين: ٣٤]، وكانت العرب تمدح ضحوك السن، وتجعله دليلاً على سعة الصدر، وجود الكف، وسخاوة الطبع، وكرم السجايا، ونداوة الخاطر:

ضحوك السن يطرب للعطايا... .. ويفرح إن تُعرض بالسؤال

وقال زهير:

تراه إذا ما جئته متهللاً... .. كأنك تعطيه الذي أنت سائله

والحقيقة أن الإسلام بني على الوسطية والاعتدال، فلا عبوس مخيف قائم، ولا قهقهة مستمرة عابثة.

يقول أحمد أمين في فيض الخاطر: "ليس المتسمون للحياة أسعد حالاً لأنفسهم فقط، بل هم كذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالاً للمسؤولية، وأصلح لمواجهة الشدائد، ومعالجة الصعاب، ولو خيرت بين مال كثير أو منصب عظيم، وبين نفس راضية باسمه لاخترت الثانية، فما المال مع العبوس؟ وما المنصب مع انقباض النفس؟ وما جمال الزوجة إذا عبست وقلبت بيتها جحيماً؟ لخير منه ألف مرة زوجة لم تبلغ مبلغها في الجمال، ولكن جعلت بيتها جنة".

البحث عن الشقاء

وهناك نفوس تستطيع أن تخلق من كل شيء شقاء، ونفوس تستطيع أن تخلق من كل شيء سعادة، وهناك المرأة في البيت لا تقع عينها إلا على الخطأ. فالיום أسود لأن طبقاً انكسر، ولأن نوعاً من الطعام زاد الطاهي في ملحه، أو أنها عثرت على أوراق مبعثرة، فتهيج وتسب كل من في البيت، فإذا هو شعلة من نار، وهناك رجل ينجس على نفسه وعلى من حوله من كلمة يسمعها، أو يؤولها تأويلاً سيئاً، أو من عمل تافه حدث له أو حدث منه، أو من ربح خسره، أو كان ينتظره فلم يقع، فإذا الدنيا كلها سوداء في نظره، ثم هو يسودها على من حوله، هؤلاء عندهم قدرة على المبالغة في الشر، وليس عندهم قدرة على الخير، فلا يفرحون بما أوتوا ولو كان كثيراً، ولا ينعمون بما نالوا ولو كان عظيماً.

يقول أحمد أمين: "وأكثر الناس لا يفتحون أعينهم لمباهج الحياة، وإنما يفتحونها للدرهم والدينار، يبرون على الحدايق الغناء والأزهار الجميلة والماء المتدفق، والطيور المغردة فلا يأبهون لها، وإنما

يأهون لدينار يأتي ودينار يخرج كأن الدينار وسيلة للعيشة السعيدة فقلبوا الوضع، وباعوا العيشة السعيدة من أجل الدينار".

الثقة بالنفس

لا شيء أقتل للنفس من شعورها بضعفها، وصغر شأنها وقلة قيمتها، وأنها لا يمكن أن يصدر عنها عمل عظيم، ولا ينتظر منها خير كبير، هذا الشعور بالضعف يفقد الإنسان الثقة بنفسه، والإيمان بقوتها، فإذا أقدم على عمل ارتاب في مقدرته، وفي إمكان نجاحه، وعالجه بفتور ففشل فيه، الثقة بالنفس فضيلة كبرى عليها عماد النجاح في الحياة، وشتان بينها وبين الغرور الذي يعد رذيلة، والفرق بينهما أن الغرور اعتماد النفس على الخيال، وعلى الكبر الزائف، والثقة بالنفس اعتمادها على مقدرتها على تحمل المسؤولية وعلى تقوية ملكاتها، وتحسين استعدادها.

## ٦٠- مهارات الاتصال وبناء العلاقات

قال ابن منظور في لسان العرب: وصل وصلت الشيء وصلأ وصله، والوصل ضد الهجران ووصل الشيء إلى الشيء ووصولاً وتوصل إليه انتهى إليه وبلغه.

وقال أبو بكر الرازي في مختار الصحاح: وصل إليه يصل ووصولاً أي بلغ، والوصل ضد الهجران والوصل أيضاً وصل الثوب والخف وصلة أي اتصال وذريعة، وكل شيء اتصل بشيء فبينهما وصلة.

وقال الأصفهاني في مفردات الألفاظ الاتصال: اتحاد الأشياء بعضها ببعض كاتحاد طرفي الطائرة ويزاد الانفصال.

عزيري القارئ:

أنت الآن على موعد مع مهارة من أهم المهارات التي تتعلمها في حياتك ويتوقف عليها جزء كبير من فاعليتك وتأثيرك ونجاحك في الحياة إنها مهارة الاتصال مع الآخرين.

لقد نجحت البشرية في الحقبة الأخيرة من الزمان في تطوير آلات الاتصال من هاتف فاكس وجوال وانترنت وغيرهم حتى سمي عصرنا هذا الذي نعيش فيه بعصر الاتصالات وتطورت



الحياة البشرية كثيراً بتطوير وسائل الاتصال، وهكذا أيها القارئ ستتطور حياتك كثيراً إذا طورت أدوات اتصالك أنت مع الآخرين.

يقول د/ إبراهيم الفقي: 'الاتصال كالوميض مهما كان الليل مظلماً فهو يضيء أمامك الطريق دائماً'.

وقد بدأنا الحديث في هذا الباب بالتعريف اللغوي للاتصال ومن خلاله نستنتج ثلاث نتائج أولية:

- ١- أن الاتصال يحتوي على صلة أي علاقة بينك وبين من تتصل به.
  - ٢- أن الاتصال يقتضي البلاغ وهو توصيل ما تريده إلى الآخرين بصورة صحيحة.
  - ٣- أن الاتصال يعني الاتحاد وهو الاتفاق والانسجام مع الآخرين.
- وحول هذه المعاني تقول أخصائية العلاج الشهيرة فرجينيا ساتر: 'الاتصال هو عملية أخذ وعطاء للمعاني بين شخصين' وتقول أيضاً: 'إن الاتصال باختصار هو إقامة علاقة مع الشخص الآخر'.

إن هذه التعريفات جيدة للغاية إلا أن أفضل تعريف وصلت إليه هو ما ذكره الدكتور عوض القرني في كتابه 'حتى لا تكون كلاً' فقال عن الاتصال: 'سلوك أفضل السبل والوسائل لنقل المعلومات والمعاني والأحاسيس والآراء إلى أشخاص آخرين والتأثير في أفكارهم وإقناعهم بما تريد سواء كان ذلك بطريقة لغوية أو غير لغوية'.

ثم يتابع قائلاً: والاتصال له ثلاثة عناصر رئيسية:

١- المرسل ٢ المستقبل ٣- الرسالة

وحتى تكون عملية الاتصال ناجحة ومؤثرة لا بد من توافر شروط النجاح في كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة ومن الجدير بالذكر أن عملية الاتصال تمر وفق خطوات محددة لا تتم أي عملية اتصال بدونها نذكر هذه الخطوات بإيجاز:

١- وجود رغبة وحافز لدى المرسل وهذا يستدعي أن يكون له هدف واضح.



- ٢— تحديد صيغة الرسالة ولا بد أثناء ذلك من توقع رد فعل المستقبل: والرسالة الناجحة هي التي تجيب على خمس أسئلة:
- أ— ماذا أريد من هذه الرسالة؟
- ب— متى أريد ذلك؟.
- ج— أين أريده؟
- د— كيف أريد أن يتحقق؟
- هـ— لماذا أنا أريده؟.
- ٣— إنجاز الرسالة فعلاً وتنفيذها على أرض الواقع.
- ٤— استقبال المرسل إليه لرسالتك.
- ٥— رد فعل المستقبل أو المرسل إليه تجاه رسالتك وهو الهدف الذي تسعى لبلوغه والوصول إليه.
- إذن تستخلص مما مضى أن الاتصال حتى يكون ناجحاً لا بد من ركنين أساسيين:
- ١— إقامة علاقات قوية مع الآخرين والتوافق معهم.
- ٢— نقل المعلومات والأفكار إلى الآخرين والتأثير فيهم بما تريد.
- ١٨ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ —
- ٢٦ يونيو ٢٠٠٥م

## ٦١- ١٠١ فكرة لبداية رائعة في التدريس<sup>(١)</sup>

سواءً بدأنا في التدريس مع طلاب مقررات السنة الأولى، أو مع طلاب مقررات السنوات النهائية فإنه يتوجب علينا أن نبدأ بتدريس المقرر بداية قوية ما أمكننا ذلك. الحماس للعمل في تعليم الطلاب يمكنه أن يعمل تغييراً كبيراً في الكيفية التي يستجيبون بها إلى ما يتعلمون وبالتالي في تقييمهم لمقرراتهم ومعلميهم.

القائمة التالية والمكونة من ١٠١ فكرة تقدم عرضاً جيداً لبداية ممتازة في التدريس. نحن نجزم أن المعلم لا يستطيع تطبيق كامل هذه الأفكار في عملية التدريس، لكنه سيأخذ ببعض منها وهي بمثابة وجبة طازجة من شأنها أن تخلق بيئة تعلم إيجابية داخل الفصل.

تكوين جوّ ترحيبي:

\* ادخل الفصل مبكراً بدقائق قليلة عن المعتاد وتجاوز مع طلابك.

\* حيّ طلابك في أثناء دخولك باب الفصل.

\* ابدأ حصصك في وقتها.

\* قدّم نفسك وطريقة تدريسيك عن طريق الشرائح أو العروض التقديمية بالحاسب الآلي.

\* ناقش تفاصيل توزيع المنهج مع طلابك.

---

(١) عبد الله عبد المحسن الحربي



- \* وفر الوسائل التعليمية التي تحتاج إليها.
- \* وضح الساعات المكتبية وأعلنها لطلابك (خاص بمعلمي الجامعات).
- \* أعلن أسماء الطلاب المشاركين في جماعة النشاط التي ترأسها.
- \* ابحث عن الطالب الذي تلاحظ منه سلوكاً مختلفاً عن زملائه وحاول أن تحصل على معلومات أكثر عنه.
- \* وضح فلسفتك في التدريس لطلابك.
- \* اجعل طلابك يرون حماسك للمادة وحبك للتعلم.
- \* ابذل جهداً لتحفظ أسماء عدد من طلابك كل يوم.
- \* كن على علم بوظائف طلابك إذا كانوا يعملون، وكم ساعة يعملون في الأسبوع، وما نوع الوظائف التي يعملون بها.
- \* أوجد معلومات أكثر عن طلابك يجعلهم يملؤون بطاقات تعريفية شاملة للمعلومات الشخصية.
- \* أحر استطلاعاً ديموغرافياً يجعل الطلاب يتحركون إلى الأجزاء المختلفة من الفصل، المدرسة، الريف، المدينة.
- \* شجع طلابك للتواصل مع زملائهم عبر البريد الإلكتروني ليناقشوا الواجبات وأعمال المقرر.
- \* كون مجموعات صغيرة للاطلاع وأعد تشكيل هذه المجموعات مرات عديدة.
- \* نظم مجموعات تعاونية من الطلاب ليساعد بعضهم بعضاً في التعلم.
- \* شجع الطلاب لتكوين مجموعات دراسية تعمل خارج غرفة الصف.
- \* زر مواقع الإنترنت الخاصة بالمعلمين لتقابل طلابك على أرضية صلبة من الخلفية الجيدة عن أساليب التعامل معهم.

تكوين جوّ إيجابي:

- \* اجعل ضمن المحتوى ليس توزيع المنهج فقط بل كثيراً من التفاصيل من أول يوم تعطي فيه.
  - \* تابع حضور الطلاب للفصل من خلال الكشف أو التوقيع على ورقة الأسماء، أو بخصر الكراسي الخالية في غرفة الصف.
  - \* اشرح لماذا هذا المقرر ضروري ومهم ومشوق، وأخبر طلابك عن اهتماماتك البحثية في موضوع المقرر.
  - \* اجعل الطلاب يكتبون توقعاتهم عن المقرر وما يهدفون إليه من تعلمهم.
  - \* ضع عدداً محدداً من الأنظمة الأساسية تأخذ في اعتبارها الغياب، والعمل المتأخر، وإجراءات الاختبارات، والتدرج، والسلوك المتوقع (مثلاً: الشرب، الأكل، استخدام الجوال، الإزعاجات المختلفة) وأكد على تطبيق هذه الأنظمة.
  - \* أعط الواجبات من أول يوم واجمعها في اللقاء الذي يليه مباشرة.
  - \* ابدأ تجاربك العملية أو أي تمارين أخرى في أول لقاءات المعمل.
  - \* أرسل التنبيهات (المكتوبة والمنطوقة) حول: الذي يجعل التطبيقات العملية جيدة مثل: إكمال العمل المطلوب إنهاؤه، الإجراءات، التجهيزات، النظافة، الصيانة، الأمان، طلاب الدعم أو المساعدة، الاستخدام الأمثل لوقت المعمل.
  - \* أخبر الطلاب كم من الوقت يحتاجون ليدرسوا هذا المقرر.
  - \* اشرح كيفية عمل الواجبات التي تعطيها الطلاب، وشرح كيفية تقديرك للأعمال المتوقع الحصول عليها من الطلاب.
  - \* ضع عينة من أسئلة الاختبارات ووفر إجاباتها النموذجية لطلابك.
- تشجيع التعلم التفاعلي:



- \* تحرك حول الفصل لتشغل الطلاب وتمنع السلوك غير المرغوب فيه مثل الأحاديث الجانبية بين الطلاب.
- \* استخدم الاتصال العيني مع الطلاب واختر الطلاب بالأسماء للإجابة عن سؤالك، ونبه الآخرين ليكونوا جاهزين للإجابة عن السؤال التالي.
- \* ابدأ المحاضرة بالكلمات المتقاطعة، الأسئلة، العكوس، الصور، اللقطات الكرتونية على شرائح العروض التقديمية لجذب انتباه الطلاب إلى موضوع الدرس. استخدم وسائل متنوعة خلال الحصة: جهاز العرض فوق الرأس، شريط فيديو، كاسيت، نماذج وعينات لمواد مختلفة.
- \* خذ وقتاً مستقطعاً من الحصة (لا يزيد عن عشرين دقيقة) تحكي فيه قصة مرتبطة بموضوع الدرس، أو تربط الموضوع بحدث جار يحدث في المجتمع أو العالم.
- \* استخدم طرقاً متنوعة في تقديم الحصة أو الدرس: المحاضرة، التعلم التعاوني في مجموعات صغيرة، المناقشة،... إلخ.
- \* شجع الطلاب على تقديم آراء مختلفة حول الموضوع الواحد.
- \* إذا كنت تقدم فيلم فيديو، فكر في عمله بطريقة الرواية، مثلاً قم بإعداد أسئلة ووزعها على الطلاب ليفكروا في إجابتها أثناء مشاهدة الفيلم، أوقف الفيلم للمناقشة، استبق نهاية الفيلم بسؤالهم عن توقعاتهم نحوها، وزع أوراقاً على طلابك لانتقاد الفيلم، أعد تشغيل الأجزاء الضرورية من الفيلم.
- \* استخدم لعب الأدوار (التمثيل) لتوضيح نقطة أو مناقشة قضية.
- \* أعط الطلاب الفرصة لطرح الآراء حول موضوع الدرس.
- \* أعط طلابك وقتاً لإجابة الأسئلة، عدّ من واحد إلى عشرة بطريقة صامتة بعد إلقاء السؤال لتمنح طلابك فرصة للتفكير في الإجابة.
- \* اطلب من الطلاب أن يسألوا أسئلة واجعل زملاءهم يجيبون عنها.
- \* اطرح أسئلة لمتابعة الطلاب في الدروس السابقة.

- \* أعط الطلاب بطاقات ملونة يحمل كل لون موضوعاً معيناً، واطلب من الطلاب التصويت لاختيار لون معين لمناقشة ما يحويه من موضوع.
- \* استخدم أسلوب توليد الأفكار أو جلسات العصف الذهني لتوسيع مدارك طلابك.
- \* اعتمد الاختبارات والتمارين المتدرجة في درسك لترفع من مستوى تعلم طلابك.
- \* أعط طلابك أعمالاً جماعية يشترك فيها عدد من الطلاب بعضهم مع بعض.
- \* أعط طلابك مشكلة متعلقة بموضوع الدرس لحلها كواجب منزلي.
- \* اجعل الطلاب يطبقون الموضوع المقرر حل مشكلة حقيقية.
- \* شجع طلابك على إحضار خبر عن أحداث جارية مرتبطة بموضوع الدرس.
- \* اسأل طلابك عن الذي يحدث في الدولة أو المدينة مما له علاقة بما يدرسون ويمكن أن يكون له تأثير في المستقبل.
- \* اطلب من طلابك كتابة أسئلة على بطاقات لتجمع وتحل في الحصص القادمة.
- \* اطلب من طلابك الاطلاع على الدوريات الأسبوعية المرتبطة بالمادة، أسأل أسئلة ودعهم يجيبون عنها من خلال هذه المنشورات الأسبوعية.
- \* اجعل طلابك ينتقدون أعمال زملائهم، ويوضحون نقاط القوة والضعف لبعضهم البعض.
- \* ضع صندوقاً للمقترحات في آخر غرفة الصف وشجع الطلاب على أن يضعوا فيه ملاحظاتهم المكتوبة.
- تشجيع الأعمال المبدعة:
- \* أعد التوقعات الجيدة واسأل الطلاب عن رأيهم فيها.
- \* اشرح للطلاب الفرق بين التعاون المشروع أو المسموح به وبين الغش، وضح متى يكون التعاون مناسباً ومتى يكون ممنوعاً.



- \* ابدأ الدرس بمراجعة سريعة لما سبق، أنه كل درس بعرض سريع لما ستقدمه في اللقاءات القادمة.
- \* أثر تساؤلات واهتمامات طلابك في بداية الدرس، واكتبها في قائمة على السبورة لتجيب عنها خلال الدرس.
- \* اجعل الطلاب يدونون ما يرونه مهمًا أو النقاط الرئيسة للدرس الذي ستقدمه.
- \* اجعل طلابك يدونون في نهاية الدرس أهم ثلاث أفكار استفادوها منه.
- \* أعط طلابك اختبارًا قبليًا لتعرف خلفياتهم عن الموضوع الذي ستحدثهم عنه.
- \* حاول إشراك طلابك بالقراءة، والكتابة، والاستماع، والتحدث في كل حصة.
- \* شجع طلابك لينتقلوا دور الخبر في الأنظمة، الفيلسوف، الناقد الأدبي، عالم الأحياء، أو المهندس.
- \* وزّع قائمة من المشكلات التي تحتاج إلى حل واجعل الطلاب يختارون إحدى هذه المشكلات للعمل على حلها.
- \* وضح أهداف التعلم لكل واجب تكلف به طلابك، واطرح شرحًا واضحًا ماذا يتوجب عليهم أن يفعلوا خلال المقرر ككل.
- \* أعط الطلاب قطعتين تتناولان موضوعًا معينًا من وجهتين مختلفتين واطلب منهم المقارنة بين وجهات النظر المختلفة.
- \* ضع الطلاب في مجموعات زوجية (خلايا التعلم) ليختبر بعضهم بعضًا فيما تعلموه من درس اليوم.
- \* أعط دقائق قليلة للطلاب ليشرح بعضهم لبعض موضوع درس اليوم.
- \* أعط دقائق قليلة للطلاب ليشرح بعضهم لبعض موضوع درس اليوم.
- \* أكد على تنقيط وتلخيص موضوعات القراءة الصعبة.



\* قدم فرصة لعمل «بطاقات استطلاع» عن طريق كتابة ملاحظات على بطاقات مقاس X5٣، واجمعها ثم أعدها لتستخدم في الاختبار.

\* اعمل مصفوفة ذاكرة (جدول غير مكتمل)، واطلب من الطلاب أن يكملوه بشكل جماعي (اثنين، اثنين) في الفصل.

\* أعط الطلاب العديد من الفرص للتدريب على الاختبار قبل الاختبار النهائي.

\* خذ في الاعتبار إعطاء الطلاب مجموعة من الاختبارات لتكون إعدادًا للاختبار.

\* أعط اختبارًا مبكرًا في بداية الفصل الدراسي، ثم أعد تصحيحه لطلابك وعلق على الأخطاء التي وقعوا فيها بشكل عام.

توفير الدعم:

\* اجمع أرقام هواتف طلابك (خصوصًا الهواتف النقالة) وأخبرهم أنك ربما تحتاج للتواصل معهم (هذه الفكرة خاصة بمعلمي ما بعد المرحلة الثانوية).

\* ما أمكن، كن ملهمًا بأسماء الطلاب ذوي الغياب المتكرر، اتصل بهم أو بلغ المرشد الطلابي أو الأكاديمي عنهم.

\* بين لطلابك أنك مستعد لمناقشة أي صعوبات تواجههم، خصوصًا الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة.

\* وجه طلابك للمراكز العلمية المتخصصة التي تساعدكم على اكتساب المهارات الدراسية.

\* في حالة توفير تعليمات للدعم في مقررك، شجع طلابك على الأخذ بها.

\* شخص مستوى طلابك وما يحتاجون إليه من فرص تعلم عن طريق توزيع استبيان أو إجراء اختبار قبلي وإعادة التغذية الراجعة لهم في أسرع وقت ممكن.

\* سلّم أسئلة الدراسة أو دليل الدراسة لكل ممثل مجموعة في المقرر (خاص بمعلمي ما بعد الثانوية).



- \* كرر قراءة العناوين الرئيسة للمادة ثلاث مرات على الأقل.
- \* اسمح لطلابك بالتقدم في عملية التعلم: اختبار سريع على درس اليوم، انطباعات مكتوبة عما قدم في هذا الدرس.
- \* كافي الطلاب الذين يصدر عنهم السلوك المرغوب بالشكر والتقدير أو بالكتابات الشخصية.
- \* استخدم اللمسات الخفيفة: ابتسم، قل نكتة جيدة، اكسر روتين الاختبارات من خلال إعطاء الطلاب واجبات بديلة.
- \* وفر جدولاً لاستخدام الوسائل التعليمية.
- \* استخدم أمثلة متنوعة لتوضيح النقاط والمفاهيم المهمة.
- \* شجع طلابك على طباعة مواعيد المقررات المهمة على بطاقات.
- \* كن حاضراً قبل أو بعد الحصة لتلقي ملاحظات طلابك حول موضوع الدرس.
- كن فعالاً ومؤثراً طول الوقت:
- \* استخدم مجموعة من المصادر في تدريسك: المسرحيات، الحفلات، وكالات الدولة أو المنطقة، المؤسسات الأهلية، الجهات المهنية، والرحلات الخارجية.
- \* افحص جدول المدرسة أو الجامعة الخاص بالعروض التقديمية ومدى ملاءمته لمحتوى المقرر.
- \* اتصل بالإنترنت لأخذ قوائم أسماء الطلاب ومعرفة الحذف والإضافة.
- \* استخدم صور الطلاب للتعرف على أسمائهم في الأعمال المكتوبة.
- \* إذا رغب الطلاب التحدث عن الفرص الوظيفية، أرسلهم لمكاتب الإرشاد المهني أو برامج التأهيل المهني.
- \* خذ مقترحات الطلاب حول المصادر الخارجية والضيوف المتحدثين عن موضع المقرر.
- \* أخبر طلابك عن موعد قراءتك للبريد الإلكتروني المتضمن رسائلهم كل يوم.

\* استخدم الردود التلقائية لكل الطلاب عندما لا تكون موجودًا على التليفون أو على الإنترنت.

\* احتفظ بملاحظات مختصرة عن توزيع المنهج وما نخطط لعمله كل يوم.

\* اجمع ملاحظات التغذية الراجعة لواجبات الطلاب في الأسابيع الأولى من الفصل الدراسي لتحسين عملية التدريس والتعلم.

\* تحدث مع الآخرين في القسم الذي تدرّس فيه حول المقرر الذي تنوي تقديمه للاستفادة من ملاحظاتهم.

المصدر: <http://www.almarefah.com>

## ٦٢- مسيرة الصحة تتكامل بنصح العلماء وشباب الصحة بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>

ليس يخفى على أحد أن الصحة تعاني خلالاً في الكثير من جوانب مسيرتها، وليس ثمة من شك أن الإنسان مهما بلغت رتبته في العلم عرضة للخطأ والزلل، والسعيد من اعتبر بخطأ غيره، وانتصح بنصيحة سواه.

والنصيحة التي نطمع أن تكون سمة ظاهرة في الصحة هي النصيحة المتكاملة التي تبطن الإخلاص وحسن القصد، وسلامة النية وطهارة الطوية، كما يجب أن تظهر بمظهر الشفقة والحرص على الإصلاح، ولذلك أحب دائماً أن أسمى الناصح الشفيق بأن له حساً إصلاحياً، والناصح الشفيق بأنه ليس لديه حس إصلاحياً.

<sup>(١)</sup> رضا أحمد صمدي

قد يدلي الناصح الصفيق بكثير من الحق من فمه، ولكن كلماته تخرج محتوية الاتهامات واللمز والهمز والنبز بالألقاب لعلماء الأمة وقادتها (وأعني هنا دعايتها وقادة الصحوة الذين هم عندي أهل الحل والعقد على التحقيق).

مثل هذا النصح يولد ميتا، ولا ينتفع به لا الناصح ولا المنصوح، ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة، كيف كان يتلطف مع المنصوح لدرجة أنه أنكر على الصحابة عندما نالوا من الأعرابي الذي بال في المسجد وقال: لا تزرموه، أي لا تعكروه عليه بوله، وكل ذلك من كمال عقله - صلى الله عليه وسلم -.

يحكي أحد الدعاة أنه صادق أخا ملتزما، وزاره في بيته، فوجد أخا له أصغر منه لكنه غير ملتزم، فتوثق في المجلس بين الداعية وبين ذلك الأخ الأصغر نوع صداقة، فسأل الداعية الشاب الصغير: لماذا لا تلتحي فإن اللحية سنة، فسكت الشاب، ولما خرج الداعية خرج معه الشاب ليودعه، وأثناء سيره معه منفردين قال الشاب للداعية إنني فكرت مرارا أن ألتزم بدين الله وعزمت على ذلك، ولكن كان أخي الأكبر كلما رأي قال لي شكلك بدون لحية مثل القرد المسلوخ، فعنادا معه أغير رأيي وأصرف نظري عن موضوع الالتزام.

وهذا في حق فرد صغير في المجتمع، فكيف بمجتمع الصحوة كله لو جابهناه بالقبيح من الكلام والصفيق من النصح الثقيل.

كما أنه يجب أن يستقر في أذهان شباب الصحوة إن كل طرق الإصلاح مؤصدة بدون علم وعلماء، فقد قضى الله - تعالى - أن العلماء هم المفزوع إليهم عند الملمات، ونحن بدونهم ليست لنا شرعية، وشرعية كل جماعة تعمل لدين الله بوجود علماء بينهم يعملون على تصحيح مسيرتها، وتقويم اعوجاجها.

ومسيرة صحوتنا المباركة أيها الأخوة لا بد أن تنبع من هذه القناعة، وإلا فإنني أتصور هذه الصحوة بشباب يحتقرون علماءهم، ويظنون ظن السوء بقادتهم (دعاة الصحوة وقادتها أعني) أتصورها صحوة بدون مستقبل، تكتنفها المخاطر من كل حذب وصوب، والعامية تقول: الذي ليس له كبير ليبحث له عن كبير، وأنا أسائل كل الأخوة الذين تعرضوا لعلمائنا وأئمتنا: ماذا

تكون الصحوة لو أخليناها من الألباني وابن باز وسلمان العودة وربيع المدخلي وسفر الحوالي وبكر أبو زيد ومحمد إسماعيل ومحمد حسين يعقوب وأبي إسحاق الحويني وغيرهم من أئمة الدين، هل سيكون قادتها مثل المقدسي وأضرابه، وأنا ليس بيني وبين المقدسي وأضرابه أي مشكل، وأنا أعتز أن يكون هو أو غيره ذخيرة لهذا الدين وحصنا لهذه الصحوة ضد مكائد أعدائها، لكن أن يكون هو وأضرابه الوقود الذي تحرق به الصحوة نفسها بنفسها، وتتحل بكيمياء أفكاره رموزها وعلاماتها المضيئة فهذا الذي لا يمكن أن يرضاه ويقبله أي شفيق وحريص على استمرار هذه الصحوة.

الصحوة الإسلامية أيها الأخوة قدر مقدور، وقد كانت الأمة على موعد مع هذه الصحوة في هذا الوقت من الزمان، أطلت الصحوة برأسها على حين غفلة من مكائد الأعداء، وبدون إنذار ولا إرهاب فرضت نفسها، وأجبرت الدنيا أن تستكين لواقع وجودها، فما من قوة الآن تملك أن تمحوها، بل يجب على العالم إما أن يرضى بقيادتنا له وإمساكنا بزمام مسيرة البشرية، وإما أن يحاول أن يكيف وضعه معنا بالحال التي لا تتعارض مع ثوابتنا وأصولنا، وإلا فإن المواجهة هي القدر المحتوم الذي توثقنا عليه وتعاهدنا على المضي فيه، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

فليعلم الناس أجمعون أن دين الله - تعالى - لم يبل، بل هو باق خالد، وبقائه وخلوده ببقاء علمائه وحملته، من أئمة الدين ودعاته وقادته، ومجموع هؤلاء يعرف أن الحق معهم بتواطؤ مقاصدهم، وتطابق أهدافهم، وإن اختلفت تفاصيل المناهج، أو تباينت فروع التكليف الحركية، لكن الهدف الأسمى هؤلاء جميعا هو إعزاز الدين وجمع كلمة المسلمين، فمن دخل بينهم بفتنة ليزيد من الصدع بدلا من أن يرأبه، ويوسع الشقاق بدلا من أن يمنعه فإنه داعي فتنة يجب أن يجارب ويقاوم، ويمثل هؤلاء تتباطأ مسيرة الصحوة، فنسأل الله - تعالى - أن يقلل عددهم في أمتنا وأن يؤمننا شرهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

**٦٣- الداعية والتحرك الذاتي<sup>(١)</sup>**

المعنى الاصطلاحي:

ما يدفعك إلى فعل الشيء دون دعم خارجي، وذلك قياس لكل الموازين وفق متطلبات خاصة، المتعلقة بكل (ذات) في معاشته وبقائه مع الواقع المموس.

المعنى الحركي:

لا ينبغي أن يكون تحركهم ونشاطهم أي الدعاة ناتجا عن تأثرهم بالمربي وشخصيته فقط، وإنما يجب أن يكون نابعاً من ذاتيتهم وإيمانهم بضرورة العمل فهذا من شأنه أن يحفظ عليهم عطائهم وبذلهم مهما تغير الظرف وتبدل.

لذا يجب على المربي أن ينتبه لذلك، ويغرس في نفوس الذين يعملون معه دافع الذات والإيمان.

أهداف الموضوع:

١) تكوين الشخصية الفعالة المتحركة رغم وجود العوائق والظروف الصعبة ورغم عدم وجود التسهيلات.

٢) وبهذه العملية أي (التحرك الذاتي) تحصل على شهادة الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى امتيازات ربانية مثل.. الغربة الإيجابية والإخلاص.. والجرأة وأخوة الرسول عليه الصلاة والسلام.

٣) تكوين من يفجر الطاقات ويشحن القلوب بالإيمان

٤) تكوين الأخ القدوة، في ميدان المبادرة والدعوة والعمل الصالح.

٥) تكوين الشخصيات الجماهيرية ورموز الدعوة العامة.

<sup>(١)</sup> إسماعيل رفندي <http://islameiat.com>

٦) تكوين معالم ومشاعل الهداية.

٧) تكوين القيادات الميدانية في كافة المجالات.

٨) تكوين قيادات الضرورة إذا استدعى الظروف والواقع.

٩) لاشك أنهم هم الذين يقومون بأدوار صعبة.

١٠) ولا شك أنهم هم صناع الحياة والإبداع.

دوافع التحرك الذاتي

أولاً: المهمة العالية أو علو المهمة، و الاعتماد على منطلق (بالمهمة نصل إلى القمة) ولا شك أن المهمة هي الباعث للفعل والدافع للعمل والحركة.

((أقوال في المهمة التي نعنيها))

أ - الشيخ عبد القادر الكيلاني يقول: "همك ما أهمك فليكن همك ربك عز وجل وما عنده"، ويقول: "سبحان الذي ألقى في قلبي نصح الخلق وجعله أكبر همي".

ب - ويقول ابن قيم: "ولله الهمم ما عجب شأنها واشد تفاوتها، فهمة متعلقة بالعرش وهمة حائمة حول الاتان والحش".

ج- ويقول المودودي: "إنه من الواجب أن تكون في قلوبكم نار متقدة تكون في ضرامها على الأقل مثل النار التي تتقد في قلب أحدكم عندما يجد ابنا له مريضاً ولا تدعه حتى تجره إلى الطبيب أو عندما لا يجد في بيته شيئاً يسد به رمق أولاده فتقلقه وتضطره إلى بذل الجهد".

د- ويقول المثل "((همك ما أهمك وخواطرك من جنس همك))"

(دور المهمة في أداء الرسالة)

١) تحقيق كثير من الأمور العظيمة مثل:

\* الرسول عليه الصلاة والسلام وبناء خير أمه في أقل من ربع قرن.



\* أبو بكر الصديق ومواجهة المرتدين وما نعي الزكاة واستطاع أن يكسر حلقة الحصار في أقل من سنتين.

\* عمر بن عبد العزيز والقيام بعملية التجديد الفعلي إلى ما كان عليه الجيل الأول.

\* الإمام محمد بن عبد الوهاب وإخراج الجزيرة العربية من الشرك.

\* الإمام البنا.. أصبح بمنهجه الدعوي الإصلاحية التربوي مثلاً حياً منتجاً متحركاً لا يعرف الكسل والفتور والتراخي وكان يدعو ليل نهار إلى الصراط المستقيم ويقول بالهمة الربانية: " أحلام اليوم حقائق الغد "

(٢) الارتقاء في مدارج السالكين والوصول إلى مراتب عليا من التربية الروحية.

(٣) القدرة على التحكم في النفس وتربية الذات وذلك لأداء الرسالة كاملة وشاملة

(٤) صاحب الهمة العالية يستطيع أن يستثمر وقته أكثر من أي شخص كان، استثماراً بناءً ومثمراً.

(وسائل تربية الهمم)

(١) المجاهدة المستمرة المتوازنة لتحقيق الواجبات.

(٢) التوكل والاعتماد المطلق على الله مع استعمال الأسباب المشروعة.

(٣) البرمجة المستمرة لتطوير الهمة

(٤) التقرب من أصحاب الهمم العالية.. صداقة وملازمة وتلمذة.

(٥) المحاسبة الدائمة وفق برامج التطوير.

(٦) تجنب الأمور المحبطة والمؤثرة سلباً على الهمم.

ثانياً: الشعور بالمسؤولية والتلذذ بالتعب الدعوي



١- ومنطلقنا في هذا الدافع تدور حول الحديث النبوي الشريف (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)، ومسؤولية الدعوة من أكبر المسؤوليات خاصة لمن احس بروحه واعتقد به اعتقاداً راسخاً ربانياً، لا يمكن أن يهمل أو يتهاون في هذه المسؤولية سواءً كان بمفرده أو في جماعة ربانية، لذا يجب " أن يكون في مستوى المعركة التي تواجه الإسلام وأن يكون في إيمانه أثبت من الرواسي وفي فهمه أعمق من الحجج وفي صبره أقوى من الشدائد "

" وأن يتولد لديه شعور ذاتي بأنه مسؤول عن الإسلام ويجري في عروقه إحساس رباني بالتكليف "

٢- " وأن يوصل الداعية إلى غايته بدعوته و إيمانه وإقناعه بما وكفايته فيها وانقطاعه إليها بجميع مواهبه وطاقاته ووسائله وذلك هو الشرط الأساسي والسمة الرئيسية للدعاء " أو كما قال أبو الحسن الندوي.

ثالثاً: تعظيم ثواب هداية الأفراد في نفس الداعية ولا شك هذه المسألة تؤدي إلى الحرص على هداية الناس وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام كثيرة في هذه الشأن:

(لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) وفي رواية: (من الدنيا وما فيها) وفي رواية: (مما طلعت عليه الشمس).

(من دل على خير فله مثل أجر فاعله).

(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً).

وفي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام حول ضمان الأجر واستمراريته بعد الموت: (إذا مات ابن انقطع عمله إلا عن ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

الحصول على صفه الأحسنية: {ومن أحسن قولاً مما دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين} حين قرأ حسن البصري رضی الله عنه هذه الآية قال: " هذا حبيب الله.. هذا ولي الله.. هذا صفوة الله.. هذا خير الله.. هذا أحب أهل الأرض إلى الله.. أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته.. هذا خليفة الله "



هكذا يجب أن يعرف الداعية دوره في ذاته وفي ميدانه وأن يتحرك وفق الأوامر الربانية دون فتور و انقطاع.

رابعاً: التحرق لواقع الإسلام والمسلمين، و متابعه ما يجري وما يحدث

١- الغزو الفكري والأهداف الرئيسية من وراء كل المحاولات مثل:

منع روح الإسلام من الانتشار.

ضرب الإسلام من الداخل.

تمكين الاستعمار الغربي.

خلق مواطن الخلل والتوتر في البلاد الإسلامية.

٢- الواقع الحالي والعالم الإسلامي (مثل أفغانستان العراق البوسنة والهرسك فلسطين الشيشان... ) والمضايقات المستمرة على الصحوة الإسلامية في كافة أنحاء العالم الإسلامي.

٣- الاهتمام بالدعوة والدعاة

(١) والافتداء بالنبي الأكرم (حيث لم يخرج إلى الهجرة إلا بعدما خرج المسلمون)

(٢) والتفكر في قصه الرجل المؤمن {وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ}.

خامساً: الفهم الصحيح والمتحرك والعمل لكاتب فقه الدعوة خاصة وكتب المكتب الإسلامية عامة

١- يجب التميز بين المطالعة السطحية والعميقة.

٢- استحضار المعاني الروحية والعملية في الدراسة.

٣- المعاشة مع تجربة المؤلف.

٤- التدرج في الدراسة والخصوصية والأفضلية لبعض الكتب.

سادساً: تكثير خلوات التأمل مع كتاب الله والسيرة النبوية والسنة المطهرة .

\* القرآن الكريم

التأمل في قول الله تعالى: {إن هذا القرآن يهدي للتي أقوم} {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها}

إذا فعلينا: القراءة والترتيل.. التدبر والتأمل.. الفهم والتفسير.. الحفظ والتطبيق.. المتابعة النظرية والعملية.

— دراسة تفاصيل القرآن (من عقيدة وعبادة وقصص وتاريخ وعلوم ومعارف).

\* السيرة السنة المطهرة:

وفي ذلك نقول كما قال الصحابي الجليل معن بن عدي رضي الله عنه حينما قال الصحابة بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام: ليتنا ميتنا ولم نشهد موته! فقال معن: أما أنا فما أحببت أن أموت قبله، قالوا: لِمَ؟ قال: لكي أصدقته ميتاً كما صدقته حياً {وما محمداً إلا رسول قد خلت من قبله الرسل}.

هكذا يجب أن نفهم ونؤمن به عليه الصلاة والسلام بسيرته وستته

وأن ندرس مراحل حياته ودعوته في كل صغيره وكبيره وأن نجعله ميزاناً لا فعالنا وحر كاتنا.

العوامل المساعدة للتحرك الذاتي

(١) عمق الإيمان وحسن الصلة بالله وعدم إهمال جوانب التزكية والتربية الروحية.

(٢) الدقة في فهم الدعوة ومراحلها ومفرداتها.

(٣) حب الخير للناس ومساعدة الآخرين.

(٤) الاستعداد للتضحية بكافة أنواعها.

(٥) الاعتراف بالتقصير.

- ٦) اتخاذ الإحسان مبدأ في الحياة وفي العمل.
- ٧) الاجتهاد في أن يعمل بكل عمل يؤدي إلى جلب مصلحة المسلمين ودفع الضرر عنهم.
- ٨) الصبر على مشقة الطريق والتأني في تطبيق الخطوات.
- ٩) عدم اليأس من المدعويين.
- ١٠) عدم اليأس أمام ضربات الأعداء ومكائدهم.

مصادر ومراجع للموضوع وللتقوية في هذا المجال

- ١) تفسير ابن كثير
- ٢) المصطفى من حياة الدعاة - جزء ٢، ١ عبد الحميد البلالي.
- ٣) مفاتيح التعامل مع القرآن صلاح الخالدي.
- ٤) صفات الداعية النفسية عبدالله علوان.
- ٥) الحرص على هداية الناس فضل الهي.
- ٦) المهمة الطريق إلى القمة محمد موسى الشريف.
- ٧) جولة في ذات المسلم خليفة التونسي.
- ٨) بناء الذات المسلمة حسين محمود.
- ٩) الوقت عمار أو دمار جاسم محمد.
- ١٠) الرقائق محمد أحمد الراشد.
- ١١) الغزو والفكر عبد الصبور شاهين.

(١٢) مشكلات الدعوة والداعية فتحي يكن.

(١٣) طريق الدعوة الإسلامية جاسم المهلهل.

(١٤) نحو جيل مسلم محمد عبدالله الخطيب.

٢٠٠٥ / ٠٩ / ١٨

### ٦٤-أقلوا عليهم من اللوم<sup>(١)</sup>

نقائص العمل الإسلامي كثيرة، ومعائب الدعاة وقصورهم كثير كذلك، وليس من الشرع ولا من العقل أن نتعامى عن تلك النقائص والمعائب، بل يجب أن نملك الجرأة في تصحيح الواقع الدعوي، وتسديد رجاله وحملته، مع الورع والتجرد الذي يبني ولا يهدم، ويجمع ولا يفرق، والذي يضع الأخطاء في حجمها الصحيح دون تهويل أو تهوين.

لكن التسديد والتصحيح مسؤولية من؟!..!

الذي أحسبه أنه مسؤولية الجميع سواء كانوا في الساقية أو في الحراسة؛ فالعمل الدعوي ليس من أجل أحد من البشر، بل هو قربة يتقرب بها الدعاة إلى الله — — تعالى — — وحده لا شريك له، لا يرجون فيه حمداً أو شكراً من أحد كائناً من كان؛ ولهذا تراهم حريصين على رعايته وتسديده قدر طاقتهم.

نعم! أعلم أن كثيراً من الدعاة — بسبب الخلل التربوي — قد يضيق بالنقد صدراً، ويُصنّف الناقدَ تصنيفاً منفراً، وكثيراً ما يجد الناقد المخلص صعوبة في التصحيح والترشيد، خاصة للممارسات التي ورثها الدعاة من بعضهم، وتجدرت في صفوفهم؛ لكن إذا لم نصبر على إخواننا ونقدّر اجتهاداتهم فعلى من نصبر..؟!..!

(١) أحمد بن عبد الرحمن الصويان/ <http://www.albayan-magazine.com>

## وصايا للدعاة

ولست في هذه المقالة بصدد الحديث عن وسائل التصحيح والنقد، ولكن أشير إلى أن بعض الناقدين أو بعض (المتساقطين!) على جنبات الطريق، قد يتكلف النقد ليسوّغ عجزه وقصوره، أو إعراضه وإدباره عن إخوانه، وهذه آفة من مداخل الشيطان خفية، تجره للتشكي والتذمّر المستمرين، والمبالغة في النقد الجارح وجلد الذات، حتى يصبح ذلك ملازماً له لا يقوى على فراقه، متناسياً قول الله - تعالى -: {وَلَا تَسُواْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} [البقرة: ٢٣٧]، ثم يبدأ بالتفلسف من المسؤوليات والتهرب من الواجبات تدريجياً، ثم ينغمس بعد ذلك بأعماله الدنيوية الخاصة وارتباطاته الأسرية والاجتماعية التي قد تنسيه تطلعاته الدعوية السابقة.

ولو أنه حين رأى قصور إخوانه حرص على الإصلاح والتصحيح بإشفاق ورحمة ونفس طويل، وأخذ يدفع بالتي هي أحسن؛ لنفع الله به كثيراً، لكنه أغار عليهم بالتقريع، وصال عليهم صولة المحاربين.

ولو أنه حين هجر إخوانه أو تشاغل عنهم قدّم لنفسه ولأتمته بديلاً نافعاً يتزود به في عاجل أمره وأجله لكان الأمر هيناً؛ فأبواب الدعوة مشرعة لكل محتسب جاد، والعبد الصالح مبارك أينما كان، وقد يُفتح له في أبواب من البر ما لا يُفتح له في أبواب أخرى. لكن ألا ترون معي أن سواداً كبيراً من أولئك الإخوة يحكي واقعه غير ذلك؟!!

يؤلمني — والله — أشد الألم عندما أرى أحد الصالحين ممن كان ذات يوم من رواد الدعوة، المتحمسين للبناء والتربية، الذين يسابقون إخوانهم على مقدمة الصفوف عطاء وبدلاً وعملاً، ثم أراه بعد ذلك وقد طارت به الدنيا بهمومها واشتغل بأمور أخرى. نعم! ربما بقي على صلاحه — والحمد لله — لكن أين هي همومه الدعوية؟! وأين همته وحيوته التي عهدناها منه؟! وأين مسؤولياته التي هجرها وأعرض عنها؟!!

وربما يأتيك الجواب من بعضهم بالهجوم على إخوانه وتوبيخهم، وقد يكون بعض نقده صحيحاً، لكن هل الحل هو الإعراض والهجران؟! وإذا لم تُجدِ النصيحة؛ فهل الحل هو الانكفاء على الذات وترك العمل الدعوي بالكلية؟!!

جميل أن يعمل الدعاة في مناخات تربوية خالية تماماً من القصور، لكن هل هذا ممكن في الواقع؟ ولم لا نسدد ونقارب قدر الإمكان، وننظر إلى الخير الغالب؟ وبالتأكيد لا أطلب هنا بترك النقد

والتواصي بالحق، لكن لا أرضي تضخيم المشكلات، ولا أرضي لغة التفرع والتويخ باعتبارها اللغة الوحيدة في التعامل مع مشكلاتنا.

## ٦٥-الدعاء.. وأثره في نصر الدعوات

حين تشتد بك الخطوب، وتحيط بك الكروب، وتظلم أمام عينيك الدنيا .

حين يضيق الأمر، وتستحكم عليك حلقاته، ولا تجد لك مخرجاً .

حين يتبدل الحال، ويقل المال، وتكثر النفقات، وتتراكم على رأسك الطلبات، ولا تجد معك ما تؤدي به الحقوق والواجبات .

حين تتبدل الحقائق، وتتنكس الفطر، ويهزأ بالقيم، وتُحارب الفضائل، وتمتدح الرذائل .

حين يتكالب الناس على أهل العلم والدين، فيُلجؤونهم إلى ركن ضيق في مكان مظلم مغلق

حين يعلو الباطل وينتشر وينتفش، وينخفض الحق ويستخزي وينكمش. حين يحدث ذلك فيضيق له صدرك، وتلتاع له نفسك فاجأر إلى الله بالدعاء فإنه لا مخرج ولا ملجأ إلا في الدعاء

فالدعاء نعمة كبرى، ومنحة عظيمة، تفضل الله بها على عباده، وجاد بها عليهم حين أمرهم به وحثهم عليه، ووالى إحسانه فوعدهم عليه الإجابة، وعلّقها به، وسيّرهما في ركابه؛ فمتى وُجد الدعاء فالإجابة معه، كذلك قال الله وقضى في كتابه العزيز: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب، أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)، وقال جل قائلاً عليماً: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون

## وصايا للدعاة

جهنم داخرين)، ولذلك كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: إني لا أحمل هم الإجابة، ولكني أحمل هم الدعاء.

فالموفق من وفقه الله للدعاء، وفتح عليه أبوابه، ويسر له سبله وأسبابه، ووجه قلبه إليه، وحرك لسانه به، والمخذول من خذله الله فأعرض عن الدعاء كبيراً أو جهلاً بقدره، أو غفلة أو نسياناً (نسوا الله فنسيهم) .

والخلق كلهم محتاجون إلى الدعاء أشد من حاجتهم للماء والهواء، مفتقرون إليه افتقار السمك للماء، لا غنى لأحدهم عنه طرفة عين، لا في وقت من الأوقات ولا في حال من الأحوال: (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) .

فإذا كان هذا هو الحال مع عموم الخلق فإن الدعاة إلى الله تعالى أحوج لهذا السلاح من غيرهم لعدة وجوه:

أولاً: في أنفسهم أن يصلح الله أحوالهم، وأن يربط على قلوبهم، وأن يثبت للسيرة على الدرب أقدامهم، فلا تغوينهم الشبهات، ولا تستزلمهم الشهوات، ولا يمنعمهم عن السير على طريق الحق والدعوة تسلط الأعداء وكثرة العقبات، وأن يستر الله عليهم هفواتهم وزلاتهم ويغفرها لهم ليكونوا قدوة للناس ولا يسقط عنهم من عينه فيسقطوا من أعين الناس، وهذا باب لا ينبغي أن يغفل أمر الدعاء فيه.

ثانياً: إن طائفة كبيرة من المسلمين، ومنهم كثير من الدعاة في كثير من بقاع العالم عجزوا عن كثير من أوجه البذل مع الرغبة الشديدة في خدمة الدين، وكثير من هؤلاء لم يبق لهم من شيء ليقدموه أو جهد لبيذلوه إلا أن يسطوا الأكف ويتضرعوا إلى القوي العزيز بنصرة الدين. وليست جهود هؤلاء الداعين بأقل من جهود من ينكر المنكر بكل جوارحه، أو من يواجه صناديد الكفر والنفاق في كل ميدان، وليست بأقل من جهود الخطباء والوعاظ وكل داعية في كل ميدان، بل هم الجنود الأخفياء الذين علامة صدقهم خفاؤهم، وكم غيرت دعوة من حال ونقلت إلى حال، وكم نفع الله بدعاء عبد ما عجزت عن إنجازه كبير من الفعال.. فلا يستصغرن أحد هذا الأمر فإن فيه ما لا يجتمع في غيره من الخير.



ثالثا: إن الدعاء في كثير من الأحيان قد يكون أمضى من السيوف، وأبلغ في نصر الدعوات وأصحابها من كثير من الجيوش، أو كالمقدمة التي لا بد منها للنصر.. والمتتبع لحال الدعوات السابقة والدعاة وعلى رأسهم نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجد هذا الأمر واضحا جليا: فما من الأنبياء نبي إلا وكانت له دعوة تتعلق بدعوته وتستمر السماء لنصرته، وكم من الدعاة من لم يكن لهم سبيل لنصرة دعوتهم إلا الدعاء، وانظر صاحب قصة أصحاب الأخدود.. وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم في يوم بدر يبيت الليلة كلها يستترل النصر بالدعاء حتى أشفق عليه صاحبه المقرب أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، والمراقب لحاله عليه الصلاة والسلام يرى الدعاء من أعظم الجند التي كان يتقوى بها على قضاء الحوائج والنصر على الأعداء.

لو أقسم على الله لأبره

روى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره).

وفيهما أيضا قوله عليه الصلاة والسلام: (ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ متكبر).

وقد نقل أهل السير عن الصمعي قوله: "لما صاف قتيبة بن مسلم للترك وهاله أمرهم؛ سأل عن محمد ابن واسع، فقيل: هو ذاك في الميمنة جامع على قوسه يصبص بأصبعه نحو السماء. قال: تلك الأصبع أحب إلي من مائة ألف سيف شهير، وشاب طرير.

فما أحوج الدعوة في زماننا إلى مثل أصبع محمد بن واسع رحمه الله تشكو إلى الله غربة الدين، وتستترل نصره ومدده. وما أحوجنا إلى ذاك الخفي النقي التقي الضعيف المتضعف الذي لو أقسم على الله لأبره.

فحق على كل مكلف عموما، وعلى من أراد أن يخدم الدين من هذا الباب خصوصا، أن يتفقه في هذا الموضوع، ويتعلم أحكام الدعاء وآدابه وأوقاته، وأسباب الإجابة وموانعها، وما يجوز من الدعاء وما يجرم؛ وأن يجتهد أن يحصل في نفسه الإيمان والتقوى والطاعة لله رب العالمين، وأن يحقق المتطلبات القلبية بتطهير القلب من أوضار المخالفات، وتنقية النفس وتركيبتها من أدران



الموبقات، وألا يطعم إلا من الحلال الطيب، وأن يتحرى المكان والزمان الأنسب ليكون أدهى للقبول وأرجى لتحقيق المأمول.

نسأل الله أن يحمي حوزة الدين، وأن يقر عيوننا بنصر الإسلام وعز المسلمين.

## ٦٦- علو الهمة . علامة كمال العقل<sup>(١)</sup>

خلق الله البشر وجعل لكل منهم همة وإرادة فلا يخلو إنسان عن هم؛ ولذلك كان أصدق اسم يوصف به العبد أنه همام ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "... وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام..".

وجهة الصدق أن كل إنسان له إرادة وعنده اهتمام، كما قال المنذري: وإنما كان حارث وهمام أصدق الأسماء لأن الحارث الكاسب، والهمام الذي يهيم مرة بعد أخرى، وكل إنسان لا ينفيك عن هذين والله أعلم.

ولكن همم الناس تختلف بين علو وسفول وبين كبير وصغير وبين ضخامة ودناءة . وعلى قدر تفاوت الهمم والإرادات تتفاوت مقامات الخلق في الدنيا والآخرة . فأعلاهم همة أبلغهم لما يريد، وأكثرهم تحقيقا لما يطلب.

قيمة المرء على قدر همته:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "العامّة تقول: قيمة كل امرئ ما يحسن، والخاصة تقول: قيمة كل امرئ ما يطلب". (يريد همته ومطلبه وقصده).

<sup>(١)</sup> علو الهمة للشيخ محمد إسماعيل المقدم، صلاح الأمة في علو الهمة للشيخ سيد حسين العفاني.

وإنما كان الأمر كذلك لأن الهمة طليعة الأعمال ومقدمتها.. قال أحد الصالحين: "همتكم فاحفظوها؛ فإن الهمة مقدمة الأشياء؛ فمن صلحت همته وصدق فيها صلح له ما وراء ذلك من العمل".

وقال عبيد بن زياد: كان لي خال من كلب، فكان يقول لي: يا زياد هم فإن الهمة نصف المروءة.

وعلاوة كمال العقل ورجحانه علو همة صاحبه.. يقول ابن الجوزي: "من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء

ولم أر في عيوب الناس عيبا .. .. كنقص القادرين على التمام"

ومعنى علو الهمة:

" استصغار ما دون النهاية من معالى الأمور " .. بمعنى أن يطلب المرء من كل أمر أعلاه وأقصاه، ويستصغر كل ما وصل إليه إن كان هناك ما هو فوقه أو أعلى منه.

وقيل: "هو خروج النفس إلى غاية الكمال الممكن في العلم والعمل".

وقد فسر ابن الجوزي ذلك في صيد خاطره بقوله: "ينبغي لمن له أنفة أن يأنف التقصير الممكن دفعه عن النفس، فلو كانت النبوة — مثلا — تأتي بالكسب لم يجز له أن يرضى بالولاية، أو تصور أن يكون خليفة لم يقنع بإمارة، ولو صح أن يكون ملكا لم يرض أن يكون بشرا، والمقصود أن ينتهي بالنفس إلى كمالها الممكن في العلم والعمل".

وأعلى الهمم على الإطلاق هي التي لا تقف دون الله تعالى، ولا تطلب سواه، ولا تسعى إلا لرضاه، ولا ترضى بغيره بدلا منه، ولا تتبع حظها من الله وقربه والأنس به بشيء من أعراض الدنيا وحظوظها ولا حطامها الخسيس الفاني. كيف والله أعلى مطلوب وأفضل مرغوب.

سقوط الهمة أصل الخذلان

## وصايا للدعاة

إن سقوط الهمم وخساستها هو أصل ما وصلنا إليه من ذل وهوان وحقارة وخذلان، وما من أمة يرضى أهلها بالأمر الواقع ولا تبلغ همم أبنائها أن يغيروه إلا كان لهم الخزي والعار والذلة والصغار.

إن الهمم الكبار تغير التاريخ بل هي التي تسطره وتكتبه:

لقد رأينا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم.. رجل واحد في وسط عالم كامل من الشرك كيف عبده بجمته لله رب العالمين؟.

ولقد رأينا أصحاب رسول الله رضي الله عنهم كيف أسقطوا أكبر إمبراطوريتين وأعظم دوليتين في زمنهم (فارس والروم) وفتحوا بلاد الهند والمغرب والأندلس في فترة وجيزة هي كالحلم في عمر الزمان.

ولقد رأينا في زمان العز وعلو الهمم كيف كان المسلم في عهد صلاح الدين يربط عشرات الأسرى في طناب خيمة.. ولقد باع مسلم أسيرا نصرانيا بنعل فلما سألوه لماذا؟ قال: أردت أن يخلد التاريخ هوانهم وذلمهم وأن رجلا منهم يبيع بنعل، فخلدها له التاريخ.

ثم مرت الأيام وقعدت الهمم ورأينا كيف كان الجندي التتري يأمر المسلم قعيد المهمة (بل العدد منهم) أن يجلسوا مكائهم حتى يذهب فيأتي بالسيف ليقتلهم فيمنعهم الخوف أن يتحركوا حتى يعود إليهم فيقتلهم أجمعين!!

ومرت الأيام ورأينا كيف بيعت فلسطين بثمن بخس، وضاعت القدس، وسلب المسجد الأقصى.

ومرت الأيام ورأينا كيف ضاعت العراق ورأينا كيف يركع الجندي العراقي أمام نعلي الجندي الأمريكي طالبا منه العفو والصفح، وطالعتنا الأخبار بصورة رجل هناك يقبل يدي جندي أمريكي شكرا له على تحرير البلاد!!

ومرت الأيام ورأينا في عصرنا شبابا ينتسبون إلى الإسلام تصاغرت هممهم إلا عن السفاسف ومحقرات الأعمال، يمعنون في التشبه بالكفار في قصات الشعور وفي أزياء الملابس، وبعضهم يعلق على سيارته أعلام الدول التي أذلت كبرياءهم وطأطأت أعناقهم وأهدرت كرامتهم واستعبدت أمتهم .

إن هذه الأمة إن أرادت أن تستعيد هيبتها وكرامتها وأن تعيد مجدها وعزتها فلا بد لها أولاً من أن تعلي همتها وتحيي عزميتها.. وإنما تعلقو الهمم بأمور خلاصتها تخلية وتخلية..

فأما التخلية فهي ترك مثبطات الهمم وأسباب انحطاطها.. ومنها:

أولاً: حب الدنيا وكرهية الموت: وهما صنوان لا يفترقان، وقرينان لا يختلفان من أحب الدنيا كره الموت ولا بد.

وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وهو أصل التثاقل إلى الأرض، والانغماس في الشهوات والتشاغل بها عن المهمات. وكرهية الموت يورث طول الأمل، والقعود عن المكارم خشية المخاطر، والهمة لا تسكن قلبا جبانا:

حب السلامة يثني عزم صاحبه .. .. عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فحال خسيس الهمة كحال القائل :

أضحت تشجعني هند فقلت لها .. .. إن الشجاعة مقرون بها العطب

لا والذي حجت الأمصار كعبته .. .. ما يشتهي الموت عندي من له أرب

للحرب قوم أضل الله سعيهم .. .. إذا دعتهم إلى حوماتها وثبوا

ولست منهم ولا أهوى فعالهم .. .. لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

فإذا أحببت الدنيا وكرهت الموت

فدع المكارم لا ترحل لبغيتها .. .. واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ثانياً: الكسل والخمول: وهما منابت العجز، ولكنه عجز القادر على العمل المتراخي عنه، المتثاقل إلى سفاسف الأمور، المتخلف عن عظائمه.. ومثل هذا تراه دائماً في ذيل الركب راضياً بأقبح الأعمال وأحقر الوظائف لقلة همته.. والله در ابن الجوزي حين قال: "سقول هممة الكساح أنزله في جب العذرة".

قال رجل لخالد بن صفوان: مالي إذا رأيتم تذاكرون الأخبار، وتدارسون الآثار، وتناشدون الأشعار وقع عليّ النوم؟ قال: لأنك حمار في مسلاخ إنسان.

قال المتنبّي :

ولم أر في عيوب الناس عيبا .. .. كنقص القادرين على التمام

ثالثا: التسويف والتمني: وهما صفة بليد الحس، عديم المبالاة، كلما همت نفسه بالخير أعاقها بسوف حتى يأتيه الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب.

فالتمني بحر لا ساحل له، يدمن ركوبه مفاليس العالم

إذا تمنيت بت الليل مغتبطا .. .. إن المنى رأس أموال المفاليس

قال رجل لابن سيرين: رأيت في منامي أني أسبح في غير ماء، وأطير بغير جناح فما تفسير ذلك؟ قال أنت رجل كثير الأمان والأحلام.

رابعا: مصاحبة سافل الهمة: فيسرق طبعك منه فإن الطباع سراقا

ولا تجلس إلى أهل الدنيا .. .. فإن خلائق السفهاء تعدي

خامسا: الانشغال بحقوق الزوجة والأولاد: بمعنى الإمعان في تحقيق رغباتهم وطلباتهم خاصة مالا حاجة له وإن ضاع لها العمر أو حمل ذلك على تعدي حدود الشرع وقد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) (التغابن: ١٤)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المنافقون: ٩) .

موجبات علو الهمة

فلا بد من تخلية النفس أولا عن تلك المثبطات والموانع عن رفع الهمة ثم بعد ذلك تخليتها بموجبات علوها ومنها:

أولاً: العلم والبصيرة: فالعلم يرتقي بالهمة، ويرفع طالبه عن الحضيض ويصفي النية ويورث الفقه بمراتب الأعمال؛ فيتقي فضول المباحات من الكلام والنام والنظر والطعام وينشغل بما هو أعلى منها.

ثانياً: إرادة الآخرة: يجعل الهم هما واحداً.. قال تعالى: (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) (الاسراء: ١٩)

وقال صلى الله عليه وسلم: "من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأتيه من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة". (صحيح ابن ماجه).

ثالثاً: كثرة ذكر الموت: فإنه الباعث الحثيث على إحسان العمل، والمسارة إلى الطاعات، وقد وقف صلى الله عليه وسلم على قبر فقال: (إخواني ، مثل هذا اليوم فأعدوا ) رواه ابن ماجه بسند حسن.

وقيل لبعض الزهاد: ما أبلغ العظائم؟ قال: النظر إلى محلة الأموات.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأوزاعي: أما بعد.. فإنه من أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير.

ومن فارق ذكر الموت قلبه ساعة فسد قلبه.

رابعاً: صحبة أولي الهمم ومطالعة أخبارهم: وانظر إلى أبي بكر لما كان صاحبه هو أعلى الناس هممة على الإطلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغت به الهممة أعلاها فكان خير الناس بعد النبيين والمرسلين، فلم ترض همته مجرد دخول الجنة لا بل يريد أن ينادى عليه من أبوابها كلها كما ورد في صحيح البخاري قال صلى الله عليه وسلم: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان فقال أبو بكر رضي الله عنه هل علي من دعي من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم).

وانظر إلى أحمد والشافعي ، وكذلك الإمام أحمد مع يحيى بين معين فإنها صحبة بلغت بأصحابها إمامة الناس في العلم والدين والورع.

أنت في الناس تقاس .. .. بمن اخترت خليلا

فاصحب الأخيار تعلقو .. .. وتتل ذكرا جميلا

خامسا: المجاهدة: وهو الصبر على النفس وسياستها وتعويدها بلوغ الغايات وأعلى المقامات وعدم الرضا بالدون، وكلما جاهد الإنسان نفسه في بلوغ القمم بلغها سواء في أمور الدنيا أو الآخرة" (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت: ٦٩).

وأخيرا تربية الأولاد على علو الهمة : فالمرء على ما شب عليه، وإذا لم ينشأ الطفل منذ صغره على علو الهمة وترك السفاسف فلن يفلح أبدا، وإذا كان ما حولنا من إعلام ومناهج دراسة ومظاهر معيشة كلها لا يصب في صالح هذا الباب وجب على أولياء الأمور الاهتمام بزرع ذلك في أولادهم، وقبل ذلك في أنفسهم فإن فاقد الشيء لا يعطيه.. وقد قالوا قديما:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على .. .. حب الرضاع وإن تفضمه ينظم

وقالوا:

وينشأ ناشئ الفتيان منا .. .. على ما كان عوده أبوه

وما دان الفتى بحجى ولكن .. .. يعود التدين أقربوه

## ٦٧-العقبات الخارجية في الدعوة وكيفية مواجهتها<sup>(١)</sup>

(١) بصائر دعوية للبيانوني



كلما كانت الدعوة عظيمة وإلى أمر عظيم كانت المشكلات التي تواجهها أكبر والعقبات في طريقها أكثر وأخطر، ويعتمد نجاح مثل هذه الدعوات على مدى قدرتها على حل تلك المشكلات ومواجهة تلك العقبات .

والدعوة إلى الله ليس شئياً من الدعوات أعظم منها ولا أكرم ولا أجل؛ ولذلك كانت العوائق والعقبات في طريقها أكبر من غيرها وأقوى.. ونعني بالعقبات والمشكلات هنا "مجموعة الأخطاء والمعوقات التي يقع فيها الدعاة أو يواجهونها في طريق دعوتهم سواء كانت داخلية أو خارجية".

وسوف نبدأ في حديثنا بالجانب الخارجي منها إذ هي التي ينصرف إليها ذهن الناس عند الإطلاق، وهي أشد وضوحاً وأكثر بروزاً وظهوراً للدعاة والمدعوين على السواء، يجذرون منها ويخططون لمواجهتها.. وهذه العوائق يمكن إجمالها في عدة أمور أساسية :

أما العقبة الأولى: وهي مكر الأعداء والكيد والتخطيط لمحاربة الدعوة والدعاة: وهذه سنة من سنن الله الثابتة في هذه الحياة، ومعلم من معالم الصراع بين الحق والباطل في تاريخ الدعوة. قال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]. {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ: ٣٣]. وقال أيضاً: {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} [إبراهيم: ٤٦]. وقال: {وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: ٤٢]. كما قال سبحانه: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا \* وَأَكِيدُ كَيْدًا \* فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ \* أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق: ١٥-١٧].

فكل هذه النصوص القرآنية تؤكد ثبوت المكر والكيد لهذا الدين، كما تؤكد شدته واستمراريته.

أما العقبة الثانية: فهي تعاون الأعداء في سبيل تطبيق هذا المكر وتنفيذ ذاك الكيد: فهذه أيضاً حقيقة قائمة، وسنة ثابتة، كشف عنها القرآن الكريم وأخبر بها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم؛ فقال سبحانه: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ \* قَالُوا

## وصايا للدعاة

تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لِغَيْبَتِنَا وَأَهْلِهِ ثُمَّ لِنَقُولَنَّ لِرَبِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ \* وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ \* فَتِلْكَ يَبُوءُهُمْ حَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [النمل: ٤٨-٥٣].

وجاء في الحديث الشريف الذي رواه أبو داود وأحمد: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها، قلنا: يا رسول الله! أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن. قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكرهية الموت."

أما العقبة الثالثة: فهي تنوع أساليب الأعداء في مواجهة الدعوة والدعاة: فإن أساليب الأعداء في هذا كثيرة وعديدة، فمنهم من يدخل على المسلمين في مواجهات صريحة مكشوفة للقضاء عليهم واستئصال دعوتهم، ومنهم من يحاول الاحتواء للدعوة وأصحابها، ومنهم من يعتمد على المراوغة والمخادعة، ومنهم من يستدرج الدعاة إلى ما فيه حنقهم وهلاكهم.

فكلما استنفذ الأعداء أسلوباً أو ثبت لهم فشله في مكان، اختاروا أسلوباً آخر جديداً مناسباً وعملوا على تطوير أساليبهم باستمرار على وجه يحقق لهم أهدافهم ويوصلهم إلى غاياتهم. وقد عرض القرآن كثيراً من تلك الأساليب المتنوعة التي استخدمها أعداء دعوة الله على مدى التاريخ، والتي لا يزالون يكررونها ويطورون فيها إلى اليوم.

أما العقبة الرابعة: فهي المتمثلة في قوة وسائلهم المادية، وتسخير العلوم الحديثة والدراسات والتقنيات في سبيل تحقيق أهدافهم: فإننا نرى بأم أعيننا ما وصلوا إليه من تقدم علمي وتقني في مختلف جوانب الحياة المادية. كما نرى كثرة مراكز الأبحاث والدراسات التي ينشئونها ويصرفون عليها في سبيل دراسة واقع العالم الإسلامي من جميع جوانبه المادية والمعنوية.

كما يعقدون المؤتمرات والمعاهدات والندوات والاتفاقات بينهم وبين تلك الدول الضعيفة ليتمكنوا منها. فلا يوفرون وسيلة من الوسائل في سبيل تحقيق أهدافهم، عدا عن تفوقهم العلمي والتقني.

تصور لطرق العلاج

هذه هي أبرز المشكلات والعقبات الخارجية التي تواجه الدعوة الإسلامية اليوم، وتعوق مسيرتها. والمتتبع لواقع الدعوة يرى الدعاة يجتهدون دائماً في معالجة مثل هذه العقبات، وتختلف آراؤهم واجتهاداتهم في الأساليب والوسائل المتبعة في ذلك. ولكن الملاحظ: أنهم كلما عالجوا مشكلة أو عقبة، برزت أمامهم تلك العقبة والمشكلة أو غيرها بثوب جديد وصورة مغايرة.. مما قد يصيب البعض بنوع من الاستسلام أو اليأس! وهذا يدعوننا إلى أن نختار طريقاً جديداً في معالجة هذه المشكلات الخارجية.. ومن طرق العلاج:

أولاً: التنبيه إلى المعالم الإلهية والسنن الربانية في هذا الأمر، ذلك لأن المشكلات الخارجية - كما سبق - مشكلات قديمة، واجهت الدعوة إلى الله في جميع مراحل تاريخها. فما من رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا وقد واجه وقومه المؤمنون معه مثل هذه العقبات والمشكلات، وكانت العاقبة للمؤمنين بعد ذلك.

ولم تكن العقبات في زمنهم خفيفة أو بسيطة - كما يتوهم البعض - وإنما كانت في بعض الأحوال والأزمان على أشدها وأقواها، والشدة والخفة أمران نسيبان من وقت لآخر بحسب طبيعة كل عصر وإمكاناته. ولكنها سنة الله الثابتة التي لا تتغير. قال تعالى: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: ٧٧]. وقال أيضاً: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٦٢].

وقد لخص الله عز وجل معالم معالجة هذه العقبات الخارجية التي تواجه الدعوة الربانية مهما كان نوعها في أمرين اثنين متلازمين مترابطين هما:

١- التقوى: فقد جاءت آيات عديدة تربط بين هذين الأمرين في مجال معالجة العقبات والنجاة من كيد الأعداء ومكرهم فقال تعالى: {إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسْوَهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: ١٢٠]. وقال أيضاً: {لَتَلْبَسُوا فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [آل عمران: ١٨٦]. كما قال بعد عرض العقبات والمشكلات التي واجهت يوسف عليه السلام: {قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَحِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٩٠].

## وصايا للدعاة

ولكننا أيها الأحبة كثيراً ما نمر على هذه الآيات القرآنية وأمثالها ولا ننتبه إلى معانيها، وإلى أنها تقرر حقيقة قاطعة وسنة ثابتة في الصراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة، لابد للمسلمين من الاستفادة منها، والعمل على أساسها، وإلا كان عملهم دون جدوى..!

ومما يجدر التنبيه إليه والتبصر به في هذا المقام: أن التقوى التي يتحدث عنها القرآن ويأمر بها ويكررها على مسامعنا، ليست كلمة تقال، أو دعوى تدعى، إنما هي حالة نفسية خاصة، تعرف بآثارها ومظاهرها.

كما أن الصبر المذكور في هذه الآيات الكريمة ليس أمراً هيناً، وإنما هو من عزائم الأمور التي تتطلب جهاداً ومجاهدة، والتي تعرف بمظاهرها وآثارها أيضاً. ولعل من أبرز مظاهر التقوى المطلوبة في مواجهة العقبات:

١- إخلاص المؤمن لله عز وجل في نيته وقوله وعمله وجميع شؤونه. فالإخلاص هو الذي يقي الأعمال من أن تحبط وتضيع آثارها، وهو الذي يقي صاحبه من كيد الأعداء في الدنيا، ومن نار الله في الآخرة. وقد جاء في الحديث الشريف: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى".

٢- التزام طاعة الله سبحانه واجتناب نهيه، ومن هنا عرف بعض العلماء التقوى بقوله: "أن لا يراك الله حيث هناك، وأن لا يفقدك حيث أمرك". وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

٣- التواصي بين المؤمنين بالحق والصبر، وتبادل النصيحة والشورى فيما بينهم، والتأمر بينهم بالمعروف والتناهي عن المنكر. قال تعالى: {وَالْعَصْرُ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: ١-٣]. وجاء في الحديث الشريف: "الدين النصيحة" فجعلها أساس الدين وجوهره.

٤ — إتقان العمل الصالح، والاستمرار عليه، وتوخي الحكمة فيه: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه". ومن العمل الصالح الذي يدخل في هذا: الاستمرار في دعوة الآخرين إلى الحق والهدى، والحرص على هداية الناس، وعدم اليأس من صلاحهم، فبالدعوة الصحيحة الحكيمة قد

ينقلب العدو صديقاً، وتتحول قوة الأعداء إلى قوة للمسلمين، حكماً حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية.

٥ — تحقيق وحدة الصف بين العاملين، ونبد الشقاق والتفرق عنهم، ولاسيما عند مواجهة الأعداء. قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]. وقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: ٤].

٦ — ومن ذلك أيضاً: اللجوء إلى الله وحده، والإكثار من ذكره والتضرع إليه في السراء والضراء. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥].

هذا عن مظاهر التقوى المطلوبة عند مواجهة الأعداء. أما عن الصبر المطلوب ومظاهره فمنها:

١- الاستمرار في العمل الحكيم، والثبات على التقوى والعمل الصالح.. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠].

٢- البذل والتضحية في سبيل الله، والجهاد بالمال والنفس، والوقت، وجميع ما يملكه الإنسان. قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٢]. وقال: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد: ٣١].

٣- التعقل في العمل، وعدم التعجل في النتيجة، وضبط النفس. قال تعالى: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ} [الأنبياء: ٣٧].

٤- عدم الركون إلى الأعداء وعدم توليهم، وإعلان البراءة منهم، وتجنب الخضوع والتنازل عن أمور الدين من أجلهم. قال تعالى: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كُفُورًا} [الإنسان: ٢٤]. وقال: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ\* وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} [هود: ١١٢، ١١٣].

## وصايا للدعاة

٥- التصديق بوعد الله، والحزم بأن العاقبة للمتقين. قال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: ٦٠]. وقال: {ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ١٠٣].

٦- تفويض الأمر لله سبحانه، وصدق التوكل عليه، فهو القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. قال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: ٨١]. وقال: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ} [النور: ٥٧].

إلى غير ذلك من معالم وتوجيهات قرآنية، لو تنبه إليها الدعاة، وتمسكوا بها مجتمعة، لما وقفت أمامهم عقبة، ولا عسرت عليهم مشكلة.

هذه كانت أهم المعالم والبصائر في مواجهة المشكلات الدعوية وعقباتها، فلا بد لنا تجاهها من الصدق والمجاهدة، ومن الصبر والمصابرة. قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩].

## ٦٨-الفتور.. مظاهره وأسبابه، وطرق العلاج

هل أحسست يوماً بقسوة في قلبك وتحجر في عواطفك، وعدم تأثر بالقرآن والمواعظ؟

هل شعرت يوماً بضيق في صدرك، أو بهمّ أثقل عليك كاهلك فأنت في ضيق لا تعرف له سبباً ولا تجد مخرجاً؟

هل أصابتك وحشة فيما بينك وبين الناس فأنت سريع الغضب منهم قليل الصبر عليهم لا تحب مجالستهم ولا مؤانستهم؟

هل وجدت وحشة فيما بينك وبين الله فأصبحت تستثقل العبادات وتتهاون في الطاعات ولا تجد لذة لأنواع القربات؟

هل أصبحت تشكو كما كنت تسمع من يشتكي من قسوة القلب، ومن يقول: "لا أجد لذة للعبادة"، "أشعر أن إيماني في الحضيض"، "لا أتأثر بقراءة القرآن". "لا أتأثر بموعظة"، أقع في المعصية بسهولة.

إذا كان أصابك شيء من ذلك فاعلم أن السبب في هذا هو ما يسمى بظاهرة الفتور أو ضعف الإيمان، وهو مرض واسع الانتشار يعاني منه كل مؤمن موحد ولو بين الحين والحين. وذلك أن من أصول أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والكتاب والسنة مليئان بالأدلة على هذا الأمر وكذا كتب السلف الصالحين.

وقد أخبرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن الإيمان يبلى في قلب المؤمن ويحتاج إلى تجديد كما في المستدرك والطبراني: "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم".

فالإيمان في قلوبنا يزيد وينقص ثم يزيد وينقص حسب ما يتعرض له المرء من أسباب ضعف الإيمان وقوته أو نقصه وزيادته، وهو ما دل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الحلية قال: "ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينما القمر مضئ إذ علتته سحابة فأظلم إذ تجلت عنه فأضاء".

فكما أن القمر أحياناً بينما هو منير في السماء تأتي عليه سحابة تحجب ضوءه ونوره ثم ما تلبث هذه السحابة أن تنقشع فيرجع له ضوءه فينير السماء، كذلك قلب المؤمن بينما هو سائر في طريق استقامته إذا اعتورته بعض السقطات والهفات ولحظات الضعف بل والمعاصي فحجبت عنه نوره فيبقى الإنسان في ظلمة ووحشة، فإذا سعى لزيادة إيمانه واستعان بالله انقشعت تلك الغمة وعاد للقلب نوره واستقامته.

مظاهر الفتور

معلوم أن الإيمان لا يترع من قلب العبد مرة واحدة وإنما يحمله الشيطان على التهاون في دينه خطوة خطوة فيدب الضعف إلى إيمانه رويداً رويداً. ولضعف الإيمان في قلب الإنسان علامات تدل عليه ومظاهر يعرف بها:

(١) قسوة القلب

فيحس أن قلبه يجمد شيئاً فشيئاً، لا يتأثر بموعظة ولا برؤية بلاء أهل البلاء، ولا حتى بالقرآن، وربما دخل المقابر وحمل إليها الأموات وواراهم التراب وكأنه لم ير شيئاً، حاله كما قال الله: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ} [البقرة: ٧٤]. فإذا أحسست بقسوة في قلبك وتحجر في عواطفك فاعلم أنه مظهر من مظاهر ضعف الإيمان.

### ٢) ضيق الصدر والوحشة من الناس

فيصبح المرء سريع الغضب على من حوله قليل الصبر والتحمل لهم ، يضيق ذرعا بأفعالهم، ويتأفف من أعمالهم ، قد ذهبته عنه سماحة أهل الإيمان فلم يعد يألف ولا يؤلف، وكلما زادت غفلته وفتوته زاد همه وضاق صدره.

### ٣) الوحشة بينه وبين الله

وعلامتها استئصال العبادة، والتهاون في الطاعة ، وعدم الحزن على فواتها ، فتفوته مواسم العبادة ولا يتأثر، ويتأخر عن الجمع والجماعات ولا يحزن، وعبادته إن أداها فهي مظاهر خالية من الروح: فالصلاة بلا خشوع، وقرآنة القرآن بلا تدبر، والأذكار عادة، والدعاء مجرد كلام باللسان مع غياب القلب، والله لا يقبل دعاء قلب ساهٍ لاهٍ.

### ٤) الاستهانة بالمكروهات والمشتبهات

فبعد ما كنت تسأل عما فيه شبهة لتجتنبه حفاظاً على دينك ولا تتجرأ أن تقترب مما قيل إنه مكروه، إذا بك لاترى بما دون الحرام بأساً، فقارفت المكروهات، وولغت في الشبهات: "ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام...". .. فقادك هذا التساهل إلى رفع الحاجز عن الحرام فسهل عليك الوقوع فيه فاجترأت على محرمات لم تكن قديماً تخطر لك على بال.. وكلما ضعف الإيمان ازداد المرء تفلتاً.

### ٥) عدم الغيرة على محارم الله

فإن نار الغيرة إنما توقدها جذوة الإيمان، وقد خبت.. وكيف ينكر المحرم من وقع فيه؟ وكيف يكره أهل المعاصي من يعيش بينهم .وربما زاد القلب إظلاماً حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقاً والحسن قبيحاً والقبيح حسناً .



## ٦) ضعف رابطة الأخوة الإيمانية

لأن سبب الرابطة هو الإيمان المحرك لها؛ فإذا ضعف الإيمان ضعفت بضعفه تلك الروابط، فلا زيارات ولا دعوات ولا عيادة مريض ولا معاونة ولا شيء، ربما ولا سلام ولا كلام، وربما لا يهتم بقضايا المسلمين ولا يتمنى نصرتهم وانتصارهم: (ما تواد اثنان في الله عز وجل أو في الإسلام ففرق بينهما إلا بذنب يحدث أحدهما)(رواه أحمد وغيره).

ومن مظاهر ضعف الإيمان أيضا : حب الدنيا على جميع صورته، والخوف عند المصيبة والجزع لها، وكثرة المراء والجدال المقسي للقلب، والاهتمام بالمظاهر والمغالة فيها.

## الأسباب

يقول بعض السلف : "من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما ينقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم إيزداد إيمانه أم ينقص، ومن فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان من أين تأتيه". فمن فقه الإنسان أن يراقب قلبه ودينه وينظر من أين يأتيه الفتور، وما هي أسباب ضعف إيمانه.. وقد ذكروا منها:

## أولا : الابتعاد عن أجواء الإيمان

وهو أول ما يدخل الفتور به على أهل الإيمان فيتحول عن المسجد، ويستبدل الرفقة الطيبة أو يغيب عنهم، والبيئة لها أثر عظيم . قال الحسن: إخواننا أغلى عندنا من أهلينا، فأهلونا يذكروننا الدنيا وإخواننا يذكروننا الآخرة . وفيما سبق قال العالم لقاتل المائة نفس: "ودع أرضك هذه فإنها أرض سوء واذهب إلى أرض كذا فإن فيها قوما يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم.

## ثانيا: الانشغال بالدنيا

والحرص عليها، والسعي وراءها وطلب الجاه فيها، وفي الحديث: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه".(رواه الترمذي). فطغيان الدنيا على الآخرة مفسد للدين كما روي عن معاذ رضي الله عنه: "يا ابن آدم! أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج. فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر بنصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما. وإن بدأت بنصيبك من الدنيا فاتك نصيبك من الآخرة وأنت من الدنيا على خطر".

ثالثاً: طول الأمل

طول الأمل مفسد للقلب؛ فإن من طال أمله نسي الآخرة، وسوّف في التوبة، ورغب في الدنيا، وكسل عن الطاعة، وأسرع للمعصية؛ فيقسو قلبه لأن رقة القلب بتذكر الموت والقبر والجنة والنار، وطويل الأمل لا يذكر هذه الأشياء.

قال علي: "إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة".

وفي الأثر: "أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا".

رابعاً: الابتعاد عن العلم الشرعي

وخاصة بالكتب التي تقسي القلب وتشتت الفكر ككتب الفلسفة، وكذلك قصص الحب الساقطة، والمجلات الخليعة، وقد يصاب بقسوة القلب من يكثر من الجدال والمراء، وقراءة كتب أهل البدع والخلاف وترك كتب الرقائق ككتب ابن القيم وابن رجب وغيرهم.. وخير ما يستفاد منه قوة الإيمان كتاب الله ثم مدارس السنة والسيرات ثم قصص الصالحين وأحوالهم.

خامساً: عدم وجود القدوة

فالقدوة الصالحة لها أثر حي وفعال في قلوب المشاهدين، ولذلك كانوا ينصحون بملازمة أهل الصلاح والورع، وعندما مات أعظم قدوة في الدنيا قال الصحابة: ما هي إلا أن واريناها التراب حتى أنكرنا قلوبنا، وكانوا كالغنم في الليلة الشاتية المطيرة، مع كونهم كلهم قدوات يقتدى بهم، وكلام ابن القيم عن ابن تيمية مشهور معروف.

سادساً: الإفراط في الكلام والطعام والمنام والخلطة

فكثرة الكلام تقسي القلب.

وكثرة الطعام تثقل عن العبادة.

وكثرة المنام تضع خيراً كثيراً.

وكثرة الخلطة لا حد لمفاسدها.

علاج ضعف الإيمان

وبعدما تعرفنا على مظاهر الفتور وضعف الإيمان وأسباب ذلك، لابد أن نتعرض للعلاج حتى يستطيع من ابتلي بشئ من ذلك العودة إلى ما كان عليه من قوة الإيمان والعبادة ومن ذلك:

دوام المراقبة والمحاسبة

فمراقبة القلب الدائمة ومراقبة الحالة الإيمانية تجعل العبد على علم بمكانه من الله وهل هو في ازدياد أو نقصان، ودوام محاسبة النفس يعيد الأمور إلى نصابها ويجعله يستدرك الأمور قبل استفحال خطرهما، ومعالجة الأمر في البدايات أيسر كثيرا من المعالجة في النهايات والوقاية دائما خير من العلاج " يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون".

تدبر القرآن

فإن ضعف الإيمان مرض قلبي، والله أنزل القرآن شفاء لأدواء القلب والبدن: {وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: ٨٢]. وإنما يأتي العلاج مع التدبر والفهم: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ربما قام ليلة يتلو آية واحدة يكررها: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَعْفُرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: ١١٨]. وكذلك ورد عن تميم الداري، وكان كثير من السلف يكرر الآيات يتعمق في فهم معناها كسعید بن جبیر: {وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَحْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} [البقرة: ٤٨].

ومرض عمر رضي الله عنه من آية قرأها: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} [الطور: ٧]، وسمع بكاؤه وهو يقرأ: {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف: ٨٦].

وقال عثمان: "والله لو طهرت قلوبنا ما شبت من كلام ربنا".

ومات علي بن الفضيل من آية سمعها: {وَلَوْ تَرَى إِذِ وُفِّقُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرْدُّ} [الأنعام: ٢٧].

ومات زرارة بن أوفى في الصلاة عندما تلى قوله تعالى: {فَإِذَا تَقَرَّرَ فِي التَّائِبِينَ} [المدثر: ٨].

ذكر الله

فهو جلاء القلوب من صدئها وشفاءؤها من أمراضها، ودواؤها عند اعتلالها، وهو روح الأعمال الصالحة، والفلاح يترتب عليه: {وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥]. وهو وصية الله لعباده المؤمنين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} [الأحزاب: ٤١]. ووصية النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين: (إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فمربي بأمر أعتصم به. قال: لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله).

فالذكر مرضاة للرحمن مطردة للشيطان مزيل للهم والغم، جالب للرزق والفهم، به تطمئن القلوب وتبتهج النفوس وتشرح الصدور: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨]. وترك الذكر قسوة للقلب وأي قسوة، كيف لا وهو نسيان لله، ومن نسي الله نسيه الله.

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور

يقول ابن القيم رحمه الله: "في القلب قسوة لا يزيلها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله".

قال رجل للحسن البصري: "يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي؟ قال: أذبه بالذكر".

قال مكحول: "ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء".

الدعاء والانكسار بين يدي الله

{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠]. وأقرب باب يدخل منه العبد على الله باب الافتقار والمسكنة، ولذلك كان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ لأن حال السجود فيها من الذلة لله والخضوع له ما ليس في غيرها من الهيئات. قال النبي صلوات الله وسلامه عليه: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء) [رواه مسلم]. وهل هناك حال أرجى للقبول من عبد عفر جبهته في

التراب خضوعاً للعزير الوهاب، واستكانة ومذلة بين يديه ثم أخذ يناجيه من صميم فؤاده بجرقة المحتاج، وابتهاال المشتاق، اللهم إني أسألك بعزتك وذلي، وأسألك بقوتك وضعفي، وقدرتك وعجزتي، وبغناك عني وفقري إليك إلا رحمتي وهديتي وأصلحتي. اللهم هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، فخذ بها يارب إليك أخذ الكرام عليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك. أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهاال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته ورغم لك أنفه وذل لك قلبه وفاضت لك عيناه.

فهل تظن بعد هذا الدعاء مع الإخلاص يرده الله .. لا والله.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجدد الإيمان في قلوبنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. والحمد لله رب العالمين.

## ٦٩- الحركة الإسلامية .. هموم وآمال

يمثل فقدان الإحساس بالزمن وقيمته وأثره في التحولات السياسية والاجتماعية والعقدية أحد أبرز مشكلات الحركة الإسلامية المعاصرة، وخاصة في مصر، لقد كانت السمة الغالبة على تصرفات أجيال الحركة الإسلامية هي سمة العجلة والتسرع واستعجال الثمرة والضرع من طول الطريق وعدم الصبر على عوائقه وتصوير إمكانية القفز على معطيات الواقع لاختصار الطريق، ولعل ذلك كان السبب الأهم في اندفاع فصائل من الحركة الإسلامية إلى العنف المسلح في الحالة المصرية، دون نظر دقيق وراشد وعامل في معطيات الواقع وفي آفاق التجربة وحساباتها، بل إن الغريب أنه على الرغم من أن بدهيات العمل العام تعطي معنى أن الحرب هي مجرد آلية من آليات السياسة، فإننا وجدنا بعض فصائل الحركة الإسلامية تغامر بدخول مواجهات مسلحة دون أن تكون لها - من حيث الأصل - أية خبرات سياسية، بل ودون أن يكون لها تصور سياسي، بل إنها - وما زالت حتى الآن - تنظر بتوجس إلى السياسة ومفرداتها، وما زال قطاع كبير منها يفكر بعقلية التنظيم السري ذي الطابع العسكري، وأحياناً يكون بعقلية التنظيم السري على الرغم من الطابع الفكري الجرد للتنظيم والبعيد كل البعد عن العنف وعن السياسة معا.

إن طبيعة المعركة التاريخية التي تخوضها الحركة الإسلامية لوقف مسيرة التغريب في ديار الإسلام، والعمل على إصلاح البلاد والعباد، وتأسيس دولة العدل والإيمان والحرية، وإحياء دين الحق في النفوس وفي الواقع، وإعادة شريعة الله حاكمة لعباد الله، كما كانت منذ بعثة النبي {صلى الله عليه وسلم} وحتى فجر التاريخ الحديث عندما وقع الشرخ الكبير بفعل التغريب والغزو والاستبداد - هذه المعركة التاريخية هي - في صلبها وجوهرها - معركة النفس الطويل، والبناء الصعب، والمعاناة العاقلة الذكية، المعاناة التي ترصد الواقع ومتغيراته وتدرس مفاتيحه ومدخل الإصلاح فيه وتضع خططها الصبورة للنفوذ إلى هذا الواقع والعمل على إصلاحه بهدوء وروية مستوعبة موجات التحدي لرسالتها بأشكالها كافة، تحديات الاستبداد والجهل والقمع بما في ذلك القمع الإعلامي، ومصالح دولية معاكسة ومتباينة مع المصلحة الإسلامية، وتوازنات محلية ودولية، وليست تلك المعاناة التي تتصور أن أهم إنجازات المسلم المعاصر أن يقضي جزءا من عمره في السجون والمعتقلات، لقد غلب على مشاعر أبناء الحركة الإسلامية في مرحلتها الجديدة نزوع عاطفي كبير نحو الخلاص الذاتي، والرغبة في التطهر، دون نظر إلى أهمية الخلاص الجماعي والعام للأمة بكاملها، وهذا النوع الثاني من الإحساس هو الذي يفتق الذهن للإبداع الحركي، وهو الذي يدفع الطاقات الإسلامية إلى احترام الواقع والتفاعل معه ومن ثم قيادته، وهو الذي يجعل المسلم أكثر حرصا على وقته وعلى عمره وعلى شبابه وعلى جهوده من أن تضيع هدرا، لأنه يعي أنه مطالب بتحقيق النصر في موقعة تاريخية، وليس فقط مجرد التضحية دون حسابات جدوى كاملة ودقيقة لأبعاد هذه التضحية.

إنه ليس مطالبا فقط بتخليص نفسه وتطهيرها، بل أيضا بتخليص أمته من آفاتهما الكبرى، وتحريرها من العبودية لغير الله، ومثل هذه الأمانة الضخمة تحتاج إلى وعي وسلوك وأفق مختلف عن مجرد الشعور العاطفي الصادق بالرغبة في التضحية والتطهر دون نظر إلى الغاية أو الأفق أو الدور، وفي تقديري أن هذه خطوة أولى وحيوية لإصلاح مسار الحركة الإسلامية وتأسيس وجهتها المستقبلية على أسس جديدة أكثر وعيا ورشدا وأكثر قدرة على الالتحام بالواقع، وأكثرفاعلية على التغيير والإصلاح .

إن العمل في الإصلاح العام، والعمل المتقاطع مع السياسة - بشكل عام فيما يسمى بالعالم الثالث - شديد الخطورة والتعقيد، ومنطقه مختلف تماما عن منطق السياسة وحساباتها في الدول التي قطعت شوطا كبيرا في الإصلاح السياسي وأصبحت لديها قاعدة مؤسسية راسخة تحقق توازن القوى وتضبط السلوك السياسي في مجتمعاتها، فالعمل السياسي في العالم الثالث أشبه بالخوض في حقول الألغام، بما يعني بذل جهد مضاعف للتعامل بحكمة مع هذا الواقع، وبدلا من أن يحدث ذلك كانت الحركة الإسلامية أقل تحوطا في سلوكها الإصلاحية والحركية، وأقل قدرة على فهم موجات السياسة في بلادنا، وأقل قدرة على (تفكيك) الألغام المبتوثة في مسيرتها نحو الإصلاح، بل كانت أجيالها تنتشي باقتحام حقول الألغام حيث يتم تدمير أجيال من الحركة بدون طائل عملي حقيقي تجنيه الأمة، وكان منطق الخلاص الذاتي والفردي هو القائد، وروح التضحية الفردية، بينما كان المطلوب هو منطق البحث عن سبل النصر وشروطه، وروح الجماعة، وحسابات الزمن، ومصالح الأمة الكبرى، وأفق المستقبل، لم يكن المطلوب هو أن أقتحم اللغم لكي أفجره وينفجر في، بل كان المطلوب هو أن أضع خريطة علمية لحقل الألغام، ومعرفة خصوصيات هذه الألغام، وأدرس كيفية تفكيك هذه الألغام، بحيث أنزع منها قدراتها على التدمير، وقد يمكن الإفادة من هذه الألغام ذاتها في مرحلة تاريخية معينة بشكل إيجابي لا يضر بمسيرة الحركة الإسلامية نحو الإصلاح، كل هذا لم يحدث، لأن الأفق السياسي كان غائبا، بل الأفق المستقبلي الأساسي كان غير موجود وغير موجه للحركة الإسلامية، ومن ثم كان الحديث عن (استراتيجية) مستقبلية - تحكم مراحل عملها، وتوجه بوصلة فعلها وتفكيرها - نوعا من الترف غير المطروح أساسا للنقاش الجاد .

عاقبة وخيمة

وكانت غلبة الروح التنظيمية في العمل الحركي على حساب التجديد الفكري وخيمة العواقب، حيث تم إعلاء شأن الانضباط التنظيمي على مهمة بناء الشخصية المستقلة والبصيرة والناقدة، وتمت مصادرة حق الفرد في النقاش والاختلاف وإبداء الرأي، ما دامت (قيادة التنظيم) رأت رأيها، وتمت عملية (عسكرة) الحركة الإسلامية بتأسيسها على الطاعة العمياء والصارمة على حساب الطاعة الفاحصة والبصيرة، وكان من الطبيعي أن تموت ملكات الإبداع والتجديد الفكري والحركي والسياسي في ظل هذه الأجواء، الأمر الذي أدى إلى خسارة الحركة الإسلامية - بفصائلها كافة - لجهود أصحاب الفكر والباحثين عن التجديد، وأصبحت

(الجماعات) عامل طرد للمميزين فكريا، ولذلك يعز أن تجدد في حركة إسلامية رموزا فكرية مؤثرة، وتحولت الحركات - من ثم - إلى تنظيمات بلا قدرات فكرية خلاقية، وكان هذا من العوامل التي أدت إلى جمود الوعي الحركي والسياسي والمستقبلي

الحاجة إلى بعث جديد

إن الحركة الإسلامية في حاجة إلى بعث روح جديدة، وفكر جديد، وأخلاقيات جديدة، وعلى أكثر من صعيد، وصحيح أن هناك فروقات معينة بين كل فصيل وآخر، إلا أن جوهر الداء ستجده عند الجميع بدرجات مختلفة، بحكم أن المناخ العام الذي نعيشه والخبرات التي أسسنا عليها حركيتنا - هو من المشترك العام بيننا، وأملنا أن تكون الانتكاسات المتتالية التي مرت بها الحركة، والهشاشة العجيبة في محصلة جهدها في المجتمع على مدار أجيال طويلة - أملنا أن يكون هذا كله دافعا وحافزا يضطرها لفتح أبوابها أمام هذه الروح الجديدة، لاسيما ونحن نتحدث عن تيار لا ينقص أفراد الإخلاص والصدق وجزوة الإيمان

## ٧٠- الداعية في مواجهة الآخر.. الانطلاق من النقطة الخطأ

أعادت أحداث الحادي عشر من سبتمبر العلاقة بين الإسلام والغرب إلى نقطة الصفر، حيث الأغلام تنتشر تحت أقدام من يحاولون عبور الهوة بين الجانبين، وأزمة الثقة وسوء الفهم والاتهامات المتبادلة تسيطر بصورة خاصة على المربع الغربي، في حين تولى المسلمون دور الدفاع عن دينهم من اتهامات هو بريء منها.

وما يهدف إليه هذا التحقيق هو تقديم تصور سليم للعلاقة بين الداعية المسلم والآخر، ووصف السلبيات في العلاقة الحالية، ورسم المنهج الصحيح الذي يجب اتباعه لتصحيح صورة الإسلام، وإقامة ما يسمى بحوار الأديان والحضارات على أسس سليمة، لا يكفي معها حسن النية وحده، وهو الأمر الذي أدى إلى فشل الحوارات السابقة.

الحوار والتراجع المرفوض

يقول الأستاذ الدكتور طه الدسوقي، أستاذ العقيدة والأديان بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر: إن العالم الإسلامي امتلاً في الفترة الأخيرة بصيحات تردد صداها في كل ركن من أركانه،



تحدث عما يجب على المسلمين أن يفعلوه في علاقاتهم بغيرهم من الشرقيين أو الغربيين، وهذه الصيحات تطالب المسلمين والغربيين جميعاً بنقد فكرة الصراع بين الأديان والحضارات، وأن يسعوا إلى الحوار في كل المجالات بما فيها الدين.

ويضيف د. الدسوقي: لكن هذه الصيحات تلاحت بسرعة مذهلة لتكشف عن النوايا وراءها، كما وضعت دعاة هذه الفكرة في العالم الإسلامي على وجه الخصوص في حرج بالغ أمام التاريخ وأمام أممهم، وبناء على هذا الكشف فإن فكرة الحوار فيها مغالطات كثيرة، تبدأ من كلمة الحوار نفسها والذي يجب أن يسلكه الداعية في التوجه نحو الآخر، إذ إنه علينا أن نفهم أنه إذا كان الحوار دائراً حول ثقافة أو دين أو غيره فلا بد أن يقوم كلا المتحاورين بالتنازل شيئاً ما عن مبادئه وثوابته، أو يلزم ذلك أحدهما على الأقل.

وأمام هذا التراجع، فإن غير المسلمين أعلنوا إعلاناً جازماً أنهم ليسوا في مجال الحضارات مستعدين أن يتنازلوا عن شيء ولا حتى "قلامة ظفر" على أساس أن حضارتهم وثقافتهم هي الحضارة والثقافة المعصومة من الخطأ، وعلى المسلمين وحدهم أن يتنازلوا عن أشياء كثيرة تتصل بشريعتهم اتصالاً مباشراً، حتى لو كان يحكمها نص لا يقبل التأويل.

ويضيف د. الدسوقي: والشيء الغريب أن كثيراً من المنادين بالحوار أو التوجه نحو الآخر من المسلمين قد تنازلوا متطوعين أو مأجورين؛ فدعوا إلى إحداث تغييرات في الشريعة وفي الفقه الإسلامي، وإعادة صياغة الشريعة والفقه على أسس غريبة، من نحو فقه الواقع وفقه المصالح وفقه المقاصد أو أي فقه كان ما دام ذلك يخدم فكرة حوار الأديان !

ويؤكد د. الدسوقي مرة أخرى على أن ظلال كلمة الحوار أو التوجه نحو الآخر يؤكد أنه يجب أن يلزم أحد الطرفين - نحن والآخر - أن يتنازل مقهوراً عما لديه من أسباب الحضارة، وهو ما يفضي إلى سهولة الانقياد والتبعية للآخر من غير شعور بالأنفة أو التمسك بأسباب العزة، والحوار مع الآخر في ظل هذا المفهوم لا يعني إلا أن يتنازل المسلمون قهراً أو طواعية عما لديهم من الشريعة والشعيرة، ويلتزم فقط بما في الإسلام من أخلاق كالصدق والرحمة والإحسان وغيرها من الصفات الحميدة.

## وصايا للدعاة

أما في مجال العقائد - والكلام ما يزال للدكتور الدسوقي - فعلى المسلمين أن يضمرُوا في قلوبهم فكرة التوحيد، وألا يجاهروا بفكرة التزيه لله تعالى، وألا يعلن المسلمون أن باب النبوة قد أغلق فضلاً عن المجاهرة بدعوى النبوة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فضلاً عن أنه هو خاتم المرسلين.

ويعلق قائلاً: إنه إذا كان هذا هو مفهوم كلمة الحوار بما فيها من تعميم وتدليس وما لها من أبعاد وظلال، فإن المراد من هذه الكلمة ما كتبه بعض المفكرين المسلمين المصريين يطلب الوفاق بين الديانات، ويطلب الوحدة بين أصحابها تحت مظلة "الإبراهيمية"، فجميع الأنبياء من سلالة إبراهيم، وعلى تابعي الأنبياء أن يتحدوا تحت مظلة الأب الرحيم، ونحن لا يخفى علينا ما في هذه المقولة من مغالطة تضر بالديانات جميعاً والضرر الأكبر سيقع على الإسلام.

وبناء على ما سبق يؤكد الدكتور الدسوقي قائلاً: إنه بعد أن ظهرت الفلسفات الاجتماعية المختلفة لم يحظ اثنان متحاوران بالاتفاق على مبادئ للحوار أو المواجهة، بل يتربص الكل بالكل، وحدث ما سمي بالحرب الباردة بين الشيوعية ذات الوجه الماركسي والرأسمالية الغربية ذات الفكر الصليبي، وكل يملك عوامل هدمه، أما الإسلام ففيه عناصر بقائه واستمراره، وهذا ما طالب به نيكسون في كتابه "الفرصة السانحة" حيث طالب بسحق كل مناوئ للفكر الغربي الصليبي.

ويقول د. الدسوقي: في اعتقادي أن الغرب (الآخر)، والأمريكان على وجه الخصوص، يرفضون فكرة التبادل والاستفادة من الآخرين، ويعتبرون أن ثقافتهم وحضارتهم هي وحدها التي تملك حق الحياة ولا ينبغي لغيرهم أن تكون له ثقافة أو تقوم لهم قائمة، والتاريخ طبعاً يكذب هذا الادعاء وينفيه كما أن فطرة الإنسان ترفض ذلك وتجاهيه.

يقظة ضد المؤتمرات

الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر، يؤكد أن دور الداعية في مواجهة الآخر يستدعي يقظة الداعية الشديدة، باعتبار أن حوار الحضارات أو الأديان ومعظم ما يقال عنها مؤامرات يهودية يقصد بها استدراج المسلمين لتميع مواقفهم الصارمة من انحرافات أصحاب العقائد والكتب السابقة.

ومع تأكيد د. سعيد على دعوة الإسلام للحوار وإرساء قيم مثل حفظ العقل واحترامه واستخدامه من قبل المسلمين حكمًا بين طرائق البشر وأفكارهم ومذاهبهم، إلا أنه يؤكد على وجوب التفرقة بين الحوار الجاد والمواجهة الشريفة التي تستهدف بيان الحقائق وإقامة الحجج والبراهين، وبين الحوارات المفتعلة التي تهدف إلى نتيجة مرسومة سلفاً، وهي زعزعة القاعدة الصلبة، وهي أن الإسلام خاتم للأديان، ومحفوظ الكتاب والسنة، وباعتباره ديناً عالمياً طبق في الأرض لأكثر من ١٤٠٠ عام، ولن ولم تقم فيه هيئات كهنوتية تملك تغيير معالمه وحقائقه، وإنما ظلت المرجعية الدائمة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفهم العلماء المشهود لهم بالتقوى والصلاح.

ويضيف د. سعيد: إذا كان الغرض من الحوار هو فهم الآخر وأن يفهمونا فهذا أمر طيب، وطالما أوصلنا ذلك إلى التعايش في سلام وإنصاف بين الطرفين، وذلك رغم حكم الإسلام بزييف وخطأ ما عليه أهل الكتاب في العقائد .. رغم ذلك جعل الإسلام لأهل الكتاب منزلة خاصة في التعامل والتعايش ، بل قال الله تعالى في أحد المواضع : " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " ، فلم يأمر بالجدل بالحسنى فقط وإنما بالتي هي أحسن إلا مع الظالمين منهم والذين خرجوا عن كل حدود الفعل والفكر.

أيضاً لم يظفر أهل الكتاب في تاريخهم - والحديث ما يزال للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد- بمعاملة حسنة إلا في ظل الدولة الإسلامية في مختلف أقطابها، وخاصة أعداء الله اليهود، والتاريخ يشهد بذلك.. لكن هذا الآخر ينظر إلى المسلمين وعلى مر التاريخ نظرة ترصد، وحدثت انتهاكات كثيرة للمسلمين في الدول التي عاشوا فيها كأقليات، والتاريخ القريب يؤكد ذلك في البوسنة والهرسك، وروسيا والهند وغيرها من الدول.

ويؤكد د. سعيد أن الأمة الإسلامية صاحبة رسالة، ولا بد أن يسبقوا الجميع إلى الحوار، ولكن مع الحيطة الشديدة حتى لا تقع في شرك الخديعة، والتي تهدف إلى جر المسلمين إلى التخلي عن ثوابت دينهم وتقبل جزء أو أجزاء من أباطيل غيرهم (الآخر)، فيفقد المسلمون حينئذ تميزهم وتفردهم بالحق في الأرض، وهذا التفرد ليس امتيازاً شخصياً للمسلمين، وإنما هو الوحي الإلهي الصحيح الذي قام عليه الدليل والبرهان لأكثر من ١٤٠٠ عام، ولذلك يجب الحذر بشدة.

ويؤكد د. سعيد مرة أخرى على ضرورة أن تكون مواجهة الآخر أو الحوار معه عائداً إلى أمرين مهمين هما:

أولاً: المرجعيات الدينية الصحيحة

ثانياً: نوعية الأشخاص المكلفين بالدخول مع الآخر في جدال أو نقاش، حيث يجب أن يكونوا مشهوداً لهم بالصلاح والتقوى أولاً والاعتزاز بالإسلام ثانياً، فضلاً عن الكفاءة.

الحوار حول أسس الإسلام

أما الدكتور عبد العظيم المطعني الأستاذ بجامعة الأزهر فيقول: إن الحوار مع الآخر أو مواجهته .. الحكم حيالها يجب أن يضع في اعتباره التجربة التي مر بها هذا الحوار، وهي تجربة لم تحقق أي نجاح، وهو حركة لكنها تقف في مكائها، وكان هذا شيئاً منتظراً.

والسبب في فشل الحوار بين الأديان لا يرجع إلى المسلمين، فالإسلام هياً أتباعه مبدئياً للمشاركة في الحوار، وقد دعا إليها القرآن منذ ١٤٠٠ عام عندما قال تعالى: " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله وألا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " ، فهذا هو أساس الحوار من جانبنا كمسلمين، وما يترتب على ذلك أن الإسلام يتيح حرية الاعتقاد بألا يجبر أحداً أن يعتنقه بقوة السلاح، كما يدعو إلى مسالمة جميع من يختلف معنا في العقيدة، وأن نودهم ونبرهم ونحسن إليهم إلا إذا قاتلونا في الدين وأخرجونا من ديارنا أو ساعدوا عدواً علينا، ففي هذه الحالة لا بد من المعاملة بالمثل.

ويضيف د. المطعني أن الإسلام جوز كل ألوان التعامل مع الآخر مثل حله لطعام أهل الكتاب والمصاهرة منهم، ولا يطلب من الإسلام أكثر من ذلك، ومهما عقدوا من لقاءات أو ندوات وطرحوا من أفكار من خلال الحوار أو المواجهة فليس عندنا كمسلمين أكثر من هذا، وعليهم أن يعاملونا بالمثل، فيعترفوا بديننا وبرسولنا وبقراءتنا كما نعترف نحن بهم، أما وهم يرفضون كل هذا فلا أمل من الحوار معهم لأنهم يريدون التحوار في أسس الإسلام والتفاوض عليها بدافع عزلنا عن الإسلام، والإسلام فوق هذه التوهّمات.

محقق ومتهم

ويقول الأستاذ الدكتور محمد يحيى أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة والكاتب الإسلامي المعروف باهتمامه بشأن الحوار مع الآخر: ما يحدث الآن ليس إلا جلسات تعقد بين أشخاص يفترض أنهم يمثلون الأديان - إما الكنيسة وإما الإسلام- ونحن معنيون بمن يقومون بمواجهة الآخر أو التحوار معه، حيث نؤكد أن هؤلاء الأشخاص في الغالب الأعم أشخاص معنيون من جهات رسمية، وليست لديهم الحماسة الكافية في الحوار أو النقاش أو مواجهة الآخر، وهذا يحدث مع إمكانية وجود أشخاص من الكنيسة مثلاً، لكنهم لا يتمتعون بالاستقلالية التامة عن أية جهات رسمية، وإنما يمثلون مراكز أنشئت في الغرب لهذا الغرض تتمتع بكثير من الخبرة والكفاءة.

ويضيف د. يحيى أن الواقع يؤكد أن تجارب المواجهة مع الآخر والحوار معه تجربة مليئة بالسلبيات؛ لأنها على سبيل المثال سعت من جانب ممثلي الإسلام إلى الاعتراف بالكنيسة الغربية دون أن يكون هناك اعتراف منها بالإسلام، كما أنها تحولت إلى جلسات توجيه اتهامات إلى الإسلام ودفاع من مثليه، وأصبحنا أمام جلسة تحقيق ومتهم وهم!!

والأخطر في الأمر أن المتهم "وهو الإسلام" يتم الدفاع عنه بنوع من الاعتذار ووعد بالإصلاح في المستقبل، وهذا طبعاً ليس حواراً وليست مواجهة.

الحوار مع النفس أولاً

الدكتورة نادية مصطفى أستاذ العلاقات الدولية بجامعة القاهرة ورئيس مركز الحضارة للدراسات السياسية تنظر للقضية بشكل علمي، وتقول: في موضوع مواجهة الآخر أو حتى التحوار معه، لا ينبغي التركيز على الأدوات والقنوات والوسائل المطلوب التحوار بها مع الآخر فقط، ولكن على مضمون الخطاب الذي يجب أن تحمله وضوابط الإعداد لهذا الخطاب، وهذا الأخير محكوم بدوره بأزمئتنا الفكرية والسياسية والاقتصادية.

وتضيف: إن تداعيات أحداث سبتمبر ٢٠٠١ بالنسبة لوضع الإسلام والمسلمين تعلن عن تدشين الهيمنة الحضارية علينا والإقصاء الحضاري لنا، وهنا يجب علينا:

١. أن نواجه هذه المرحلة باستراتيجية جديدة لا تقوم فقط على الدفاع عن الإسلام والمسلمين والاعتذار عنه كما حدث في المبادرات والحوارات السابقة مع الغرب، ولكن بالانتقال إلى



المهجوم وعدم التعامل كمتهمين، ويتطلب هذا أن يتضمن خطابنا المطالبة بإثبات الفاعل في أحداث ١١ سبتمبر وتوجيه الاتهام إلى بدائل أخرى - غير تنظيم القاعدة- مثل اليمين الغربي أو الموساد، وبتعبير آخر يجب ألا نسلك طريقاً حددته الولايات المتحدة للمتتهم وللفاعل والتي يحصد المسلمون ثمارها الآن.

٢. ثانياً أن ندفع عن أنفسنا كعرب ومسلمين تهمة أننا لا نقبل الآخر، لأن الصراع ليس مع الذات فقط لنقبل الآخر - داخلياً وخارجياً - ولكن الصراع في مواجهة الآخر ليكف عن رفضنا من ناحية، ولنعرف ما هي حدود وضوابط قبول الآخر أو رفضه.

أمر آخر في غاية الأهمية، وهو تحديد مفهوم الإرهاب والجهاد الإسلامي وبيان ضوابطه للحيلولة دون تحوله إلى إرهاب بالمعنى الشائع، وبيان متى يكون استخدام القوة جهاداً ومتى يكون عنفاً.

وتقول د. نادية: إن الوجه الآخر للعملة هو أن نتجه نحو الذات، فنحن لسنا مطالبين بالمهجوم على النظام الدولي فقط لإفرازه الإرهاب، ولكن على النظم الداخلية التي أفرزت أيضاً الإرهاب، إن صح التعبير، ويجب أن نتفهم مسؤولية التغيير في سياساتنا ومجتمعاتنا التي انقطعت تدريجياً عن المرجعية الإسلامية، بحيث إذا ظهر من يريد العودة لهذه المرجعية والاجتهاد انطلاقاً منها حول المجتمع والسياسة، أو من يرفض المظاهر السلبية لتأثير القيم والسلوكيات الغربية على مجتمعاتنا لا يصبح بين عشية وضحاها متطرفاً، أو يتحول في نظر المجتمع إلى إرهابي.

كما يجب - كما تقول الدكتورة نادية- التمييز بين مشروعية الشعور بالذات والخصوصية وبين مشروعية رفض الآخر، وليس لأنه (آخر) ولكن لأنه يريد استيعابي وإقصاء خصوصيتي.

## ٧١- رؤية مستقبلية للدعوة النسائية

الناظر إلى الأحداث التي تعصف بالأمة بعين البصيرة المتأملة وقلب المشفق النصوح يدرك تماماً الأهمية الكبرى للإصلاح والتقويم الذي يركز على هدى من الله تقوم أسسه على اتخاذ الدعوة إلى الله منهجاً ووسيلة نحو غاية التغيير إلى الأفضل والراقي نحو المعالي وتعبيد الناس لربهم تبارك وتعالى.

وفي صفوف النساء، يتهيج القلبُ بجهودٍ رائعةٍ في الدعوة إلى الله تزخر بها الساحات، فمن أنشطة في المؤسسات التعليمية، إلى إطلالة متميزة في عالم القلم والصحافة، إلى جهود محتسبة في تعليم القرآن، ومحاضرات ودروس تشهد إقبالاً كبيراً، وملتقيات قوية تقوم بها مؤسسات دعوية رائدة.

وأولو النظرة المترنة يلتفتون إلى الماضي متعظين، ويعيشون الحاضر قانعين، ويستشرفون المستقبل متفائلين، بتصحيح الأخطاء السابقة، وتطوير الأعمال الحالية، وتصحيح كل زلل والزيادة من كل خير، فكانت هذه النظرة الاستشرافية لمستقبل ذي تأثير قوي، وإصلاح أعمق، وجهودٍ أوسع، مرتكزة على علمٍ وافر وعملٍ دؤوب، واعتباراً بسنن الله في الكون كما يقول الله تعالى: {قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وهذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين}.

فإن دراسات المستقبل وما تقدمه من رؤية ثاقبة ذات أبعاد مبنية على أسس وأوليات تعطي نتائج متوقعة إلى حد كبير يعتمد على الدقة والواقعية في تحديد الأهداف ورسم الاستراتيجيات والاستفادة من معطيات الحاضر بأقصى درجة لقيادة المستقبل ويمنحنا هذا الاستشراف القدرة على المقارنة الواعية بين النتائج التي تنجم عن اختيارنا وبين التي تتم ونجد أنفسنا فيها دون استعداد يذكر.

والمستقبل لا يمكن القفز إليه، بل لا بد من اتخاذ الحيلة والاستعداد له منطلقين من رؤية علمية استوعبت تجارب الآخرين، وانطلقت من ثوابت ورؤى تكفل الاطمئنان إلى نجاحها وسداد وجهتها.

ومن أهم ما تقدمه دراسات استشراف المستقبل هو التعرف على إمكانات الصف الإسلامي في ظل الظروف الحالية وما يمكن أن نحافظ عليه منها وما يمكن أن نتنازل عنه، كما يجب أن نعيش الواقع بكل زواياه ونتعرف على خطط المواجهة، ونعد لذلك خططاً للتطور مستفيدين من كل المكتسبات والقوى الداخلية والخارجية، مع عدم إغفال حال الطوارئ، وما يواجهه المستقبل الدعوي من تحديات، وما يفرضه ذلك من تدريب وإعداد من شأنه أن يقلل الخسائر، ويفتح أعيننا على أهمية تنويع مواردنا المالية وأنشطتنا الدعوية، وتكثيف الاستثمار في التربية الإبداعية لأجيالنا القادمة.



وتتجه هذه الاستراتيجية إلى تأصيل هذا الوعي الاستشراقي ليقوم على نهج علمي، وتنميته لينتقل من دائرة المعرفة إلى دائرة الفعل الذي يقود تخطيطنا وأولويات مشاريعنا وسلوكنا واختياراتنا، فهو أساسي في المنهجية التي لا بد أن يربى عليها الأجيال القادمة.

ويتوجه العمل في المجال النسوي إلى:

— الاهتمام بنظم المعلومات المتقدمة وخدماتها التي تتيح التواصل الفعال.

— أن تتضمن لقاءاتنا تعميق الوعي بحدود إمكانياتنا وقدراتنا ومستقبل أمتنا، ليس في حدود البلد الواحد وإنما على مستوى العالم.

— التنسيق مع المؤسسات المعنية بالدعوة والإعلامية والثقافية والاجتماعية لتنمية التعاون المستقبلي والإفادة من كل الطاقات.

— العناية بالدراسات المستقبلية، ودراسات خطط التغيير التي يتزعمها الغرب سعياً لإضعاف التمسك بالقيم الإسلامية كاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، والشرق الوسط الكبير وعولمة الثقافة الغربية ودراسة وسائل التنفيذ المزمع العمل بها لتكوين حصانة قوية لدى الجيل.

— ضرورة المبادرة لاقتراح لتغيير المجتمع الغربي ودعوة إلى الإسلام بإعطاء النموذج الإسلامي الذي تقبله النفوس وتسعد به البشرية.

واقع الدعوة النسائية وميادين العمل:

المتأمل للدعوة النسائية يجدها في بداياتها، إلا أنها قفزت قفزات كبيرة، ففي الحين الذي سبقتها الحركات النسوية الليبرالية من قوى عظمى لا تحطو تلك الحركات خطوها المؤمل منها في كثير من البلاد الإسلامية! تقول ليلى الأطرش: وبمنتهى الصدق نقول إن استراتيجيات المرأة للوصول إلى البرلمان بالمنافسة أثبتت فشلها، ولم تؤد إلى نتيجة فاعلة رغم كل ما بذل من جهد ورغبة حقيقية منذ مؤتمر بكين وحتى اليوم.. (عن صحيفة الدستور الأردنية ٢٣/٦/٢٠٠٣م). بينما المتابع للمناشط الدعوية يجد الإقبال الكبير عليها رغم ضعفها من حيث التنظيم والتنظير مع ضعف الحصيلة العلمية والقدرة الخطابية مما يؤكد الرغبة والمتابعة الشغوفة للخطاب الإسلامي.



ولعلي أعرض في هذه الورقة وباختصار جوانب من واقع العمل الدعوي في الأوساط النسائية، مع استشراف ما يمكن القيام به في المستقبل.

المدارس النظامية والجامعات:

انطلقت الدعوة النسائية من الجامعات والكليات حيث كانت تتأسس الصحوة في المصليات وقاعات الدرس، وأثمرت بعد بضع سنين كوادر متحمسة استطاعت أن تبني فكراً وتوجد تياراً قوياً واعياً فاعلاً على قدر من التدن، بالرغم من المؤثرات الإعلامية الفضائية والصحفية. وهي بهذا تعتبر أحد أهم المجالات الدعوية يجتمع فيها ما يزيد على المليون فتاة من شتى أنحاء البلاد، من فئة عمرية مهمة وحيوية، فلا نحتاج إلى تكلف في الوصول إليها، إنما نحتاج الخطاب وقوة التأثير وتعدد الوسائل، وتفهم للحاجات النفسية والعاطفية والاجتماعية!

يقترح لمستقبل هذا المجال ما يلي:

— الاهتمام بالأنشطة الثقافية في الكليات بصورة مؤسسية.

الحرص على بناء المدارس والكليات النموذجية التي توفر التعليم الحديث، مع الحرص على وضع البرامج التربوية المركزة المحددة الأهداف المتنوعة الوسائل، ويمكن الاستفادة من سهولة الحصول على التراخيص والعائد المادي منها لإقناع التجار الطبيعيين بالمساهمة الفاعلة فيها.

— الاهتمام بالبرامج العامة واستغلال المناسبات، كاليوم المفتوح والمعارض، والقيام بجهود دعوية إبداعية تهتم بأماكن تجمع الطالبات، ولا تقتصر الأنشطة داخل جدران المصلى كما هو الحال، بل إن الخروج للأماكن العامة للطالبات يشكل مفاجأة وإثارة تجذب نفوس الفتيات.

— التركيز في المستقبل على المناظرات والحوارات المفتوحة مع أولي العلم والبصيرة والمرين، والصبر على الآخر، فللمناظرات كانت وما زالت وسيلة قوية لدحض الشبه وإنارة البراهين، إلى جانب ما لها من قرب عاطفي من المخالف وسماع لرأيه، فكم سيكون التأثير قوياً لو تم الإعلان — مثلاً — عن مناظرة للحديث عن خطر الفضائيات أو العلاقات العاطفية غير الشرعية، أو غير ذلك من الموضوعات التي لا أدري لم أصبحنا نغفل علاجها أو نتناولها برتابة ونمطية جامدة؟!!

## وصايا للدعاة

— العناية القوية بتأهيل المعلمات والمديرات، وخصوصاً القائمات على الجهود الدعوية في المدارس والكليات، واحتضان أصحاب المواهب والقدرات الفنية، وذلك من خلال توجيه إداري واع، واستقطاب لأولي الخبرة في الإرشاد والشورى، وإقامة دورات وتبادل التجارب بين المحاضن للاستفادة من النجاحات وتصحيح الأخطاء ومواطن الضعف.

— الالتفات إلى وسائل التأثير مباشرة، كالوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر العلم الشرعي، خصوصاً في أبواب العقيدة والفقه، فالتوازن مطلوب بين إشغال أوقات الفتيات بالنافع من الوسائل غير المباشرة، وبين إصلاح الذات وتربية النفس بالوعظ والتذكير والعلم الشرعي، كما لا ينبغي أن يعمت الواقع في أنفسنا الاهتمام بالقضايا الكبيرة، كالحجاب وتحرير المرأة، بل علينا بذل الجهد في التخطيط والتنسيق لأعمال دعوية مؤثرة فيها.

مدارس تحفيظ القرآن الكريم:

انتشرت مدارس التحفيظ وتوجه النساء إلى حفظ كتاب الله وتعلم أحكامه، فمثلاً في مدينة الرياض يدرس أكثر من ٤٥٠٠٠ طالبة في ٣٠٠ مدرسة في حين لم يتجاوز عدد المدارس خمسا فقط قبل عشرين عاماً، ومع أن هذه المدارس لا يتجاوز دوامها الساعتين إلا أنها بالغة الأثر؛ لأن أغلب الدارسات أقبلن برغبة وإخلاص. فإذا التفت أهل العلم والدعوة لهذه المدارس فإنها ستثمر (بإذن الله) كوادر ذات علم وأثر في المجتمع.

ولضمان مستقبل أكثر إشراقاً، خصوصاً في ظل توقع أن يتم تحجيمها، فأقترح التالي:

— التفكير في احتمالات تقليص عددها وتحجيم دورها، ووضع الاستراتيجية المناسبة، وذلك من خلال بناء مؤسسات اجتماعية تعني بتعليم كتاب الله.

— انتقاء عدد من المتميزات من الطالبات، وإعطاؤهن دروساً خاصة في المهارات التي تحتاج لها الداعية كفن الإلقاء، وطرق إعداد البحوث، وكيفية التأثير في الآخرين، وفقه السيرة... إلخ؛ ليكن نواة ينفع الله بهم في أماكن دراستهن النظامية أو أماكن عملهن في المستقبل.

— تدريب الطالبات بعد إعدادهن في مجاميع أقل سناً أو خبرة أو علماً. وهذا يتطلب تشجيع لقاءات خاصة بالمراهقات وغير ذلك.

## الصحافة والإعلام:

أثبتت المرأة الداعية إلى حد ما قدرتها على النجاح في العمل الصحفي الموجه واتباع أصوله، والحرص على السبق الصحفي، والإثارة الإعلامية، وجذب الجمهور، وأساليب ذلك.

تحتاج المرأة في الصحافة إلى توجيه قوي من أصحاب الخبرة والتعليم الأكاديمي العالي في مجال الإعلام، لمعرفة أسباب الضعف وطرق التطوير، خاصة مع كثرة المتطوعات وهوايات العمل في هذا المجال، ويقترح عمل دورات تأهيلية للمنسوبات، والتركيز على الحديث عن هموم واقعية يومية للمجتمع، بعيداً عن مثاليات ضخمة أو غير ذات جدوى، إضافة إلى التفاعل مع الأحداث والمناسبات، وإبراز الجهود الدعوية في كل مكان، تبشيراً ونشراً لأخبار الخير.

تجدر الإشارة إلى وجود انتعاش في الحركة الدعوية النسائية، حيث برزت مجالات ناجحة أسهمت في بناء الكوادر الدعوية كالأُسرة المتميزة وأُسرتنا وحياة، وغيرها، لكن ما تزال بحاجة ماسة لدخول المرأة الداعية الصحفية في الصحافة اليومية التي تدخل كل بيت وعمل، للصدع بالآراء النيرة التي تمثل لسان الغالب من نساء مجتمعنا المحافظ. ونحتاج في المستقبل إلى تكثيف المشاركة الإعلامية في مختلف الوسائل الإعلامية، ولا بد من أجل الوصول لذلك إلى وجود مراكز تدريب صحفية تشرف عليها الأخوات الإعلاميات المتميزات، يكون هدفها توجيه مجموعة من النابهات المتميزات في طرحهن الفكري، وإمدادهن بالأدوات اللازمة في مجال التواصل الإعلامي، ويمكن كذلك التفكير في تحويل بعض المجالات النسائية إلى أسوعية وإصدار صحف يومية تعني بالشأن النسائي. كما يمكن التفكير في إنشاء قنوات فضائية موجهة للمرأة، تقوم النساء على إعداد برامجها كاملة ويقوم الرجال بتقديمها. كما أن من الأفكار: إنشاء مكتب صحفي يرفع إنتاج المربيات ويتولى تنسيق وصوله إلى معظم وسائل الإعلام.

## المؤسسات الخيرية الإغاثية:

لم تكن المؤسسات الإغاثية في السابق متوجهة لخطاب المجتمع النسائي بهذا الحجم الذي نراه اليوم، ولم يعد سراً أن مؤسسات كثيرة نجحت من خلال السماح بإقامة أنشطة نسائية فأصبحت محاضن قوية التأثير كبيرة الجهود رغم الخبرة القصيرة. ولا بد من التأكيد على وحدة

## وصايا للدعاة

الهدف والتآخي والترابط، فَيَد الله مع الجماعة، وأن تسلّم من "الغيرة" و "الاستئثار" و "التنافس غير الشريف"، وهذه نقطة مهمة ينبغي مراجعتها في كل آن!!

يقترح لهذا المجال:

— إقامة اتحاد نسائي يجمع العاملات في الجمعيات الخيرية الطيبة في كل أنحاء المملكة، وذلك يتطلب التدريب على العمل الإداري وغيره من المهارات اللازمة لإقامة التجمعات الشعبية.

— التواصل مع الجمعيات النسائية الإسلامية العالمية وإقامة مؤتمرات مشتركة ولقاءات، وغير ذلك.

— تولي شؤون الدعوة إلى الله بين النساء بشكل عام، ربطاً بين المؤسسات؛ لتبادل الخبرات والتجارب وتلافي مواطن الضعف.

— حرص القائمات عليها على النفوذ وصناعة القرار في مسيرة المرأة بشكل عام، كإصدار البيانات والشفاعة.

— عمل خطط واضحة واقعية للطوارئ من قبل هذه المؤسسات بشأن قضية المرأة، والتفكير في منابر أخرى في حال تعرضت هذه المؤسسات للإغلاق، وهذا أمر متوقع.

— العناية بتأهيل الداعيات المحاضرات، واحتضان المواهب وتربيتها لمستقبل يشوبه الغموض والتوجس، خاصة في قضية المرأة، وصناعة الفتيات لغد يكن فيه منارات هدى ساطعة وجبال مقاومة راسخة!

— تشجيع العمل التطوعي لكثير من الفتيات والنساء - ولو عن بعد - ونشر مفهوم العمل التطوعي؛ ليكون رافداً، فليس ممكناً أن تصل هذه المؤسسات إلى كل مكان لخريجات الجامعات من المتفوقات في الدراسات الشرعية، استفادة من خيرهن وحماهن لمستقبل دعوي أفضل.

— إلقاء أضياء إعلامية عبر الصحافة اليومية على جهودها، فمن المؤسف أن هذه الأعمال الضخمة الرائعة لا تحظى بتغطية إعلامية.

— ضرورة ارتباط العمل الإغاثي بالدعوة؛ لتحقيق الهدف الذي من أجله أنشئت المؤسسات الخيرية.

— العناية بالدعوة في أوساط المرأة الريفية.

المؤتمرات والمحاضرات:

تطور الحس النسائي فأصبحت المرأة تنظم اللقاءات الدعوية، وقد فاجأ الإقبال على هذه المنتديات الجميع، فكان عدد الحضور من النساء يفوق المتوقع..

وهذا مجال آخر مبشر بقوة الحركة الدعوية بين النساء. يقترح لتطوير هذا المجال:

— اشتراط القوة العلمية والخطابية والمعرفة الواقعية للداعية، وتطوير ذلك.

— الاهتمام بالفئات العمرية والشريحة الاجتماعية المقبلة على المحاضرة، والتي غالباً ما تكون من كبريات السن أو ربوات البيوت، ومن أهل الخير عموماً.

— الحرص على رسم خطوات علمية توجه النفس للتغيير، فلا يكفي الحديث العاطفي المجرد عن القضية، بل لا بد من تخطيط عملي تضيء خطواته الداعية للحاضرات.

— رفع مستوى العلمي للحاضرات، بالاهتمام بأمور العقديّة بأدلتها، والأحكام الفقهية، وأعمال القلوب.

— إنشاء مؤسسة نسائية لترتيب المؤتمرات واللقاءات إذ إن من الملاحظ أن الترتيبات تستهلك جهوداً كبيرة.

— تنشيط إقامة هذه المؤتمرات في كل المناطق حيث تنحصر في مدينتين أو ثلاث.

— استضافة متحدثات من الخارج؛ تحقيقاً لعالمية الرسالة وإشعاراً للترابط القائم على العقديّة بين المسلمات، وكذلك الاستفادة من الخبرات.

— تنويع الموضوعات بحيث تتفاعل مع الأحداث، والبعد عن التكرار، مع ضرورة التواصل الشرعي.

التأليف العلمي:

بالنظر إلى دخول المرأة في مجال الدراسات العليا في المجال الشرعي والدعوي أستطيع أن أقول: إن المرأة حققت تطوراً في هذا المجال، إلا أنه ما يزال حبيس الأرفف.. ورهن الدرجات العلمية.. لذا فأقترح على المعتنين بالشأن الدعوي تكوين لجنة لفرز الرسائل العلمية ومكاتبة الباحثين لنشرها والاستفادة من الباحثات في المجال نفسه، وأقترح تكوين هيئة أو مؤسسة أو تجمع للباحثات بحيث يكون رابطة لهن يستفدن، بعضهن من بعض، ويعين بعضهن بعضاً على اختيار الموضوعات، وغير ذلك. وأقترح كذلك إنشاء دار نشر نسائية تهتم بالتأليف للمرأة والتنظير لها، ويمكن أن تكون نواة لمركز دراسات وبحوث نسائية.

الحلق الخاصة واللقاءات الاجتماعية:

مع ظهور الميل إلى التجمعات الأسرية ووجود الداعيات من النساء بدأت الدعوة تنتشر في أوساط عامة النساء عن طريق توجيه محاضرات ومسابقات ثقافية لا تخلو من فائدة علمية. إضافة إلى الحلق التي تعقدها بعض المتميزات ذات الظروف الخاصة. فأقترح تكوين ملتقيات أو ما يسمى "صوالين" للتربية والتعليم لدى عدد من المتميزات علمياً وأديباً، مع ضرورة التنوع؛ فلا يكون التركيز على الناحية الشرعية.. فقط بل يوجه إلى إعداد الشاعرة والكاتبة والأديبة.

الجاليات:

توجه عدد من الداعيات إلى الجاليات غير العربية بالدعوة، فوجهن الخطاب الدعوي بلغات مختلفة لشريحة عريضة من المجتمع، مما أثمر وعياً لدى عدد من النساء، ولكن لا يزال دون المستوى المطلوب، وحبذا لو عملت دراسة تبين أثر العناية بهذا النوع من الدعوة في هذا الوسط، سواء في أوساطهن التي تعيش بيننا أو في بلادهم بعد رجوعهم لها.

المصدر: لها أون لاين (د. رقية بنت محمد المحارب)

## ٧٢- الفكر الاستشراقي.. وأثره على الدعوة

مما لا شك فيه أن الاستشراق منذ نشأته في أوروبا القرون الوسطى، قد عمل جاهداً على مقاومة الدعوة الإسلامية وهدم قيم الإسلام وأسس الفكرية وذلك عن طريق تشويه صورة

الإسلام بمفتريات وأكاذيب تمجها الآذان وتتقزز منها المشاعر، وكانت معظم هذه المفتريات ينصب بالدرجة الأولى على شخصية نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بسبب يقين المستشرقين بأنه صلى الله عليه وسلم يمثل الأساس في الرسالة الإسلامية، إذ إنه هو الذي بلغ الإسلام عن الله، وامتنله في نفسه وكونَ أمة عظيمة على عاتقه. فإذا استطاعوا إلقاء أغشية على شخصيته فإن ذلك سيكفل لهم عدم انتشار رسالته ثم إدخال كثير من الريب والشكوك في قلوب الذين اتبعوه وآمنوه به.

ومن ثمَّ قالوا عن نبي الإسلام الطاهر، الصادق الأمين، بأنه كان رديء الولادة والسمعة وأنه عاش بربرياً بين برابرة، وثنياً بين وثنيين، وأنه تعلم ما نشره من الدين من راهب فر إلى الجزيرة العربية واسمه "سيرجونز" الذي اعتقد محمد أنه الملك ((جبريل))، وأنه كان ذا شهوات جامحة، متعجرفاً في الحياة وأنه قبل الوفاة حاول أن يعمد نفسه ولكن الشياطين منعه من ذلك!! وعندما مات أكلته الخنازير التي تعتبر من الحيوانات القذرة.

بالإضافة إلى هذه الادعاءات الكاذبة التي افتراها مستشرقو القرون الوسطى على أعظم شخصية في التاريخ وأكثرها عفة وطهراً، اخترع المستشرقون مفتريات أخرى حاولوا أن يصموا بها أقدس جماعة بشرية في التاريخ كله، الصحابة الكرام وكذلك المسلمين بصورة عامة، فقد قالوا عن الصحابة بأنهم: (زمرة من منتهكي الحرمات المقدسة، وقطاع الطرق والسالين، والقتلة والصوص)، وقالوا عن المسلمين بصورة عامة بأن سبب إسلامهم:

١- إما أنهم خدعوا بالشیطان بسبب سذاجتهم .

٢- أو حذوا حذو أقربائهم ولو قاد ذلك إلى الخطأ.

٣- أو للحصول على المنافع المادية.

وقالوا عن المسلمين أيضاً بأنهم يعبدون محمداً في المساجد، وأنهم شعوب ينتمون أساساً إلى السيف.

أما عن الإسلام فقد قالوا عنه بأنه (مجموعة من العقائد المسيحية واليهودية والوثنية)، وأن العنف من مكوناته، وأنه لا يقبل الخلاف العقلائي، وأنه رمز للتعصب واللاإنسانية وأنه منبع المبالغات والانحرافات في أنظمة الفكر.

وقالوا عن القرآن الكريم بأنه غير منطقي وغير معزز بالمعجزات.

هذه بعض النماذج من الإفك الأثيم الذي أنتجه الفكر الاستشراقي وروجه في عرض العالم الغربي وطوله منذ العصور الوسطى. وإذا كان هذا الإفك الاستشراقي لم ينجح في طمس معالم الإسلام وزعزعة أركانه إلا أنه نجح إلى حد كبير في وقف أو على الأقل إبطاء انتشاره في العالم الغربي المسيحي على وجه الخصوص، إذ إن الإنسان الغربي كلما كانت تطرق إذنه لفظة الإسلام أو ما أسموه بـ (المحمدية) فإن تلك الصور البشعة والمرعبة كانت تتمثل أمام ناظره، فيفر من الإسلام فرار الظبي من الأسد، ولا شك أن كثيراً من هذه الصور لا تزال عالقة في العقل الأوروبي إلى اليوم مما يجعله ينظر إلى الإسلام بكثير من الشك والريب والتوجس.

انعطافة في الفكر الاستشراقي

وإذا كان استشراق القرون الوسطى قد مارس هذا النوع المخزي من الهجوم ضد الإسلام بهدف حماية المسيحيين من التأثير الإسلامي - بسبب ما كان يجسده في تلك الفترة من قوة تبشيرية عارمة - ثم محاولة جعل المسلمين يعتقدون الإسلام فإن الاستشراق في نهاية القرون الوسطى قد أخذ ينحو منحى آخر. فقد أصبح الأوروبيون أكثر تقدماً في مجال الفلسفة والطب والعلوم الأخرى بعد أن كان المسلمون أساتذتهم فيها، وبدا لهم أن تحويل المسلمين عن دينهم لكي يعتقدوا المسيحية بهذا الأسلوب العنيف شيء مستحيل.

من هنا أصبحت تلك الخطابات الاستشراقية العنيفة في طور الانحدار والأفول، لتتخذ مكائها ممارسات استشراقية أقل عنفاً وأكثر ذكاء، ولعل عصر النهضة قد قدم للاستشراق آليات جديدة لممارسة المماحكات الهجومية المخفية والمختبئة خلف الجهاز الأكاديمي الثقيل، فقد قدم عصر النهضة التقنيات الفيلولوجية التي تم بلورتها من أجل دراسة النصوص اللاتينية والإغريقية والعبرية، كما قدم أنواعاً أخرى من المناهج في مجال البحث والدراسة والتي من أهمها منهج البحث التاريخي الذي تبلورت صورته الغربية على حساب خروج الغرب كلياً من الدوغماتية الدينية (ولم يخرج منها فقط بعض الأفراد أو بعض التيارات وإنما مجمل الأوساط العلمية. بمن فيهم أعضاؤها المؤمنون أنفسهم) لقد انخرطوا جميعاً على طريق البحث الذي يجيد تدخل الله في التاريخ ومسيرة المجتمعات وآليات مسيرتها، فأصبحوا يدرسون النصوص والقصص المقدسة عن طريق استبعاد أية سببية غير السببية المرتكزة على القوانين المشتركة لحركية المجتمعات البشرية أي



أن دراسة الدين أصبحت تتم بعيداً عن فكرة الوحي، بل باعتبار أنه ظاهرة من الظواهر الاجتماعية التي تولدت بسبب عوامل اجتماعية وتاريخية.

### الاستشراق الحاضر

وإذا غضضنا الطرف عن الصورة الاستشراقية الماضية ونظرنا إلى أيامنا الحاضرة فإننا نرى فيها منحى استشراقياً آخر للنيل من الإسلام وهدم أسسه، فكما هو معروف أن الاهتمام بالإسلام قد زاد في الغرب بصورة منقطعة النظير بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ميلادي، فقد تكاثرت المقالات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية وحملت معظمها في طياتها الغش والخداع والأخطاء مما جعل المعلومات الخاطئة تنشر في كل مكان وكما يقول مكسيم رودنسون فإن (بجمل صورة عالم الإسلام قد شوهدت من خلال منظور مشوه إلى حد كبير) والسبب في ذلك، على حد اعتقاد "مكسيم رودنسون"، هو التقدم الهائل في مجال وسائل الإعلام الجماهيري الذي استثار شهية الكثيرين، لكي يكتبوا عن الإسلام والعالم الإسلامي على الرغم من أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء اكتساب الكفاءة العلمية التي تتطلب وقتاً طويلاً وتحضيراً حقيقياً، وقد أطلق عليهم "رودنسون" بأهم طفيليون (الذين يتطفلون على العلم تطفلاً ويحدثونك موضوع الإسلام والعرب إلخ ... وكأنهم عارفون).

وخلاصة القول أن الاستشراق سواء بصورته القديمة أو الذي ظهر بعد عصر النهضة أو ذلك الذي نعيشه اليوم عمل على تشويه الإسلام وهدم مرتكزات المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية بصورة لا هوادة فيها، وقد اشترك في هذا العمل جيش عرمرم من المستشرقين الذين لا يسعني أن استثني منهم إلا عدداً ضئيلاً، وحتى أولئك الذين أعدوا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث وألفاظ القرآن وأولئك الذين فهرسوا المخطوطات العربية وحققوا كثيراً منها وأظهروها إلى النور نكون مخطئين إذا اعتبرناهم ممن خدموا العلم وأنهم أرادوا خدمة الإسلام والمسلمين بنية خالصة، لا والله لم يكونوا ممن يحملون مثل هذه الروح الخيرة التي يطيب لكثير منا أن يتصورها فيهم، بل إنهم عكس ذلك كانوا يريدون من خلال ما قاموا به من أعمال الفهرسة وطباعة المخطوطات وغيرها هو تسهيل عملية تداول الكتب الشرقية وتيسير الاطلاع على محتوياتها حتى يتمكن الرجل الغربي أن يستوعب الشرق وينفذ إلى أعماقه بسهولة ويسر. هذا ما نتأكد منه من خلال ما قال "جون مول" عام ١٨٤١ ميلادي بأنه (مهما كررنا وأعدنا فإننا لا نكرر بما فيه

الكفاية أن طبع المخطوطات الشرقية الأهم هو الحاجة الأكبر والأكثر ضغطاً وإلحاحاً بالنسبة لدراساتنا، وبعد أن يكون العمل النقدي للعلماء قد مر على الأدبيات الشرقية، وبعد أن تكون الطباعة قد سهلت عملية تداول الكتب بعد ذلك فقط يمكن للعقل الأوروبي أن ينفذ فعلاً إلى أعماق الشرق) وكذلك من خلال ما قاله المستشرق المعاصر "مكسيم رودنسون" عن الفهارس البيلوغرافية والجداول الإحصائية، والقواميس وكتب النحو وغيرها، والتي تعب المستشرقون الأوائل في إعدادها، يقول عنها: (إنه لتدريب طويل وصعب ويستحق الإعجاب على كل حال، فنحن الذين نصرّف كل هذا الوقت والعناء لجمع المعلومات التفصيلية المتراكمة منذ مائة وخمسين عاماً، في كتب متوافرة على طاولتنا، لا يمكننا إلا أن نشعر بالإعجاب والإكبار أمام "سيلفستر دوساسي" الذي كان مضطراً للبحث عنها في مخطوطات المكتبة الوطنية التي علاها الغبار، فهذه الكتب من تلك المخطوطات ولولا جهود المستشرقين الأوائل لما توافرت لدينا جاهزة).

فالجهد الاستشراقي المختص بالعالم الإسلامي، إذن، في جملة إلا ما شد وندر، صرف ولا يزال يصرف، في سبيل مقاومة الدعوة الإسلامية وتحييد العالم الإسلامي من مواكبة تطورات العصر وبنائه.

وليس من شك في أن الاستشراق قد نجح في تحقيق بعض مستهدفاته على أصعدة مختلفة، فقد تمكن من جهة من إيقاف المد الإسلامي إلى الدول الغربية وذلك عن طريق ترويح تلك الصورة الشائبة عن الإسلام والتي اقتنع بها الإنسان الغربي مع مرور الأيام فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الإرث الفكري الذي ينقله كل جيل إلى الذي يليه دونما وعي مما نجم عنه أن الإسلام أصبح أكثر الأديان كرهاً في المحيط الغربي، ومن جهة أخرى تمكن الاستشراق من زعزعة ثقة كثير من المسلمين بموثوقية مصادر دينهم وبإخلاص نبيهم، وذلك عن طريق إثارة الشبهات والشكوك ومحاولة فهم النصوص المقدسة بوضعها في بعد بشري معزول عن أية علاقة بالوحي.

فالاستشراق، إذن، قد مثل ولا يزال يمثل، تحدياً صارخاً أمام الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية، ونحن أمام هذا التحدي لا يكفي فقط أن نبدي الغضب والاحتجاج، الأمر الذي يعيبه علينا المستشرقون، بل ينبغي علينا أن نأخذ الأمر مأخذ الجد ونرد الصاع بالصاعين.. وهو ما تجده في المقال التالي بعنوان (مناهضة الفكر الاستشراقي).

الدعوة إلى الله: "محمد شمس الحق"

### ٢٣- المال.. دور حيوي وأثر فعال في إحياء الدعوات

جاء في جريدة الشرق الأوسط عدد الاثنين ٢٠ ربيع الآخر ١٤٢٠ هـ ٢ أغسطس ١٩٩٩ م الصفحة الأولى في عنوان بالخط العريض أن "بيل غيتس" (إمبراطور الكمبيوتر) يعتزم التبرع بـ ١٠٠ مليار (مائة ألف مليون) دولار للأعمال الخيرية.

والسبب كما جاء في طيّات الخبر (أنه أصيب بصدمة قاسية من جراء المناظر المروعة التي شاهدها أثناء زيارة للهند وجنوب أفريقيا؛ فقرر أن يبذل الجهود للمساعدة في تخليص العالم من الأمراض الخطيرة والقاتلة مثل الإيدز والملاريا من خلال المؤسسة الخيرية التي يرعاها والتي تحمل اسمه، بحيث يحتل المرتبة الأولى في قائمة المانحين من الأفراد في العالم). انتهى الخبر.

إنما جئت بهذا الخبر وصدرت به كلامي لأشعل الغيرة في قلوب أهل الإيمان، ولا أقول في قلوب أهل الثروات والمال، والعظة واضحة حلية: ثروة تعادل احتياطي العملة الأجنبية الموجود في كل بنوك بلدة عربية أو يزيد، يتبرع بها صاحبها - الكافر - لمؤسسة خيرية باسمه، شفقة على مرضى الإيدز والملاريا، فكيف بنا ونحن مسلمون، والبذل في سبيل الدين واسع، ولو كان بالقليل من المال.

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خرج من ماله كله، والعظة فيه أقوم، ولكن الناس إذا سمعوا من يستخدم فئة المليار في التبرعات تعجبوا، وإذا كان كافرا زاد العجب، وإلا فإن خروج أبي بكر من ماله كله أوقع أثرا في القلب، وقد قال في ذلك الموقف لما سأله الرسول صلى الله عليه وسلم: (ماذا تركت لأهلك يا أبا بكر؟) قال: تركت لهم الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم .

ولعمري فإن هذا هو المال المبارك: ما أنفقه صاحبه في سبيل الله، ولو كان به خصاصة، لا يرجو من الناس جزاء ولا شكورا ولا رياء ولا سمعه ولا أن يكون هو صاحب المرتبة الأولى بين المانحين ولا أن تكون مؤسسته على رأس قائمة مؤسسات العالم الخيرية.. ولا .. ولا..، ولكن كما قال الله تعالى: {وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى}، ثم لا يتبع ما أنفق منا ولا أذى، أولئك {لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}.

إن استثمار المال في كل مجال دنيوي محفوف بمخاطر الإفلاس والسرقة وإتلاف الجوائح واختلاس الخونة وكساد السلع وإعراض المشتري ومنافسة السوق، أما التجارة واستثمار المال في الدعوة إلى الله ونصرة الدين فمن أضمن الاستثمارات، فأصحاب هذا المال {يرجون تجارة لن تبور} وأصحاب هذا الاستثمار هم الآمنون يوم الخوف الأكبر، ولنتعظ ببذل أبي بكر الصديق للدين، ولنتعز بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما نفعني مال قط إلا مال أبي بكر) قال أبو هريرة: فبكى أبو بكر، وقال: وهل نفعني الله إلا بك، وهل نفعني الله إلا بك، وهل نفعني الله إلا بك. رواه أحمد والترمذي وابن حبان وغيرهم.

والبذل الذاتي للدين سيظل هو المورد الأساسي الذي تنفق منه الدعوة، وقد تبتكر الدعوة أساليب (ستحدث عنها) في تحصيل المال الكافي للإنفاق على أوجه النشاط الدعوي المختلفة، وقد يكون لها أملاك خاصة تدر عليها أرباحا، ولكن العطاء الذي يمنحه الأفراد لدينهم يبقى هو الأصل والباقي كله فرع.

فالدعوة تحتاج أفرادا كأبي بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأضرابهم من أثرياء الصحابة ممن أوقفوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله، فلم يقدموا على البذل للدين زوجا ولا ولدا؛ وذلك لأن الأصل أن المسلمين ما وجدوا إلى ليكون الإسلام مصدر عزهم في هذه الدنيا، فهم يبذلون في سبيل رفعة ونصرته، ويعلمون أن أي مال ينفق في سبيل الدين فهو في سبيل إعزازهم هم. ومن هنا كثرت النصوص الآمرة بالإنفاق، الداعية إلى البذل، لأن الإنفاق في حد ذاته عبادة مقصودة لكل مسلم، قال تعالى: {والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم}.

ونحن لن نعول كثيرا على إنفاق الحكومات، وإن كان مهما في ذات الأمر، وذلك لما يصحبه من مداخلات ومعوقات تقلل من فائدته، وتحول بينه وبين الانتفاع المثمر.

أسس لتوفير المال

ومن أهم الأسس التي يجب أن تعول عليها الدعوة الإسلامية في توفير النفقة اللازمة للمشروعات الدعوية أساس المبادأة في تحصيل النفقة والتبرع، لا الانتظار لما يفيض به المحسنون على الدعوة من فضول أموالهم؛ فيجب أن يلتزم كل الدعاة والمنتظمون للصحة بمبلغ مالي معتبر يقدمونه للدعوة كمورد ثابت، كل حسب استطاعته، كما يجب أن يسعى الدعاة لدى المحسنين من ذوي

الكرم والمروءات والنجدة والديانة ليمدوا مشروعات الدعوة بما تحتاجه، ومن الأفضل أن تكون مشروعات الدعوة مدروسة ومنظمة ومعروضة على شكل بيان مكتوب، يمكن تقديمه للمحسنين ليقتنعوا بوجود مشروعات حقيقية تقوم بها الدعوة، والسيئ أن بعض الساعين في الأعمال الخيرية ضربوا مَثَلاً غير لائقة في جمع التبرعات حتى احتاط أهل الإحسان في أموالهم فلم يعد البذل كما كان في الماضي لتغير الزمان وكثرة المتسلقين واللصوص الذين اقتحموا الميدان، فإلى الله المشتكى.

#### إدارة وكفاءة

كما يجب أن تقوم الدعوة بدور فاعل في جمع زكاة المال من المسلمين، إذا تيسر دون مشكلات أو مضايقات، وكذلك حث الناس على أبواب الخير الأخرى، كالصدقات المطلقة والصدقة الجارية والوصية قبل الموت والوقف على أعمال البر وكفارات الأيمان والندور، ورعاية طلبة العلم وبناء المساجد وحفر الآبار ونحو ذلك من أوجه الإنفاق وأضعاف ذلك ولا ريب.

وإذا تصدرت الدعوة لمثل هذا النشاط فلا بد أن يكون لديها جهاز إداري ذو كفاءة وقدرة على عملية جمع النفقة وإدارتها وكيفية إنفاقها أو استثمارها على حسب الضوابط الشرعية التي أقرتها الشريعة؟؟؟

كما أنه من الأهمية بمكان أن يكون لهذا الجهاز الإداري لجنة شرعية تراقب تعاملاته، أو أن يستعين ذاك الجهاز بالعلماء ويستفتوهم في المسائل المتعلقة بعملهم.

إن المال المبارك الذي ينفقه أي مسلم على الدعوة جزء من الجهاد في سبيل الله، بل ركن عظيم منه، وجُلُّ الآيات التي تحدثت عن الجهاد في سبيل الله قرنت الإنفاق بالقتال... وليست العبرة بالكثرة، بل العبرة بفعل النفقة نفسها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (سبق درهم ألف درهم: رجل له درهماً أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها). رواه النسائي وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع.

ويغيب عن كثير من الدعاة والغيورين على الصحوة حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل). فما داوم الناس في إنفاقه على الدعوة - وإن قل - أكثر بركة وأعظم نفعاً من الكثير المنقطع، فالله عز وجل إذا أحب عملاً من ابن آدم باركه له وأعانه عليه

## وصايا للدعاة

كما قال تعالى: {إن رحمت الله قريب من المحسنين} وكما قال سبحانه: {وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد}، وكما قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال لي: أنفق أنفق عليك) رواه مسلم في الصحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يتزلان، فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا) رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله بغفو إلا عز أو ما تواضع أحد لله إلا رفعه) رواه مسلم أيضا.

## إياك والإحباط

وهذه القلة في المال والإمكانات ما ينبغي أن تفت من عضد الدعاة وتقنطهم من نصرة الله ومعونته، فالعقيدة الصامدة الشامخة مع بذل المستطاع يستجلب معونة الله على حسب موعوده سبحانه في قوله: {كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين} وقال عز وجل: {ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون}، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن المعونة تأتي من الله على قدر المؤونة، وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء).

ويمكننا أن نمثل بكرامات معاصرة لإمكانات قليلة تيسرت للدعاة واستطاعوا بها أن يفتحوا أبواب بلاد وقلوب عباد، ولكننا نمثل بنموذج واضح بين، وهو نموذج الصحوة الإسلامية في العالم كله، حيث تقل الإمكانات الدعوية أو تنعدم، بل وتحارب من كل قوى الاستكبار العالمي، ويطارد الدعاة ويشردون، وتحمل عليهم وسائل الإعلام بحملات تشويه مسعورة، إضافة إلى ما يعانيه صف الدعاة من فرقة وتشردم أيضا، ولكنهم يخرجون بعافية أكثر من ذي قبل ونصر أعلى من السابق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وما أحال ذلك إلا من بقية إخلاص وقليل من البذل المبارك وعدد من الدعوات الصادقة الخالصة، فكيف بنا نحن معاشر الدعاة لو تمحض صدقنا وإخلاصنا ولو تكاثفت سواعدنا في التعاون والنفقة والبذل لدين الله تبارك وتعالى.

## المجهود الفردي

وعلى صعيد المجهود الفردي، فالمال وسيلة مهمة لكل نشاط، ويستطيع كل داعية إلى الله بل كل غيور أن يكون صندوقاً للدعوة في كل منطقة ينادي الغيورين على الدين للبذل ولو بالقليل، وقد أخبرني بعض الدعاة أنه يلزم إخوانه ببذل قروش (بمعنى القروش الحقيقي) كل يوم، فتعاضم عنده من المال ما قام به بمشروعات كثيرة.

وإذا تعمس مثل هذا النظام فليجعلها كل داعية في خاصة نفسه، يُسرُّ إلى إخوانه بمشروعات الدعوة - ولو كانت صغيرة كعيادة مرضى أو تأليف قلب عاص بهدية ونحو ذلك - ويجمع منهم ما يستطيع به تنفيذ ذلك المشروع.

وما أخال الأمر عسيرا على أحد: أن يدخر الداعية من حر ماله هو ما ينفق به على الدعوة، ولا خير في داعية لا يحتوش من طعامه وشرابه ولباسه في سبيل دينه وأمته.

## ٧٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. من أدلة صدق التجارة مع الله<sup>(١)</sup>

من أهم دعائم منهج الإصلاح في الإسلام دعامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولسنا في حاجة إلى أن نبين معنى المعروف أو المنكر إذ إن من المعلوم أن المعروف هو: ما أمر به الشرع وحث عليه واستحب فعله وعرف ذلك من الكتاب والسنة، والمنكر: هو ما أنكر الشرع قوله أو فعله فحرمه ونهى عنه.

ولقد أولى الإسلام الاهتمام الأكبر بتلك الدعامة الإصلاحية ويتجلى لنا ذلك في:

أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان بالله مقومات خيرية هذه الأمة.

فقد بين الحق - تبارك وتعالى - أن أمتنا المسلمة هي خير أمة أخرجت للناس وبين سبحانه أن هذه الخيرية عائدة إلى أسباب ثلاثة يقول تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف

(١) د. حمدي شلبي

وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (١١٠) (آل عمران).

وقد صدرت الآية الكريمة بقوله تعالى: كنتم ولا يخفى أن الفعل كان هنا يدل على الاستمرارية والثبات والتوكيد ثم بين سبحانه مقتضيات هذه الخيرية ومقوماتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله وهنا نحب أن نلفت النظر إلى أمرين مهمين:

أولهما: أن الآية الكريمة ذكرت هذه المقومات الثلاثة بصيغة الفعل المضارع دون الماضي أو الأمر فكأنها تريد أن تقول إن هذه المقومات كائنة فعلاً في هذه الأمة ثابتة معها متجددة بتجدد الزمان.

ثانيهما: تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله تعالى وهذا يبرز أهميتهما وأهمهما من الإيمان بممثلة الدليل وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما السبيل لتحقيق الإيمان بالله ونشره، ومن ثم ربط النبي صلى الله عليه وسلم بين وجود الإيمان ووجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكل منها يستلزم الآخر وذلك فيما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه، وذلك أضعف الإيمان".

ففي هذا الحديث يأمر النبي صلى الله عليه وسلم كل مسلم ومسلمة إذا رأى منكراً أن يغيره ومن المهم هنا أن ننبه إلى سر التعبير بالفعل "يغيره" دون يدمره مثلاً إذ التغيير يتطلب هدماً وبناءً وربما استغرق وقتاً فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا التغيير باليد إذا كان ذلك المنكر في المكان الذي للإنسان عليه ولاية كأن يكون في بيته أو من بعض أبنائه فإن لم يكن كذلك طالب بتغييره بلسانه فإن عجز عن الكلام وقت المنكر أنكر بقلبه وزال عنه.

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما سبب الفلاح في الدنيا والآخرة قال تعالى: ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون \* ١٠٤ ) (آل عمران) فقد لخصت هذه الآية الكريمة كل أسباب الفلاح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات كل مؤمن ومؤمنة يدل على هذا قوله تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سي رحمهم الله إن الله عزيز حكيم ٧١ (التوبة)، فقد جعل الله تعالى من صفات المؤمنين والمؤمنات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك في مواجهة المنافقين والمنافقات الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ولا عجب فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الدين كله هو النصيحة، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة: قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم" (أخرجه مسلم)

كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه قال صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية" وهذا البلاغ لا يتعدى كونه أمراً معروفاً أو نهياً عن منكر، وبناءً على هذا قسم علماء الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى قسمين:

القسم الأول: واجب على كل مسلم ومسلمة على حسب ما يعلم وفي حدود إمكاناته وتكون فيما علم من الدين بالضرورة.

القسم الثاني: ويكون فيما دق من فروع الشريعة. وذلك النوع يقوم به الفقهاء المتخصصون والدعاة المؤهلون ويدخل تحته دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ورد شبههم. وفي هذا النوع يقول تعالى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ١٢٢ (التوبة).

رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أدلة صدق التجارة مع الله فقد أخبر تعالى عن المؤمنين الذين باعوا أنفسهم وأمواهم لله عز وجل بقوله: التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ١١٢ (التوبة).

أثر المنكر على المجتمع



بين النبي صلى الله عليه وسلم أن أثر المنكر على المجتمع أثر وبيل وأنه إذا لم يوجد من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر هلك المجتمع كله.

فقد سألت زينب بنت جحش رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "أهلك وفيما الصالحون" قال: "نعم، إذا كثرت الخبث" (أخرجه مسلم).

آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ويجب على الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يلتزموا آداب الإسلام:

١ - ضرورة الإخلاص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن يكون الأمر الناهي مبتغياً بعمله وجه الله لا زعامة ولا رئاسة ولا شهرة.

٢ - أن يكون قدوة لغيره فلا ينهى عن المنكر ويفعله، وقد حذر الإسلام من ذلك كل التحذير.

٣ - أن يختار الوقت والمكان والكلام المناسب ولذلك قدم الله الحكمة في مجال الدعوة فقال تعالى: ادع إلى "سبيل ربك بالحكمة (النحل: ١٢٥).

٤ - أن يلتزم بالقول اللين وبشاشة الوجه عندما يأمر أو ينهى، وقد قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام عندما أمرهما بالذهاب إلى فرعون: فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى" (٤٤ طه).

وقد عاتب الله إمام الدعوة صلى الله عليه وسلم لعبوسه في وجه أعمى لم ير عبوسه. وأدلة ذلك مبسطة في الكتاب والسنة.

ألا ما أحوج الأمة إلى أن تصلح نفسها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تنهض برسالتها التي خلقت لها فهي المبصر الوحيد في عالم من العميان، وهي المصباح الوحيد في عالم مظلم.

<http://www.almujtamaamag.com>

## ٧٥- وسائل ومميزات في الدعوة الفردية ١ - ٤<sup>(١)</sup>

(١) الدكتور عبدالرحمن بن عايد العايد

أولاً: أهمية الدعوة:

يبين أهمية الدعوة أن الشارع أمر بها ومدح من اتصف بها وحذر من تركها فقال الله - سبحانه وتعالى - أمراً بها ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير)).

وقال لرسوله - صلى الله عليه وسلم - : ((وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ)).

وقال أيضاً: ((وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)).

وقال: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)).

وقال - سبحانه - مادحا من اتصف بها: ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)).

وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعلي بن أبي طالب ((فو الله لإن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)) رواه البخاري.

وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه مسلم: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أحور من تبعهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)).

وقال - صلى الله عليه وسلم - محذراً من ترك الدعوة عموماً قال: ((من كتم علماً أجمه الله يوم القيامة بلجام من النار)). الحديث رواه ابن حبان والحاكم وقال صحيح لا غبار عليه وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

أيضاً بين أهمية الدعوة ما تتعرض له الأمة من هجمات شرسة من أعدائها بقصد تضليلها وتجهيلها وحرفها عن دينها فالدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - مواجهة لتلك الهجمات وأبطالها أو على الأقل التقليل من تأثيرها.

ثانياً: جوانب الدعوة:

للدعوة جوانب مختلفة فمنها دعوة الكفار ومنها دعوة المسلمين ثم هذه الدعوة قد تكون بالكتابة وقد تكون بالمحاضرة وقد تكون بالندوة قد تكون بالكلمة القصيرة وقد تكون بالحديث مع شخص لمدة قصيرة كأن تخرج معه من المسجد ثم تتحدثان قليلاً وقد تكون بالقدوة وقد تكون بتوزيع الكتيبات و الأشرطة جوانب كثيرة من هذه الجوانب الدعوة الفردية وذكرت هذه



الجوانب لثلا يضمن أن الدعوة حكر على جانب دون الآخر ولثلا يحملون الكلام عن الدعوة الفردية إلى إهمال الجوانب الأخرى.

ثالثاً: معنى الدعوة الفردية:

ما الذي نريده وما الذي نقصده من الدعوة الفردية؟ الذي أقصده بالدعوة الفردية هو ممارسة الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - مع فرد أو فردين لتتشله أو تتشلهما مما هو فيه إلى ما هو أفضل من حاله ومن قولي هذا يتبين أن الدعوة الفردية يمكن أن تكون وتمارس مع الملتزمين لأن المقصد هو أن تتشله أو أن ترفع هذا الفرد إلى أفضل من حاله.

رابعاً: ميزات الدعوة الفردية:

ما هي ميزات الدعوة الفردية؟

الحقيقة أن للدعوة الفردية ميزات كثيرة يجدر بنا أن نعرفها في هذا المقام مادمننا نتكلم عن الدعوة الفردية ومن هذه الميزات:

- ١- أن الدعوة الفردية تنعم بالحرية المطلقة في كل الأحوال والظروف فلا تتعرض للتضييق.
- ٢- أنها تحدث صلة بين المدعو والداعية مما يهيئ المدعو للاستجابة ولاشك أنه أكثر من الدعوة الجماعية عندما يلقي الشيخ أو الملقى محاضرة يمكن أن يتأثر الفرد ولكن لا يمكن أن تحدث الصلة بين المتكلم وبين السامع صلة قوية يمكن أن تهيئ المدعو للاستجابة بشكل أكثر.
- ٣- أنها تتيح للمدعو الاستفسار عما يريد وطلب التوجيه المباشر في أمر من أموره أما في الدعوة الجماعية أن تكتب سؤالك في ورقة ربما يذكر وربما يترك لضيق الوقت أما في الدعوة الفردية فيمكن للمدعو أن يستفسر عما يريد لأن الداعية مواجه له مباشرة.
- ٤- أن الدعوة الفردية أبلغ وأعمق في التربية لأنها في الحقيقة توجه مركز بل إن التربية هي ثمرة الدعوة الفردية لأنها تحيط بحياة المدعو.
- ٥- الدعوة الجماعية تأثيرها وقتي ومن ثم نحتاج إلى الدعوة الفردية لمتابعة جهود الدعوة الجماعية نعم قد يكون الخطيب خطيباً جيداً مؤثراً فيتأثر السامع لكن تأثيره هذا وقتي يتأثر لمدة يوم

لمدة يومين ثم ما يلبث أن يرجع إلى ما كان عليه سابقا ولذا نحتاج إلى من يتابعه ولاشك أن من يتابعه سيكون ممن يمارس الدعوة الفردية.

٦- عن طريق الدعوة الفردية، يمكن للداعية أن يتدرج في توصية المدعو، فيعطيه في كل وقت ما يناسبه في الدعوة.

٧- يمكن عن طريق الدعوة الفردية الوصول إلى من لم تصله الدعوة الجماعية إما لعدم رغبته في ذلك وإما لأن ظروفه لا تسمح له بذلك، الملقى أو المحاضر أو حتى كاتب الكتاب أو المتكلم في الشريط لا يمكن أن يطرق الباب على كل أحد وأن يمسه بكل شخص في الشارع أو في العمل أو في أي مكان آخر لا يمكنه ذلك المتكلم يجتمع له ناس حضروا بإرادتهم فيلقي ما يريد ولكن هناك أناس لا يحضرون إلى هذه المجتمعات لا يحضرون إلى هذه المحاضرات أما لأن الشيطان استحوذ عليه وكره هذه الاجتماعات وأما لأن هذه الاجتماعات لا تلائم ظروفه أو أوقاته وغير ذلك فيكون أنحرم منها، مثل هؤلاء الأشخاص كيف نؤثر عليهم.

إن الدعوة الفردية هي التي عن طريقها نستطيع أن نؤثر على مثل هؤلاء.

٨- أن الدعوة الفردية يمكن القيام بها في كل مكان وأي وقت فيمكن أن يقوم بها الطالب والمدرس والموظف والعامل وغيرهم بل أحيانا يمكن القيام بها حتى في مكان العمل لأنها في الطالب لا تحتاج إلا إلى وقت قصير ففي العمل لا تحتاج إلى تجميع الموظفين للإلقاء عليهم محاضرة بل يمكن أن تمارس الدعوة الفردية وأنت تدير أعمالك وتقوم بأعمالك تمارس الدعوة الفردية لهذا بنصيحة أو بعقد صلة بأي شيء آخر مما سنذكره إن شاء الله.

٩- الدعوة الفردية تكسب الداعية خبرة ومعرفة بأحوال الناس وأيضاً تكسر الحاجز الوهمي الذي يضعه الداعين بينه وبين الآخرين.

١٠- الدعوة الفردية تدفع من يعمل بها إلى العلم والعمل وإلى أن يكون قدوة صالحة لغيره لأنه ما دام يريد أن يدعو هذا الشخص فيجب أن يظهر أمامه بأنه على قدر من العلم والعمل وهذا لا بد منه في الحقيقة حتى يكون قدوة صالحة لمثل هذا الشخص.



١١- الدعوة الفردية تتيح للداعية أن يطبق ما تعلمه من مفاهيم الصبر والتحمل والإيثار لأنه سيتعامل مع هذا المدعو فيحتاج إلى صبر ويحتاج إلى تحمل وكظم للغضب لأنه ربما يواجه من هذا المدعو أشياء يحتاج إلى الإيثار إلى التوضيح. هذه الأمور يمكن أن يطبقها في أرض الواقع بعد ما كانت مفاهيم ذهنية فقط.

١٤٢٦/٧/٢٢ هـ

<http://www.islamlight.net> المصدر:

## ٧٦- هندسة العلاقات الاجتماعية<sup>(١)</sup>

من أشد الأمور فتكاً بالدعوة أن تصاب من الداخل، سواء بضعف الصف أو بتقطع شبكة العلاقات الاجتماعية فيما بين أفرادها، كالتدابير والتحاسد والتغالب على المناصب، وقد تكون هذه الأمور واضحة لا يقع فيها كثير من المخلصين، ولكن هناك أمور أخفى من ذلك تستحق التأمل والوقوف عندها طويلاً، ذلك عندما يكون الوعي الاجتماعي ضعيفاً، ولا نعلم: كيف نتحاور، كيف يرد بعضنا على بعض، كيف يحترم الكبير، تأجيل موضوع إذا استغلق حتى لا يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، كيفية المعاتبة والنصح... الخ.

(١) محمد العبدية

وقد يكون السبب عدم اهتمامنا بهذه النواحي أصلاً، لأن الاهتمام منصب على العلم والفكر، مع أن قضية العلاقات الأخوية بحاجة إلى هندسة خاصة، نحتاج إلى معرفة النفسيات والطباع، ومعاملة كل أخ حسب ما يناسبه، فلا نستطيع أن نطبع البشر بطابع واحد، أو نصبهم في قوالب جامدة، فالرجال أنواع، فهناك البسيط المنفتح وهناك الانطوائي الاجتماعي، ومن يجب العزلة، والجريء والخجول...

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة في ذلك، كيف كان يعامل أصحابه مع اختلاف طبائعهم وأمزجتهم، كان أبو بكر هيناً ليناً وكان عمر شديداً، وعثمان حياً، ويبدو أن شخصية علي لم تفهم من بعض الصحابة فقد جاء في السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل الزبير بن العوام عن حبه لعلي فقال الزبير: كيف لا أحبه وهو ابن خالي وعلي ديني فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (ستقاتله وأنت له ظالم) وأظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن ينبه الزبير وغيره إلى جوانب من شخصية علي قد تفهم على غير مرادها.

ويبدو أن الزبير رضي الله عنه نسي هذا الحديث، فعندما ذكره به علي في معركة الجمل تذكر وترك القتال فوراً، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرف نفسية علي التي أخطأ فهمها بعض الصحابة، والآن تجد الأخ يظن ويعتقد أن في أخيه صفة غير محمودة، ويعامله على هذا الأساس لسنوات وأخوه لا يعلم بهذا، ولا هو يحاول أن يسأله أو يستفسر منه حتى يتأكد، هل هذه الصفة فيه؟ فيقع في الظلم، ثم قد يتبين له الحق ولكن بعد أن تصاب العلاقات الأخوية بالشلل.

إنها مصيبة أن يحدث هذا مع حسن النوايا، وذلك كله بسبب الاطلاع النظري والعيش مع الكتب دون معرفة الواقع والتعامل معه، فقد يكون الرجل صامتاً أو مداعباً مازحاً، فيخوض الناس فيه وهو لا يدري.

لماذا لا نستفيد من السيرة النبوية، ولماذا لا نفكر في واقعنا ونحاول التعرف على أسباب الخلل وهي كثيرة مع الأسف.

## ٧٧- المرأة المسلمة وهم الدعوة إلى الله

لا شك أن للمرأة دوراً هاماً في إصلاح المجتمع وتوجيهه، ولذا فإن الإسلام أكد على أهمية إصلاح المرأة وتأهيلها لهذا الدور العظيم ، ثم بث فيها هذه الروح الطيبة التي تدفعها إلى العمل، وذلك في عدة نصوص مثل قوله صلى الله عليه وسلم " النساء شقائق الرجال " وغير ذلك من النصوص التي تبين أن للمرأة دوراً في المجتمع لا بد أن تؤديه وتحرص عليه.

والدعوة إلى الله جل وعلا من أعظم الأمور التي يجب على المرأة العناية بها ورعايتها، خاصة في هذا العصر الذي طغت فيه الفتن وتجاوزت الحد وابتعد كثير من الناس عن الدين الصحيح وانفتحوا على الغرب بما فيه من انحرافات وفساد في العقيدة والأخلاق والقيم وغيرها.

في لقائنا معه يحدّثنا الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد قاسم (الأستاذ بكلّيات البنات بالدمام) فيقول: إن دور المرأة في الدعوة دور عظيم وجدير بالمرأة المسلمة العناية به والحرص عليه، إذ أن المرأة أدرى وأعرف بنفسيات النساء من الرجال، وبالتالي تستطيع الوصول إليهم بسهولة ويسر ويكون عادة تأثيرها أنفع من تأثير الرجل إذا استخدمت الوسائل المعينة على ذلك.

ثم إن مجال الدعوة بالنسبة لها رحب وواسع ذلك أن تواجهها مع بنات جنسها واحتلاطها بهن بشكل مباشر لا شك أنه يسهل عملية الدعوة ويضفي عليها نوعاً من المحبة والإحاء ، ولذا كان ضرورياً على المرأة المسلمة أن لا تحتقر نفسها ولا تضيع مثل هذه الفرص.

## المرأة المسلمة وأماكن الدعوة

وإذا كان من الملاحظ أن مجتمعات النساء لا تخلو عادة من اللغو والقبل والقال، وخاصة في المناسبات والأفراح وغيرها حيث تكثير المحاذير الشرعية، فإنه يدور في أذهان الكثيرات سؤال هام وهو كيف يمكن للمرأة الداعية أن تقوم بالدعوة في ظل هذه الظروف؟ وهل الأفضل أن تتجنب حضور مثل هذه اللقاءات وتعتزلها ، أو أن يكون لها دور في تغيير هذه المنكرات وتبصير النساء بأمر دينهن ونصحهن وتوجيههن؟

وبعد التأمل يتضح أن مما يقف حائلاً أمام الأخوات الداعيات في حضور بعض تلك المجالس أمران أساسيان هما:



أولاً : قلة العلم الشرعي الذي يعينهن على مواجهة المنكرات بالحجج والأدلة الشرعية

ثانياً : حياء مدموم وخوف من المواجهة وشعور بالنقص يمنع المرأة الداعية من أداء مهمتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصح الآخرين.

وربما يكون هناك سبب ثالث وهو اليأس واعتقاد عدم جدوى حضور مثل هذه اللقاءات ومحالة التأثير فيها.

وتجاه هذه التساؤلات والأسباب يبين الدكتور إبراهيم قاسم أن دور المرأة الداعية لا يقتصر على إلقاء الكلمات وإنكار المنكر في المناسبات العامة فقط بل بإمكانها القيام بالعمل الدعوي تجاه قريباتها وصويجاتها وجيرانها قدر المستطاع، فلا تقتصر على صنف دون آخر وإن كان للقريبات حق أعظم بسبب القرابة، ولتكن الدعوة مستمرة في المدرسة والمناسبة والسوق والمستشفى وغير ذلك كلما دعت الحاجة لذلك، وتستخدم في كل حالة الأسلوب الذي تراه مناسباً.

ومن جهة أخرى فإن عدم حضور الداعيات لمثل هذه المناسبات يعطي فرصة أكبر لأصحاب الأهواء والانحرافات لبث سمومهم بين نساء جاهلات غافلات، وكثيراً ما تكون المرأة الداعية سبباً في انتشار بعض هذه الأمور نتيجة لإعراضها عن حضور هذه المناسبات والتجرؤ فيها على الكلام والنصح والتوجيه.

والحقيقة أن حضور مثل هذه المناسبات فرصة حقيقية للمرأة الداعية ينبغي عدم تضييعها ذلك أنه قد لا يتيسر لها مثل هذا العدد مجتمعاً في مكان واحد، والمرأة في هذه المناسبات تتصل وتتعرف على مجموعة من النساء ربما لا تستطيع الوصول إليهن أو التعرف عليهن إلا في مثل هذه المناسبات.

وأمر آخر وهو أن غالب هذه النوعيات من النساء لا يحضرن إلا مثل هذه اللقاءات، أما لقاءات الدعوة والمذاكرة ومجالس العلم فهن في الغالب بعيدات عنها، لا يتحسسن لحضورها، وبعضهن لا يطلعن على مثل هذه المجالس لذا كانت هذه اللقاءات فرصة سانحة للوصول إلى قلوب النساء اللاتي لا يعرفن عن مجالس الخير شيئاً.

## وصايا للدعاة

وعلى المرأة الداعية أن تفكر في الأسلوب المناسب للدعوة في مثل هذه المناسبات، فليكن كلامها عاما ولائقا وبعيدا عن تفصيلات قد تثير أمورا لا داعي لها، ولتحرص في مثل هذه المناسبات على أن تتكلم في الأمور والقواعد العامة دون الفرعيات.

وأما حجل بعض النساء من الدعوة خاصة في مثل هذه المناسبات فإن الإسلام يستنكر مثل هذا الحجل السلبي المذموم الذي لا يعود على صاحبه بخير، بل ربما عاد عليه بالشر، والمرأة إذا علمت واستشعرت قيمة ما تحمله من معاني الإسلام ومبادئه السامية، وتذكرت ما وعد الله به عباده الصالحين الداعين إليه من الثواب الجزيل يوم القيامة دعاها ذلك إلى التخلص من هذا الحياء المرذول، ودفعتها ذلك إلى الانطلاق في الدعوة بجرأة وشجاعة.

ومع ذلك فإن الدكتور إبراهيم يحذر النساء المسلمات من حضور المناسبات التي تشتمل على منكرات واضحة، إذا كانت المرأة تعلم أنها لن تستطيع تغيير المنكرات الحاصلة، حتى لا تقع في الإثم ولكي تكون قدوة صالحة لغيرها من النساء.

المرأة الداعية وأسس الدعوة إلى الله

وعندما ترضي المرأة المسلمة في الدعوة إلى الله فإنها لا بد أن تتعرف على بعض الأسس الهامة والعامية في دعوتها لتكون دعوتها على منوال الشرع .

الدكتور خالد بن عبد الرحمن القرشي (الأستاذ المشارك بكلية الدعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) يقول: إن من أهم الأسس في الدعوة إلى الله جل وعلا الدعوة إليه بالقرآن الكريم فإن الله سبحانه وتعالى قد أيد رسوله صلى الله عليه وسلم بالقرآن، وأمره أن يدعو به ، ويعتمد عليه، فهو حبله المتين، وصراطه المستقيم ، جعله الله هدىً للناس، ورحمة عليهم، وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فلذا جاءت النصوص الشرعية الكثيرة التي تأمر بالدعوة بالقرآن الكريم ، وتحثُّ عليه، فمن القرآن الكريم :

أولاً - قول الله سبحانه وتعالى: (وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ)، فالله سبحانه وتعالى يخبر أن هذا القرآن أوحى لمنفعة الناس ومصالحتهم ، إذ فيه النذارة لكم ، أيها المخاطبون ، وكل من بلغه القرآن إلى يوم القيامة ، ولذا كان مجاهد - رحمه الله تعالى - يقول: حيثما يأتي القرآن فهو داعٍ ، وهو نذير، ثم قرأ: (لأنذركم به ومن بلغ) ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى:

(كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرجٌ منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين). فهذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لينذر الكافرين بالقرآن، ويذكر به المؤمنين، لأنه حوى كل ما يحتاج إليه العباد، وجميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية.

وعندما يقوم الداعية إلى الله سبحانه وتعالى بذلك الأمر - أي الدعوة بالقرآن للقرآن - فعليه أن لا يكون في صدره حرج، أي ضيق وشك واشتباه، لأنه كتاب الله سبحانه وتعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلينشرح به صدره، ولتطمئن به نفسه، وليصدق بأوامره ونواهيه، ولا يخش لائماً أو معارضاً.

ويين الدكتور القريشي أن الدعوة بالقرآن الكريم هي الميزان الذي يعرف به صلاح الداعية وصدقه وسلامة منهجه، قال الشيخ ابن باديس -رحمه الله تعالى: (عندما يختلف عليك الدعاة الذين يدعي كل منهم أنه يدعوك إلى الله تعالى، فانظر من يدعوك بالقرآن إلى القرآن - ومثله ما صح من السنة، لأهما تفسيره وبيانه - فاتبعه؛ لأنه هو المتبع للنبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم في دعوته وجهاده بالقرآن، والمتمثل لما دلت عليه أمثال هذه الآية الكريمة من آيات القرآن.

السنة النبوية والعلم الشرعي ركيزتان أساسيتان في الدعوة

ويضيف الدكتور إبراهيم قاسم بأن على المرأة الداعية إلى الله أن تحرص على تعلم العلم الشرعي وخاصة السنة النبوية، وليكن لها تركيز خاص على ما يتعلق بأمور النساء وما يخصهن من أحكام، فالعلم الشرعي من الأسباب المعينة على الدعوة إلى الله، وهو يعطي ثقة في النفس وقدرة على ربط الدعوة بمسائل الشرع مما يكون له وقع في نفوس السامعات.

أضف إلى ذلك أن المرأة تستطيع أن تبلغ الأحكام الشرعية المتعلقة بالنساء إليهن دون حرج أو حياء بخلاف غيرها من الرجال.

فإذا أضافت إلى ذلك اطلاعها على السيرة النبوية وسيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم لكان في ذلك خير عظيم، فالسيرة النبوية وسيرة السلف ما هي إلا تطبيق عملي لما جاء به الإسلام ويستطيع المرء من خلالها أن يتطلع على أحوال ومشاكل وأمور واقعية لا يستطيع الوصول إليها عن طريق النصوص المجردة.

هذا مع قراءتها المستمرة لكتب الدعوة وما فيها من أفكار وطرق ووسائل فإن ذلك يفتح لها أفقا كثيرة للدعوة إلى الله مع ضرورة الإمام بواقعها الذي تعيشه.

التقيد بالشرع

ومن الأسس التي ينبغي على المرأة الداعية مراعاتها ضرورة التقيد بمنهج الإسلام في الدعوة إلى الله وعدم الحيد والميل عنه أو الاستعاضة عنه بغيره، فإن الخير كل الخير في شرع الله وطريقته، يقول الشيخ محمد بن عبد الله الدويش "إن البشر مهما علا شأنهم وارتفع قدرهم ، ومهما بلغوا المنازل العالية من الصلاح والتقوى فلن تكون أعمالهم حجة مطلقة، بل لا بد من عرضها على هدي النبي صلى الله عليه و سلم؛ كما يروي بعضهم في مقام الصبر أن شيخاً قام يرقص على قبر ابنه حين توفي رضى بقدر الله على حد زعمه، وخير من ذلك هدي النبي صلى الله عليه و سلم الذي تدمع عينه ويحزن قلبه، ولا يقول إلا ما يرضي ربه، وهديه صلى الله عليه وسلم القولي والعملي في النوم والقيام خير مما يروي عن بعضهم أنه صلى الفجر بوضوء العشاء كذا وكذا من السنوات، وهديه في تلاوة القرآن خير مما يروي عن بعضهم أنه يختم القرآن كل ليلة، مع التماسنا العذر لمن كان له اجتهاد من سلف الأمة في ذلك.

وسائل ومقترحات للدعوة

وإذا كانت تلك هي أسس الدعوة إلى الله عز وجل فإن من المشكلات التي يعاني منها الدعاة في خطابهم الدعوي كما يقول الشيخ محمد بن عبد الله الدويش ( عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود سابقاً) هي سيطرة أساليب محددة ، وغياب الإبداع والابتكار.

وأكثر ما يبدو فيه هذا النمط من العمل النشاط الموجه للمرأة من المرأة بل حتى من قبل الرجال، وحين يتحدث أحد الدعاة أمام النساء فالغالب أن هناك مجالات محدودة لا يتجاوزها ، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة الداعية مع النساء.

والجميع رجالاً ونساءً بحاجة ماسة إلى إحداث نقلة وتطوير في خطابنا الدعوي وإلى أن نتخلى عن الاقتصار على أساليب محدودة ولغة واحدة.

ومن الوسائل المناسبة التي يمكنك أن تسلكها المرأة الداعية إلى الله ما يلي:

- محاولة التأثير على الصديقات في المدرسة أو من الجيران والأقارب بالكلمة الطيبة والخلق الحسن.

- إقامة بعض البرامج المشتركة بين مجموعة من زميلاتك كإقامة درس يقرأ فيه بعض الكتب في أساسيات الدين كتعليم العقيدة وأحكام الصلاة ونحو ذلك.

- إعداد بعض المسابقات الثقافية ونشرها في أوساط الطالبات أو حتى بين الأقارب والجيران في البيوت.

- كتابة بعض النصائح والرسائل التوجيهية سواء للبنات المقصرات في نصحن وتوجيههن أو للبنات الصالحات في حنهن للقيام بواجبهن.

- التفاعل والمشاركة مع المواقع في الشبكة العالمية والبرامج الإذاعية المتميزة الخاصة بالنساء بالكتابة فيها والتواصل معها ومحاولة تطويرها ونشر عناوينها بين الفتيات وتبقى هذه مجرد أمثلة ليست للحصر.

ويؤكد الشيخ محمد الدويش على ضرورة استخدام القصة في الدعوة إلى الله فإن هذا من أساليب القرآن في الدعوة، ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بشأن القصص لما لها من تأثير ووقع في نفوس الناس، وحفظت لنا دواوين السنة طائفة من قصه صلى الله عليه وسلم عليهم من قصص الأمم الماضية وأخبارهم، ولم تكن قصص القرآن أو السنة قاصرة على أبناء الصالحين وأخبارهم، بل شملت مع ذلك قصص المعرضين والفجار للاعتبار بما أصابهم. وليكن هذا الاستخدام بالقدر المعقول فلا تكون هي اللغة الوحيدة أو تكون على حساب غيرها وبالضرورة لا بد أن يكتفى بالقصص الصحيح عن غيره.

أمور تهتم المرأة الداعية

ولعلنا نختتم حديثنا هذا بذكر بعض الأمور التي يجب على المرأة الداعية مراعاتها حتى يكون لها تأثير حقيقي في الدعوة إلى الله وتتبع ذلك بذكر بعض صفات الداعية الناجحة.

## وصايا للدعاة



فنقول يجب على المرأة الداعية تقوية إيمانها بكثرة التقرب إلى الله بالصيام والقيام وقراءة القرآن والتصدق وغير ذلك فإن هذا من أسباب إعانتها على الدعوة إلى الله ومن أسباب احتساب الأجر فيها.

ثانيا : ضرورة اطلاعها بالإضافة إلى العلم الشرعي على بعض القراءات التربوية والتي تساعدها على الدعوة بثبات ووضوح وحكمة وقوة في العرض والاستدلال.

ثالثا : عليها الاهتمام بأولادها وتعليمهم وتربيتهم فإنهم سيصبحون قدوة في يوم من الأيام ، ولا يؤدي بها دعوة الأخريات إلى إهمال أهل بيتها وأولادها.

رابعا : لتبذل وتعرض مساعدتها لمن تقدر عليه وتحاول الوقوف مع قريباتها في أزماكن، وتقدم لهن يد العون والمساعدة فإن ذلك مما يجيبها لهن، وبالتالي يجعل لها أثرا واضحا في توجيههن.

## صفات الداعية الناجحة

ومما تجد الإشارة إليه أن للداعية الناجحة صفات ومميزات وعلى المرأة المسلمة أن تتطلع على تلك الصفات لتتحلى بها وتمسك بها.

- فهي تلك التي تعرف فضل الله عليها بالهداية والتوفيق وبالتالي فهي في تواضع وخفض جناح مع المحافظة على العزة والكرامة، ولمعرفتها بنعمة الله عليها لا تحتقر امرأة عاصية أو متبرجة أو نحو ذلك بل ترجو لها الهداية والتوفيق وتحاول فيما بينها وبين نفسها أن تفكر في تقصيرها وضرورة إصلاح نفسها ويكون لسان حالها دائما "اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"

- الداعية الناجحة هي التي توفق بين بيتها وزوجها وأولادها وتعلم أن ممارسة الدعوة إلى الله لا يتعارض مع ذلك كله ، لكن فقط يحتاج إلى تنظيم وحسن تدبير واستغلال الفرص والأوقات في النافع المفيد

- ومن صفات الداعية الناجحة حرصها على متابعة من هداهم الله على يدها وبث روح الدعوة في نفوسهن وتشجيعهن على المضي في هذا الطريق وتفقد أحوالهن بحيث لا يتقاعسن عن العمل شيئا فشيئا ويؤدي ذلك إلى ضياعهن.

ثم هي أيضا لا تكتفي بوعظ الناس وتذكيرهن، بل إنها تسعى ليكون حالها وواقعها وتصرفاتها كلها نابعة من شريعة الله فهي في كلامها داعية وفي صمتها داعية وفي حضورها داعية وفي غيابها داعية يصدق قولها فعلها.

- والداعية الناجحة هي التي تحاول ابتكار الأساليب الشرعية والطرق الحكيمة لدعوة غيرها وتحاول التفكير في كيفية الوصول إليهن، هذا مع إبداعها في مشاريع الخير التي تنفع الناس وتوجههم.

- الداعية الناجحة هي التي تسخر إمكاناتها لخدمة هذا الدين سواء كان ذلك عن طريق الدروس أو المحاضرات أو المسابقات أو المشاركة في الصحف والمجلات ونحو ذلك مما هو مضبوط بالشرع المطهر.

- الداعية الناجحة لا تخلو أبدا من محاسبة نفسها ومعرفة جوانب القصور فيها ثم هي تنقد منهجها في الدعوة نقدا بناء لتتعرف على مواطن الضعف والخلل فتحاول إصلاحها وتعرف مواطن القوة والفائدة فتكثر منها وتطورها ، محتسبة في ذلك كله الأجر عند الله غير آبهة ولا مبالية بمدح أحد من الناس فهي ترجو الأجر والثواب من الله وحده.

- إن الداعية الناجحة هي التي تتخذ من الوسطية منهاجا لها في كل أمورها وجميع أحوالها في ملبسها ومسكنها ومأكلها وحياتها كلها فلا إسراف ولا تبذير وفي نفس الوقت لا تقتير وتضييق فهي تخرج بلباس لائق بما كداعية غير متبرجة ولا مغالية فيها وفي نفس الوقت لا تكون متبذلة مهملة.

تلك أمور سريعة متعلقة بالمرأة المسلمة الداعية إلى الله فهل يعي نساؤنا قيمة هذا الأمر ويجرصن عليه؟!!!

## ٧٨- دور الشباب في الحركات الإسلامية<sup>(١)</sup>

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

(١) كتاب: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة /الشيخ: عبد العزيز بن باز

## وصايا للدعاة

فإن الله سبحانه وتعالى ، قد جعل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هي خاتمة الشرائع الإسلامية ، ورضي الإسلام دينا لخير أمة أخرجت للناس ، كما بعث الرسل بدين الإسلام وجعله المرضي له ، دون غيره من الأديان ، قال تعالى : { إن الدين عند الله الإسلام } وقال سبحانه وبجمله : { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا } وقال عز وجل : { ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين } .

فالكمال الذي من الله به في الشريعة الإسلامية التي بعث الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم موجود في أوامرها ونواهيها وسائر أحكامها ، من تحقيق لكل ما تحتاجه النفوس وتتطلبه المجتمعات مهما جد في حياتها من مؤثرات أو ظهر من اختراعات .

وذلك أن بعض ديانات الأرض اليوم المخالفة للإسلام لا يجد المتمعن في معتقداتها ما يتلاءم فكرا وعملا مع متطلبات ومظاهر حياة هذا العصر ، ولا ما يريح النفوس من المؤثرات المحيطة ، فنشأ لديهم رغبة بفصل الدين عن الدولة في مثل قولهم : دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

لكن الموضوع في الإسلام يختلف؛ لأن النفوس عندما تشعر بالأزمات تنتابها ، وبالمشكلات تحل قريبا منها ، تجد في دين الإسلام وتشريعاته الراحة والمخرج . وكلما بعدت عن دين الإسلام وضعف وازع الإيمان فيها كثرت الهموم في النفوس وتعددت المشكلات في المجتمع . وهذا ما يسمونه في العصر الحاضر : القلق النفسي .

وما هذه الحركات الإسلامية التي تتبع من الشباب في كل بلد إسلامي إلا عودة جديدة لدين الإسلام الذي تريح أوامره وشرائعه النفوس ، وتتجاوز مع متطلبات المجتمعات في كل عصر ومكان .

## حماس الشباب وحكمة الشيوخ

والشباب في أي أمة من الأمم ، هم العمود الفقري الذي يشكل عنصر الحركة والحيوية إذ لديهم الطاقة المنتجة ، والعطاء المتجدد ، ولم تنهض أمة من الأمم غالبا إلا على أكتاف شبابها الواعي وحماسته المتجددة .

إلا أن اندفاع الشباب لا بد أن تسايره حكمة من الشيوخ ، ونظرة من تجاربهم وأفكارهم ولا يستغني أحد الطرفين عن الآخر . وإن أمة الإسلام ، وهي أمة الرسالة الباقية ، وذات الصدارة



بين الأمم عندما أكرمها الله بهذا الدين ، وبعثة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، كان للشباب فيها مكان بارز في ركب الدعوة المباركة ، كما كان للشيخ مكان الصدارة في التوجيه والمؤازرة . وانطلق الجميع بقيادة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، يؤسسون دولة الإسلام الأولى والتي امتدت إلى آفاق بعيدة ، ورفرت راية الإسلام عالية فوق غالب المعمورة ، في عصور الإسلام المختلفة التي كان الشباب في الطليعة يذودون عن حياض الإسلام ، ويدافعون عن ديار المسلمين ، باليد واللسان ، علما وعملا . ففي الوقت الذي كانوا يتقدمون فيه صفوف الجهاد لإعلاء كلمة الله كانوا أيضا يتزاحمون بالمناكب في حلقات العلماء وجلسات الشيوخ ، يلتقطون الحكمة من أفواههم ، ويستنبطون ما عندهم من علوم ، ويتلقون منهم النصح والإرشاد ، ويستفيدون من ثمره جهودهم وتجربتهم لمناهج الحياة المقرونة بالتطبيق العملي للإسلام وشرائعه .

وكان من الشباب القادة لألوية الجهاد ، والمندفعون لتبليغ دين الله ، والذين سارت الجيوش الإسلامية تحت ألويتهم ، وحقق الله النصر المؤزر على أيديهم . وتاريخنا الإسلامي حافل بالشباب المجاهد العامل والشيوخ المجربين المجاهدين رحمهم الله .

#### استمرار العطاء

ولقد استمر الشباب المسلم في عطاء الخير المتجدد في الحروب الصليبية في الشام والأندلس وغيرها من المواقع التي يتصادم فيها الحق بالباطل حتى اليوم ، فعاظت تلك الحماسة أعداء الإسلام ، حيث سعوا إلى وضع العراقيل في طريقهم ، أو تغيير اتجاههم ، إما بفصلهم عن دينهم أو إيجاد هوة سحيقة بينهم وبين أولي العلم ، والرأي الصائب في أمتهم ، أو بإلصاق الألقاب المنفرة منهم ، أو وصفهم بصفات ونعوت غير صحيحة ، وتشويه سمعة من أنار الله بصائرهم في مجتمعاتهم ، أو بتأليب بعض الحكومات عليهم .

كل هذا قد يؤدي بالتالي إلى ظهور حركات تتسم بطابع الوقوف من المجتمع والقيادات ، موقفا قاسيا ومضادا ، قد يصل إلى نوع من المواجهة في بعض الأحيان ، أو العمل السري الذي قد يخالطه ما يشينه ، أو يغير من مجراه الطبيعي . وإلى جانب هذا يرى في العالم بأسره حركات إسلامية ، قد ظهرت على السطح ، وبعضها في أمريكا وأوروبا ، تتفهم الإسلام ، وتدعو إليه ، وترى فيه العلاج لما في العالم من قلق ومشكلات أهمها جنوح الشباب ، والمؤثرات فيهم .



هذه الحركات كان للشباب فيها دور كبير ، وأفعال مؤثرة ، تدعو للتبصير والموازرة ، إلا أن بعضها وخاصة في بعض الدول الإسلامية قد تعرض للكبت والمضايقة والاضطهاد والملاحقة . وبعضها استمر في أداء الدور الذي تنادي به تعاليم الإسلام في سبيل الدعوة والاهتمام بتبصير المسلمين عما جد في حياتهم ، ولا يسير وفق منهج الإسلام .

وقد كان لهذا النوع ، وما زال أثر طيب بحمد الله في إصلاح أوساط الشباب ، وإقامة كثير من المجتمعات على جادة الحق والهدى ، في داخل العالم الإسلامي وخارجه عن طريق الكتاب الإسلامي والمنبر ، والمحاضرات ، والمخيمات والمعسكرات الإسلامية التي يلتقي المسلمون فيها من عدة أقطار ، فيتذكرون علوم دينهم ، ومشكلات مجتمعاتهم ، ويفهمون الواقع من حولهم ويعملون بقول الله تعالى : { فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون } .

ثم يحرصون على تنظيم أوقات الفراغ في العمل المثمر وقد استغل الغربيون والشرقيون هذا الفراغ في أعمال مختلفة ، فلم تحقق النتيجة المرجوة لامتنعص طاقة الشباب ، وتوجيههم .

#### الشباب المنضبط

إن دور الشباب المسلم الذي يسير وفق تعاليم الإسلام ، دور عظيم في إصلاح النفوس وتوجيه المجتمع والحفاظ على سلامته وأمنه ، لا ينكره إلا أعداء الإسلام، الذين يدركون مكانة الإسلام ، وسموه في استجلاب من يرغب ، منصفا في طريق العدالة ، والأخلاق الكريمة والاستقامة والتوازن في البيئة ، والأمن والاستقرار في المجتمع .

وإن من أهم ما يجب ملاحظته ، ونحن نتحدث عن دور الشباب في الحركات الإسلامية قديما وحديثا ما يلي :

١- العناية بالشباب منذ نعومة أظفارهم ، وذلك بتوجيههم الوجهة الإسلامية ، والاهتمام بمناهجهم التعليمية ، وإبعاد المؤثرات الضارة بأخلاقهم ، والعمل على ربطهم بدينهم وبكتاب ربهم ، وسنة نبيهم ، وأن يعنى العلماء ورجال الفكر الإسلامي باحتضانهم وتقبل آرائهم واستفساراتهم ، وإرشادهم إلى طريق الحق والصواب ، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي

هي أحسن لاستعدادهم لتقبل التوجيه ، من منطلق الرأي الصائب ، الذي يجدده الإسلام ، ويبحث عليه .

٢- الحرص على إيجاد القدوة الحسنة في المدرسة والبيت ، والنادي والشارع وفي أسلوب التعامل ، وعدم وجود المظاهر المنافية للإسلام ، والتي قد تحدث لديهم شيئا من الشك والريبة أو التردد في القبول ، أو اعتزال المجتمع ، والشكوك فيه ، بدعوى أنه مجتمع غير مطبق للإسلام يقول أبنائه بخلاف ما يعملون . وبهذا كله يحصل الانفصال ، وتحدث التصرفات المتسرفة غير المنضبطة ، والتي تكون نتائجها غير سليمة على الفرد والمجتمع ، وعلى العمل الإسلامي . ولا تعود بالفائدة المرجوة على الشباب أنفسهم .

٣- عقد لقاءات مستمرة مع الشباب ، يلتقي فيها ولاة الأمر والعلماء والمسؤولون في البلاد الإسلامية بالشباب تطرح فيها الآراء والأفكار ، وتدرس المشكلات دراسة متأنية وتعالج فيها القضايا والمسائل التي تحتاج إلى جواب فاصل فيما عرض ، حتى لا تتسرب الظنون الخاطئة وتتبعد الأفكار ، وينحرف العمل الإسلامي الذي يتحمس له هؤلاء الشباب ، لغير الدرب الحقيقي ، والمنطلق الذي رسمته تعاليمه . وتتم هذه اللقاءات في جو من الانفتاح لإبداء الرأي المتسم بالأخوة والمحبة والثقة المتبادلة بعيدا عن التعصب للرأي ، أو التسفيه للآراء ، أو تجهيل الآخرين .

إن الشباب بتوجيههم ورعايتهم ، مثل النبتة إذا أحسن الزارع رعايتها نمت وأثمرت ، وإذا أهملت تعثر نموها وفقد الثمر منها مستقبلا . والشباب فيه طاقة حيوية ، يحسن الاستفادة منها وتنميتها ، وأسلم منهج في الحياة يربط الشباب بدينه وعلماؤه وأمتهم وبلادهم ، هو منهج الإسلام . فكلما ابتعد الشباب عن منهج دينهم الواضح ، وسلكوا طريق الغلو أو الجفاء ، أو التشدد والانعزال فإن النتائج ستكون وخيمة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإن مسئولية ولاة الأمور : من قادة وعلماء ومفكرين ، مسئولية عظيمة ، في الأخذ بأيديهم ورعايتهم وتوجيههم نحو منهج الإسلام ، وتوضيحه لهم ، ليأخذوه ، منهجا وسلوكا ، وليسيروا وفق تعاليم شريعته ، قدوة وتطبيقا .

## وصايا للدعاة

وهذا من أوجب الأمور وأكمل العلاج ، وهو من باب النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم الذي به يكتمل الإيمان ، كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

كما أن ترك الشباب عرضة للأفكار الهدامة ، والتصورات الخاطئة وعدم الأخذ بيده ، وتفهم آرائه وأفكاره ، والإجابة عن كل تساؤلاته ، وإيضاح الرأي الصحيح أمامه قد يفضي إلى ما لا تحمد عقباه . فالواجب الأخذ بيده ليتجنب كل ما يضر ويسلك ما ينفع ، كما فعل سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وفي عصور التاريخ المختلفة حيث لم يحدث ردود فعل ذات خطر على الفرد والجماعة . فليتعاون ولاة الأمور كبارا وصغارا ، علماء ومتعلمين ، مفكرين ومسؤولين ، مع الشباب في البيوت والمدارس ، وفي المجتمعات والجامعات ، كل هؤلاء يتعاونون على إرشاد الشباب وتوجيهه ، وهيئة الأجواء السليمة له ليدع فيها ، في ظل العقيدة الإسلامية السمحة منهج الإسلام الحكيم . والله نسأل أن يوفق أمة الإسلام شيئا وشبابا ، قادة وشعبا ، إلى العمل بما يرضي الله توجيهها وتبصيرا وعملا واقتداء ، وأن يصلح القلوب والأعمال ، وأن يهدي الجميع صراطه المستقيم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وهو الهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٧٩- الدعوة الفردية آمال ونصائح ٢-١<sup>(١)</sup>

إن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى سمة من سمات المسلم لمحض كونه مسلما، وهي ضرورة من ضرورات هذا الدين ، ونحن هنا نريد أن نفعل دور المسلم في البنين الدعوي، لنجعل مصير الدعوة هما مشتركا بين جميع المسلمين، فالمتصور أن الصراع بين الحضارات الآن يأخذ طابع الصراع المصري الذي هو أشبه ما يكون بميدان حرب تستخدم فيه كل الأسلحة، ومثل هذا الصراع المصري الذي يكون شعاره : نكون أو لا نكون، لا بد أن يتحمل كل فرد منتمٍ لحضارة ما مسؤوليته في الدفاع عن مصيره بل وجوده، ولم يعد الأمر مجرد دفاعات جماعية حول الحصون المعزوة من كل جانب. وعصرنا الذي نعيشه الآن يحمل هذه السمات، لذا كان لزاما

(١) " ٣٠ طريقة لخدمة الدين "

أن تتفاعل جهود كل المسلمين للذب عن دينهم والقيام بأمره. ونحن لا ننتظر من مسلمي البطاقات شيئا، ولكننا ننظر بعين الأمل، ونرغب بما جس الاستبشار إلى من خالط الإيمان بشاشة قلبه، واحترق ألما لما يراه من مكر الليل والنهار، والكيد العظيم الذي يكاد للمسلمين في كل بقاع الأرض .

إلى مثل هذا الغيور نمد أيدينا وننادي عليه أن هلم إلى القافلة، وبادر إلى تسجيل نفسك في كتيبة المدافعين عن حياض الدين، ولا تكن كالمخلفين الذي فرحوا بمقعدهم خلاف ركب الإيمان، ورضوا بأن يكونوا مع الخوالب، ذرهم في ربيهم يترددون وانفض بهممة المجاهد إلى منادي الفلاح، واجعل الإيمان من خير العتاد .

### مشروع العمر

إننا نتصور أن كل ذي همة يستطيع أن يقيم للإسلام صرحا لو أنه ساهم بجهد قليل في الدعوة إلى الله، ونحن نضع بين يديك — أيها الغيور على دين الله — هذه الطريقة وهذه الأفكار لنقطع عليك المعاذير، ولنلجم إرادتك بلحام العزيمة القوية، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين .

المسلم موجود في كل مكان على هذه الأرض، من صحارى إفريقيا إلى تلوغ سيبيريا لا يكاد يخلو منه مكان.. ونريد من ذلك المسلم أن يقوم بوظيفة واحدة، سهلة يسيرة، نريده أن يتبنى قضية من القضايا يحسنها ويتقنها، تكون محور دعوته، يحمل همها يجول بها ويصول، ويفكر لها ويدبر ويخطط، يجوب بها البلاد، ويدعو إليها العباد ويحدد على ضوءها أهدافه ويصيغ حسبها طريقة حياته فهي وحدها محور دعوته.

### عالم خصيب ويسير

إن الدعوة الفردية عالم خصب من الجهود والأفكار والأعمال، وأكثر ما يمتع فيه أنه سهل التنفيذ سريع الأثر . وهذان هما المقصدان الأساسان في الدعوة الفردية .

إن الدعوة الفردية ليست تربية عميقة الأثر، ولكنها رسالة متنقلة يحملها الداعية الميداني إلى كل مكان، إنه لن يعاني كما يعاني المري، لأنه ليس مخاطبا بالنتيجة ومحاسبا عليها كذلك، ولكنه يحمل قضية الإسلام كدين يجوب بها في كل مكان، إنه يخاطب كل البشر، يدعو كل الطوائف،

## وصايا للدعاة

ينصح كل الناس، يحاور كل الأجناس، يتداخل مع كل الأنواع والأصناف . عدته ما عمله من العلم ولو كان قليلا، فهو ينصح من يراه لا يصلي لأنه يعرف أن ترك الصلاة من كبائر الذنوب، ويزجر شارب الدخان لأنه علم دليل حرمة، ويجارب المخدرات ومن يتاجر فيها لأنه تبين له وجه الخطر والشر على المجتمع منها، يواجه التبرج والسفور باعتباره رذيلة تهدد عفة المجتمع ومثله، يجابه الانحلال في أجهزة الإعلام لأنه يعلم خطر ذلك على البناء الخلقى للمجتمع .

إن مثل هذه القضايا يحملها كل مسلم أينما حل أو ارتحل، ونحن نطالب كل مسلم ألا يقف موقف المتفرج، بل يبادر إلى الصدع بالحق في كل ميدان، ليحاور زملاءه: في العمل، ليحاور المدرس تلاميذه، ليحاور طالب الجامعة أصدقاءه، ليحاور الراكب في المواصلات من معه من الركاب، ليحاور المسلم أقرباءه في كل زيارة أو مناسبة اجتماعية، ليحاور المسلم كل من حوله من الناس .

إن هذه الدعوة الدؤوب هي التي ستجعل الإسلام قضية المجتمع، وهي التي ستحيي في الناس عاطفة التدين، وتصرف اهتمامهم إلى المعالي، ومثل هؤلاء الدعاة في كل ميدان هم الذين يحددون للمجتمع أولويات اهتماماته، وهم الذي يصوغون الرأي العام إن جاز التعبير .

إياك واليأس

إن المطلوب من المسلم الذي يمارس الدعوة الفردية ألا ييأس من النتائج، وألا يقنط من التخاذل، فهو لا يدعو ليهدي، ولكنه يدعو لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

إن المتصور في هذه الطريقة أن نستشير اهتمامات الناس بالدين، لا أن نصل بهم إلى نقطة معينة في الالتزام بالدين، فالعملية الدعوية التي تفرز إنسانا ملتزما بالدين عملية معقدة، وهي أشبه بالدورة التي يلتقط فيها المدعو من كل بستان زهرة حتى تتكون لديه باقة من الأزهار إن أعجبت جمعها وزين بها بيته، فيعلم الداخل أن ذلك المدعو قد أعجب بتلك الأزهار، إذ لو لم تعجبه لما زين بها بيته، وقضايانا التي ندعو الناس إليها أشبه بتلك الأزهار، فيتلقى المدعو زهرة في مكان عمله، حتى إذا ركب وسيلة المواصلات وجد من يقدم له زهرة أخرى، فإذا أفضى إلى الشارع الذي يسكن فيه وجد من جيرانه من يقدمه له أخرى، ثم إذا عرج على دكان ليشتري شيئا وجد

داعية في الدكان يهديه زهرة رابعة، ثم إذا دخل البيت قد يجد ابنه الملتزم يبادر إليه بزهرة خامسة، ثم تتوالى الأزهار على ذلك المدعو حتى تتم الهداية بتوفيق الله تعالى .

إن هذه الصورة التي رسمتها لك - أيها الأريب - هي أقرب ما تكون للواقع الذي نعيشه ونحياه، فالناس من حولنا يرون بساتين الصحوحة في كل مكان، منهم من يجفل ويخاف، فيرقب من بعيد، فهذا يحتاج إلى تشجيع، ومنهم من يشك ويظن الظنون، فهذا يحتاج إلى إقناع، ومنهم من اقتنع ولكنه واهن العزيمة فهذا يحتاج إلى دفعة، ومنهم من اقتنع واندفع ولكنه انتكس وملّ، فهذا يحتاج إلى شحنة.. وكلما تعمقت في فهم أسرار الحركة الاجتماعية الدعوية ستعلم أن الدعوة الفردية من أكثر طرق الدعوة تأثيرا في المجتمع.

## ٨٠- الدعوة الفردية آمال ونصائح ٢.٢<sup>(١)</sup>

في كتابه "صناعة الحياة" ذكر الشيخ الراشد أنه: "في أواخر القرن السابع عشر تقريبا دفع أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية بمحام يسمى هيوستن إلى مقاطعة من المقاطعات المجاورة للولايات المتحدة ، وقال له : إن أمريكا تحتاج إلى تلك المقاطعة ، وليس عندي من مال ولا عتاد ما أمدك به لتأتي إلي بهذه المقاطعة ، فجمع هيوستن ثيابه وذهب إلى تلك المقاطعة واستأجر مكتبا للمحاماة ، وفي بضع السنين عبر محاوراته ومقالاته في الصحف ومداولاته مع الوجهاء أقنع شعب تلك المقاطعة أن يطالب الانضمام إلى الولايات المتحدة ، وقد حدث المتوقع وتم الاستفتاء ، وضمت تلك الولاية التي سموها بولاية هيوستن امتنانا لجهود ذلك المحامي الذي لم يطلق رصاصة واحدة في سبيل ضم مقاطعة تعادل مساحتها مساحة نصف مساحة فلسطين تقريبا". فهل من مذكر !!؟.

من خلال هذا الحدث تعلم قيمة الدعوة الفردية ومدى ما يمكن تحقيقه من خلالها ، وأنها يمكن أن تكون من أكثر طرق الدعوة تأثيرا في المجتمع .

(١) بتصرف من كتاب "٣٠ طريقة لخدمة الدين"

## وصايا للدعاة



ومن أراد أن يتصدى لهذا النوع من طرق الدعوة أو أن يحترف هذا السبيل وأن يتصدى لهذا الباب أن يتسلح بعفته، والتي أهمها الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

والحكمة وضع الأمور في نصابها ، والموعظة الحسنة هي التي لا غلظة فيها، والجدال بالتي هي أحسن هو ما كان مثمرا، لا الجدال العقيم الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتركه وحذر منه بقوله: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقا) وحمله العلماء على الجدال غير المثمر .

وصايا هامة

وهذه بعض الوصايا نسوقها إليك لاعتقادنا الفائدة فيها، وأنها من الأهمية بمكان حتى تستطيع ممارسة دعوتك بصورة أفضل :

أولا : اقتنع بالقضية واعتبر نفسك الجندي الوحيد في الميدان ، وأن معركتك مع شيطان الهوى سيحسم بمجهودك .

ثانيا : تبرأ من حولك وطولك واستيقن أن الهداية بيد الله عز وجل .

ثالثا : اختر الزمان والمكان المناسب ، إلا في بعض الحالات التي تقتضي الصدع بالحق خوف فوات الفرصة

رابعا : الأصل في سمتك الهدوء والابتسام ، فإذا احتجت إلى التجهم لصرامة الموضوع فلا بأس ، شريطة ألا يؤول ذلك إلى التنفير ، وأنت خبير بردود أفعال من أمامك .

خامسا : تكلم في المنكر الحال ، وتجنب النصح في أمور لا تعلم عن حال المدعو فيها شيئا ( إلا إذا كنت تعلم من المدعو أمرا بعينه يحتاج إلى النصح فيه ) ، فإذا رأيت يدخن فلتكن نصيحتك عن حرمة التدخين ، ولا تكلمه عن غض البصر مثلا حال كونك لا تدري : هل هو ممن يغض البصر عن المحرمات أم لا ؟

سادسا : الدعاة يتكلمون بلسان الشرع ، فلا بد من النطق بأحكام الشرع لا أحكام العرف ، فلا يناسب أن تنصح متبرجة قائلا إن السفور عيب ، بل يجب أن تعلم حكم الشرع فإن جهلته بينته لها .



سابعاً : التنوع بين الترغيب والترهيب: فإن التخويف بالنار قد لا يصادف محلاً عند البعض فلا بأس أن تميل بهم إلى الحديث عن البشارة ، وما أعد الله للطائعين ، ثم تردف ذلك بلفحة من نار جهنم .

ثامناً : البساطة والرشاقة : كن بسيطاً في حديثك ، وتجنب التفهيق والتفعر واستخدام غريب الألفاظ والمعاني ، ومن لوازم الدعوة الناجحة رشاقة العرض ، ويكون ذلك بالتناسق بين تعبير الوجه ومعاني الكلمات وحسن المنطق وعدم التكلف في حركة الشفتين ولفظ الحروف ، وكذا التناسق بين تعبير الوجه ومعاني الكلمات مع حركة اليد ، ولتحرص على تناسب إشارة اليد مع حركة اليد لتكون معبرة عن ثقة في المتحدث وجدية في الحديث ، ويناسب عند الحديث عن الأمور الصارمة مثلاً أن يشير بقبضة اليد ، وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم شواهد على هذا المعنى .

تاسعاً : ركز نظرك في وجه من تحدته ، فللعين جزالة في التأثير وتعبير عن الصدق يفوق ما في فصيح الكلام .

عاشراً : لا تمجر نصوص الوحي المطهر عندما تتحدث الناس ، فإنهم مخاطبون بكلام ربهم بالأصالة ، وليس بكلامك ، فاستيقن إذا أن في كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم من البركة في التأثير أكثر مما في كلامك .

الحادي عشر : لا تكثر من الكلام عن نفسك وعن غيرك ، فتقول أنا وفلان ، وفلان وأنا ، بل حاول أن تجعل من تحدته في محل اهتمامك نظراً وحديثاً ، فحاول إذا أن تستغل خصلة فيه محمودة فتمدحه عليها مكتسباً وده وإعجاباً .

الثاني عشر : حاول أن ترطب الحوار ببعض الفكاهة إن اقتضى المقام ، وخاصة إلى احتدم الحوار ، وذلك للإبقاء على ركن المودة الذي هو بابك إلى قلبه .

الثالث عشر : لا تجعل القيادة للحوار بيد أحد غيرك ، فإذا حاول أن يصول بك ويجول فالزم نقطة الحوار ولا تتشتت في أودية الحديث ، حيث لا جدوى من جراء ذلك إلا الجدال العقيم ، وقد علمت حكمه .



الرابع عشر : حاول أن تركز في موضوعك ، وأن تسوق له من الأدلة والشواهد الشرعية والمنطقية ما تغزو به ضميره ، فإذا احتللت مكانا في القلب فحافظ على هذا المكان ثم ابدأ هجومك الكاسح من ذلك الموقع (لا تتراجع أو تتأخر إلى مواقع سابقة).

الخامس عشر : حاول أن تستخلص من كلام من تحاوره ما يفسده ، مع التلطف في بيان وجه الاستدلال ، مبتعداً في كل ما سبق عن حب الظهور والرياء والاستعلاء .

السادس عشر : ألا فاعلم أنك تتكلم بلسان الحق ، فاجعل له هيبة ووقارا ، وأحسن عرض ما عندك من الحق ، يزهدهم الناس في ما في أيديهم من الباطل ، واصبر على أذى لاحق من عنت من تدعوه فهذا ثمن الهداية ( لعلك باخع نفسك على آثرهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ) .

كما ينبغي أن تعطي الاحترام المناسب بمقام وعمر من تحدته ، فلا يناسب أن ينصح الصغير الكبير دون أن يضمن نصيحته بالغ التوقير وفائق الاحترام .

آثار مرجوة

وبعد قراءتك لهذه الوصايا ستحصل ما يلي - إن شاء الله - :

(١) الثقة بالنفس ، والثقة في الله .

(٢) الاستعداد وعدم الارتجال .

(٣) الهدوء والروية وعدم الاستعجال .

(٤) التركيز وعدم التشتت وراء الموضوعات الفرعية .

(٥) تلخيص نتائج دعوتك للخروج بفائدة واضحة .

وبعد أيها الداعية الأريب .. فإن للدعوة الفردية حديثا ذا شجون، وإنما ذكرنا هنا رؤوس الأقسام ، واختصرنا المقاصد لتكون منها على ذكر.. والله المستعان .

## ٨١-أترضاه لنفسك؟.. ومعالمه في التربية

كان محمد بن واسع يبيع حماراً له، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيت له لم أبعه .

هذه الحادثة قمة في المعاملة التي تكون بين الإخوان وخاصة الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى-، وهذه إشارة من محمد بن واسع إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه.. وكذا المعاملة، فبعض الناس يجب أن يعامله الناس بأحسن الأخلاق وأجلها، وأن يتلطفوا معه في المعاملة وأن يضعوه في مكانه اللائق به، وفي المقابل تجده لا يهتم في معاملته لإخوانه بالحسنى كما يهتم في أن تكون معاملة غيره له على أحسن حال وأفضل مقال.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما: "إني لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون ما أعلم".

ولقد جاء معنى ما أشرنا إليه من عنوان هذا المقال في حديث عن النبي في أن المؤمن يجب لأخيه ما يجب لنفسه، فقد روى البخاري ومسلم عن أنس - رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه".

فالتأمل في هذا الحديث، يجده قاعدة عظيمة تنبع من خلالها كثير من الأخلاق، ولذلك كان كلام النبي - صلى الله عليه وسلم- من جوامع الكلم.

إن من يعامل لناس على أساس أن يجب لهم ما يجب لنفسه تماماً فإنه سيعاملهم حتماً بكل خلق رفيع، لأن هذا هو ما يجب أن يعامله الناس به إذ يحبه لنفسه. ومن هنا يجد نفسه مثلاً مدفوعاً إلى الصبر على أخيه المسلم كلما دعت ظروف التعامل إلى الصبر، لأنه يجب من الناس أن يصبروا عليه، كلما بدر منه ما لا يقبله الناس إلا بصبر.

ويجد المسلم نفسه مدفوعاً إلى العفو والصفح والمسامحة والإغضاء عن الهفوات والسيئات، كلما وجد من إخوانه ما يسوؤه من تصرفاتهم معه، لأنه يجب من الناس أن يعاملوه بالصفح والعفو والمسامحة والإغضاء عن الهفوات والسيئات، كلما بدر منه من تصرفات تسوء إخوانه. وكذلك أنواع المعاملة من ستر العيوب والنصح سراً وكره الغيبة فهو يجب أن يعامل الناس بما يجب أن يعاملوه به.

ارتباط الحديث بالإيمان :

فالإيمان لا يبلغ حقيقته ونهايته وكماله إلا بعد أن يتحقق مثل هذا الحديث في المسلم، فالإيمان قد ينتفي لانتفاء بعض أركانه .

ففي رواية خرّجها الإمام أحمد - رحمه الله -: "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير". وهي تدل على أن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان وحلاوته ولذته حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الأخلاق والمعاملة الحسنة. وفي تطبيق هذا الحديث ما يبشر بدخول الجنة والبعد عن النار كما في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله عز وجل ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه". فحري بالمسلم الداعية إلى الله أن يستنفره مثل هذا الحديث لأن تكون معاملته حسنة مع إخوانه كما يجب ذلك منهم.

الأسباب التي تمنع من هذا الخلق :

أولاً: الحسد :

يقول ابن رجب - رحمه الله -: وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد ، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه لأنه يجب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد عنهم، ورحم الله ابن عباس - رضي الله عنهما - حيث يقول: إني لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون ما أعلم منها . وقال الشافعي: وددت أن الناس تعلموا هذا الدين ولم ينسب إلي منه شيء .

فالحاسد تجده يجب أن يعامله الناس بأحسن المعاملات فيريد منهم خلقاً رفيعاً، وتذلاً، وانسباطاً وعدم تتبع لزلاته على الرغم من أنه قد أشهر سيف المعاملة السيئة، والتكبر، والأنانية، وأخذ بعد فترة يكتب ويدون زلات إخوانه.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا.

والإيمان يقتضي خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء. والحاسد ليس يحسدك على عيب فيك، ولا على خيانة ظهرت منك، ولكن يحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء.

قال العتي:

أفكر ما ذني إليك فلا أرى ... لنفسي جرماً، غير أنك حاسدٌ .

فنعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد.

ثانياً: الكبر :

قال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا). فبطر الحق وغمط الناس واحتقارهم وازدراؤهم يجعل المسلم يعامل إخوانه المعاملة السيئة مما يدعو إلى المعاملة بالمثل.

"فمن تواضع لله رفعه" وهذا من سنن الله في عبادته، كما أن من استكبر وتعالى على خلق الله أذله الله. فالمستكبر يرفع نفسه فوق مستوى جلسائه، فيعيش وحده في جوه النفسي المتعاضم، ولا يجب أن يفوقه أحد، وربما يكون ترفعه إلى مكانة ليس هو في الحقيقة أهلاً لها.

وأخيراً إن الناقد البصير قد يجد في واقع الدعاة إلى الله - عز وجل - وما يحدث بينهم من الهجران والقطيعة والمعاملة التي لا تليق بأمثالهم - ولعل مرجع ذلك إلى عدم التدبر لمثل هذه الأحاديث النبوية التربوية التي تجعل القلوب صافية، والمحبة وافرة، وتجد التعاون بين الدعاة إلى الله - عز وجل - على أحسن حال.

## ٨٢- المصلحون يصنعون الفرص<sup>(١)</sup>

من مسؤولية الإنسان في الحياة أن يأخذ بأسباب النجاح، ويتعرف على سنن الله في خلقه، ويسعى للأخذ بما. والمصلحون المتقون من أولى الناس بمعرفة سنن الخالق تبارك وتعالى؛ فهم أعلم الناس به، وهم الذين يدلونهم على طريقه.

إن ضخامة متطلبات التغيير لن تواجه ببذل المزيد من الجهد البدني فحسب، ولا بزيادة رصيدنا ممن يتحدثون ويخطبون؛ إنما تواجه بعقول تعيش تحديات عصرها؛ فلن ينجح في زحمة هذا العصر ومتغيراته إلا من يملك الروح الإيجابية المنتجة، والقطار لن ينتظر الذين يسرون ببط، ويتطلعون أن يُفتح لهم الطريق.

(١) محمد بن عبد الله الدويش

## وصايا للدعاة

وبقدر ما تتسارع المتغيرات وتتعدد عناصر الحياة تزداد الفرص؛ فالحياة أوسع من أن يتحكم بها حفنة من البشر، والميدان لم يعد ذلك الذي يسيطر عليه فئة دون أخرى، ولن يكون بمقدور كائن من البشر أن يرسم الخطوط والحدود للناس فيما يأتون ويذرون.

فالمصلح الإيجابي هو من يسعى لاغتنام الفرص حين تتاح أمامه، وله أسوة بإمام المصلحين صلى الله عليه وسلم، فقد كان هذا شأنه وديده. فحين جاءت امرأة من السبي تحتضن صبيها ذكر صلى الله عليه وسلم أصحابه برحمة الله لعباده.

وحين يكون مع أحد أصحابه يعلمه ويوصيه، وحين يكون الموقف مؤثراً يعظ أصحابه كما في حديث البراء بن عازب المشهور.

إن الذين يثمنون الفرص لا يقف الأمر لديهم عند مجرد اغتنامها حين تتاح، بل هم يبادرون؛ لأنهم يدركون أنها لا تدوم.

وقد أوصى صلى الله عليه وسلم أمته بذلك فقال: "اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك".

وهاهو يوسف عليه السلام حين عبّر رؤيا السلطان وأخبر أنهم أمام سبع سنين من الرخاء، وسبع من الشدة أمرهم أن يغتنموا فرصة الرخاء ليدخروا لسني الجفاف.

والمصلح الإيجابي يتجاوز مجرد اغتنام الفرص التي تتاح له لبحث عنها ويفتش، وهاهو صلى الله عليه وسلم في سيرته يغتنم فرص اجتماع قومه ليدعوهم، ويبحث عن فرص أخرى ليدعو غيرهم، فقد كان يوافي الموسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم وفي المواسم بعكاظ ومجنة وذي الحجاز يدعوهم إلى أن يمنعوهم حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة.

وحين لا يجد المصلح فرصة سانحة أمامه، ويفتش يمنة ويسرة؛ فإنه يسعى لأن يوجد الفرصة؛ فالحاجة أم الاختراع، ولن تعجز عقول المصلحين عن أن تهيئ الفرص وتوجد لها، فهاهم صناع السلاح والمتاجرون به حين تكسد سوقه يفتعلون المعارك والحروب ويؤججون ناراها ليروجوا بضاعتهم، وهاهم أصحاب رؤوس الأموال يُغرقون الناس بالدعاية لمنتجهم حتى يوجدوا فرص تسويقها.

وقديماً كان الصياد حين لا تتاح له فرصة اجتماع الطير يلقي له طُعماً حتى يجتمع فيصيده .  
 والمصلحون الإيجابيون لا يقف جهدهم عند ذلك فحسب، بل هم يبحثون في المواقف السيئة،  
 ومن بين الصور المظلمة يبحثون عن النور والضياء، إنهم حين تحل المحن والنكبات، وحين يتشأم  
 الناس مما أمامهم يتلمسون الصور المشرقة، ويبحثون عن الثغرات ليستثمروا الواقع الجديد.  
 حين يقع الابن في معصية أو مصيبة؛ يستثمرها والده العاقل لتكون منطلقاً لنصحه وإصلاحه.  
 ومهما كانت الأحوال سيئة ومظلمة؛ فالأوضاع الجديدة تحمل في طياتها العديد من الفرص التي  
 يمكن أن يستثمرها العقلاء.

### ٨٣-التعليم والتذكير

الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة ، وانسراح الصدر به خير عزيز ، وأول ما يجب على  
 أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه ، وأن يعرفوا الجاهلين به ،  
 وأن يجعلوه في الحياة واضحاً كشعاع الشمس ، شائعاً كأموج الهواء ، ذاك ما يفرضه الحق على  
 أصحابه . ألا يجعلوه عليهم حكرًا ، وألا يجرموا من نفعه أحداً ، وألا يدعوا نفساً تعيش بعيدة  
 عن هداه ، وليس ذلك - بداهة - عن طريق القسر ، بل عن طريق لفت الأنظار وإيضاح  
 الخلفي وشرح المبهم ، فإن فتك الجهل بالناس ذريع ، وغلبة الأوهام على أفكارهم تذهب بهم ،  
 بدداً في كل فج ، وتخيّل إليهم أنهم على صواب ، والواقع أنهم موغلون في الضلال ، والسر هو  
 الجهل ، الجهل بأقسامه كلها ، من بسيط ، إلى مركب ، إلى جهالة الطيش والهوى ، والعالم  
 بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله وإبداء صفحته ، ودحض الشبه  
 المثارة حوله ، واستخراج الجهال من الكهوف المطروحين بها لتمتلي صدورهم بأنفاس الحقيقة  
 الرحبة .

لقد تدبرت أفكاراً وسيراً شتى لجمهور من العصاة والأراذل ، فوجدت أن الجهل الفاضح ينسج  
 حولهم غلالة قائمة ، ويذرهم أشبه بقطعان الدواب في قصور الإدراك ، وعوج العمل ، وشدة  
 الغفلة ، وانظر ما يفعل الله لنبيه إذ بعثه في العرب الأولين : ( لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ

## وصايا للدعاة

غَافِلُونَ \* إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ \* وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (يس: ٦ - ٩) ، هذه صورة مجتمع مجبوس وراء جدران معتمة لا يتسرب منها بصيص نور ، ومن ثم نرى أصحابه صرعى الذهول والجمود ، وعلاجهم - ولو لينقطع العذر - أن تزاح تلك السدود ، وتذوب هاتيك القيود ، ويسلط على عقول هؤلاء وقلوبهم فيض من الوحي ، ينقلهم من حال إلى حال .

إن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل ، ولا بد أن يُسَخَّرَ الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ ، كي ينصفوا الحق ، ويوصلوه إلى الخلق .

وأمر آخر ، إن العالم نفسه قد ينسى ، وتشغله فتن العيش وصوارف اللغو عن القيام بما ينبغي منه ، وهنا يجيء دور التذكير في إبعاد سنة الغفلة عنه ، وكم من مبتعد عن الجادة تكفيه في العودة إليها همسة ناصح أو صيحة زاجر ، فإذا هو راجع إلى رشاده مستقيم على الصراط ، قال تعالى : ( وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ) (الذريات: ٥٥) .

وعمل الواعظين - في أغلب الأحيان - هو ذلك التذكير النافع ، وهو تذكير لا يستغني عنه الناس يوماً ، إذ طالما يعصف النسيان بأفكارهم، ويعتهم على السير في الحياة دون وعي أو هدف، أليست تلك طبيعة البشر؟ قال تعالى: ( اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ \* مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَعْبُونَ \* لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ) (الأنبياء: ١ - ٣) .

وإسناد اللهو والهوى إلى القلوب يومئ إلى تغلغل الصوارف عن الجسد ، واستحواذها على صميم الإنسان ، والنسيان بهذه الصفة مساو للجهل، فإن نتائج " فقدان الذاكرة " هي - نفسها - نتائج عدم العلم ، ولذلك يقول الله جل شأنه: ( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) (الحشر: ١٩) .

وقد تتساءل : كيف ينسى المرء نفسه لأن نسي ربه ؟ أو تقول : إنما نسي ربه لأنه ذكر نفسه ! والجواب أن المنافقين المندفعين وراء شهواتهم المستغرقين في إشباع مطامعهم وورغائبهم لا يذكرون شيئاً من مصالحهم الحقيقية ، ولا يستفتحون طريقاً يصون لهم معاشاً أو معاداً .



إنهم يرتعون في الدنيا رتع الدواب في الربيع حتى تهلك بشمًا واعتلالاً ، والشخص الذي تصرعه أهواؤه لا يدري شيئاً عن حاضره ولا مستقبله ، ولذلك يعتبر ناسياً نفسه ، إنما جاء نسيانه لنفسه من نسيانه لربه ، ولو ذكر حقوق الله وانتصب لأدائها لآتاه الله رشده ، وبصره بما ينفعه ، ويرفعه ومسكته بما يضمن العافية له في دينه ودينه .

التذكير المستمر ضرورة إذن للناس جميعاً، ما بقوا بشراً مطبوعين على النسيان ، وما اختلف عليهم الليل والنهار ؛ ذلك أن اختلاف النهار والليل ينسى ، كما قال الشاعر : وترداد الحاجة إلى التذكير في بيئة عن بيئة ، فالبيئة الساذجة الخشنة ليست خطراً على العفة كالبيئة المشحونة بالمغريات المستثيرة للكوامن ، ومن ثم فنحن نرى العصر الحاضر يوجب على حملة الإيمان حراساً أضعافاً مضاعفة من اليقظة والحماسة لحماية الدين وأخذ الناس به ، وردهم كلما طاش لب أو أفلت قياد .

الدعوة إلى الحق واجبة في كل حين ، وهي في هذه الأيام أوجب ، والدفاع عن الحياة مطلوب ، وهو عند تحرش الذئاب ، وإحاطة الأخطار أحفز للحس وأدعى للاستعداد والانقضاض ، والسبيل إلى الله مهددة الآن بمحافل من الملحدن والفساق تجر العامة جرّاً إلى الجريمة وتصرفهم صرفاً عن العبادة ، وتزين لهم بألف وسيلة ، أن يهجرُوا الإيمان والعمل الصالح ، وتلك حال تنفي النوم ، وتقض المضجع ، وهي حال تذكرنا بالخصائص الاصيلية في هذا الدين العظيم ، دين الإسلام ، إنه دين حريص على تجلية الحق ومقاومة الباطل ، يجار بالدعوة ويصرخ بتوحيد الله ، ويهيب بالناس أن يقبلوا على الصلاة والفلاح بكرة وأصيلا ، دين ، ما إن يرى المنكر حتى يشتبك معه ، وينفر منه ، ويطوي الأفتدة على كرهه ، إنه دين لا يهادن الضلال لحظة . إن استطاع تغييره فعل ، وإلا ترك في القلوب فيه تغييره عند ما تسنح فرصة ، لقد زود الله هذا الدين بأسباب البقاء التي أعوزت ديانات سابقة ، فتلاشت تحت ضغط الوثنيات الجاهلة حيناً ، أو تحت ضغط الجبروت الحاكم حيناً آخر ، مصارع الديانات السماوية القديمة - لا مصارع بعض النبيين - هي التي جعلت العناية العليا تزوده بكتاب " لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان " بعد أن بادت كتب وطمس التحريف والإفك معالمها ، وبعد أن لانت أحكامها وتعاليمها للوُضاعين وعباد الهوى .

## وصايا للدعاة

وهذه التجارب القديمة نفسها هي التي جعلت الإسلام يغالي بقاعدة الأمر والنهي ، فليس الصلاح أن تعبد الله وتحيا مسلماً لمجتمع عاهر ، هذه عبادة مزيفة ، لا تنسب صاحبها إلى تقوى ، العبادة الصحيحة هي التي تدفع صاحبها إلى إنكار المنكر على درجة ماء ، جهد الطاعة ، والإسلام دين يتحرك بالحق ، ولا يسكن به ، إن الحركة سر الحياة ، والركود طريق الموت ، ومن هنا وصفت أمة الإسلام بالخاصة الأولى في دينها ، وهي الغيرة على الحق ، وطبع الحياة الخاصة والعامة به ، قال تعالى : ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ) ( آل عمران : ١١٠ ) .

ومهما ساء الأمر وأظلمت الدنيا ( فلا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ) .

## ٨٥- الوسائل النبوية في الدعوة إلى الله

أرسل الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأمره بالبلاغ والبيان، وإيصال الدعوة إلى كل من يمكنه إيصالها إليه ، فقام النبي بهذا الأمر حق القيام، ولم يدع صلى الله عليه وسلم سبيلاً يمكن من خلاله أن يدعو إلى الله إلا سلكه ، ولا طريقاً إلا ولجه، فأرشد الدعاة بعده إلى استعمال كل وسيلة مهما تيسرت أسبابها وكانت مشروعة ، ومن الوسائل التي استخدمها المصطفى عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله :

أولاً: الدعوة الفردية

فكان في بداية الدعوة يتلمس أصحاب العقول الوافرة والأنفس الزاكية والأخلاق الحميدة فيعرض عليهم دعوته ، ويشرح لهم أصولها، ويدعوهم للإيمان بالله، فاستجاب له البعض الذين كانوا نواة أمة الإسلام : كأبي بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب وأمنا البرة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

وكان غالب استخدام هذا النوع من الدعوة في بداياتها في مكة كما حدث مع الطفيل الدوسي ، وأبي ذر الغفاري ، وغيرهما .. ولم ينقطع هذا الأسلوب في الدعوة بالهجرة، ولكنه بقي طريقاً

من طرق الدعوة إليه سبحانه لا ينقطع أبداً، ويمكن التمثيل له بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجاره اليهودي عند عيادته في مرضه فعرض عليه الإسلام فأسلم .

ثانياً : الدعوة الجماعية

وكانت نواتها أيضاً في مكة حيث كان يدعو الرهط من قريش ، ثم كانت مع وفد الأنصار في العقبتين الأولى والثانية ، ثم استمر ذلك بعد دخول عدد من المدعوين في الإسلام ، فكان يلقيهم النبي في دار الأرقم .. وفي المدينة أخذت هذه الوسيلة من وسائل الدعوة صوراً عدة ، منها الخطابة ، والمواعظ ، وغيرها .

ثالثاً : الوعظ والتذكير

وقد كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يتحول أصحابه بالموعظة مخافة السامة والملل ، وكان ينتهز كل فرصة مواتية تجمع المسلمين ليوجه إليهم رسائل وعظية وتذكيرية نافعة، منها ما رواه الترمذي من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه قال : " وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وزرقت منها العيون فقلنا كأنها موعظة مودع فأوصنا ، فقال : أوصيكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة " . رواه الترمذي وقال حسن صحيح

رابعاً: القصص والأمثال

وهذه وسيلة من أنفع الوسائل وأيسرها على قلب المدعو وسمعه ، وهي وسيلة محبة للكبار والصغار وأثرها يبقى في القلب أكبر وقت ، واستخراج الفوائد منها والمقاصد من ورائها أمر يسير لذلك استخدمها القرآن الكريم للتعليم وتثبيت قلوب المؤمنين كما قال تعالى : " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين " ، وقال سبحانه : " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين " .

وكما ملأت قصص الأنبياء السابقين والأمم السالفة كتاب الله ، كذلك ذخرت سنة المصطفى بهذه الوسيلة من وسائل الدعوة كما في حديث الثلاثة أصحاب الغار ، وقصة الأبرص والأقرع

## وصايا للدعاة

والأعمى ، وقصة صاحبي جرة الذهب ، وقصة المتدائنين من بني إسرائيل .. وغيرها من القصص المليئة بالعبر والعظات والتي تعلم منها الصحابة وما زلنا نتعلم نحن أيضا منها.

خامسا : إرسال الرسل

فكان صلى الله عليه وسلم يرسل من علماء الصحابة رسلا إلى البلاد ليعلموهم دين الله عز وجل ، وكان هذا الأمر مبكراً فأرسل مصعب بن عمير إلى المدينة ، ولم يمنعه ما حصل لأصحابه في بئر معونة وبعث الرجيع من أن يستمر في هذا النهج الصالح والطريق النافع ، فأرسل معاذاً إلى اليمن ، وأبا موسى الأشعري وعلي بن أبي طالب كذلك إلى اليمن ، وغيرهم إلى بلدان أخرى.

سادسا : الكتابة

فكاتب النبي صلى الله عليه وسلم الملوك والرؤساء ، داعياً إياهم إلى الدخول في دين الله ، والنجاة بأنفسهم وأقوامهم فأرسل إلى هرقل عظيم الروم ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى النجاشي ملك مصر ، وإلى أكثر الملوك في عهده ، وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه: "أن نبي الله (صلى الله عليه وسلم) كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار ، يدعوهم إلى الله تعالى .."

سابعا : تأليف الناس ببذل المال

ففي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : " ما سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيئاً قط فقال : لا " .

وفيه عن أنس عن مالك رضي الله عنه قال: " ما سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الإسلام شيئاً إلا أعطاه قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى الفاقة فقال أنس: إن الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها" .

وروى مسلم أيضا: "أنه عليه الصلاة والسلام أعطى صفوان بن أمية - يوم حنين - مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة. قال ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد

أعطاني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ".

ثامنا: الجهاد في سبيل الله عز وجل

قال الشيخ ابن باز يرحمه الله : وهو أعظم الوسائل التي استخدمها (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة إلى الله عز وجل، وهو من أعظم وسائل الدعوة الباقية إلى يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام (بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي) [أحمد في المسند عن ابن عمر ٢٩/٢ / ٥٠]، فالمقصود من الجهاد إقامة دين الله على وجه الأرض ونفي الفتنة والشرك عنها واقتلاع جذور الطواغيت الذين يحولون بين الحق والناس: وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ... [البقرة: ١٩٣]، وقال تعالى: [وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .. [الأنفال: ٣٩].

وقد كان قتاله (صلى الله عليه وسلم) كله جهاداً لإعلاء كلمة الله ودعوة للخير، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما قاتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوماً حتى يدعوهم" [المسند ٢٣١/١]، وفي رواية: "ما قاتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوماً قط إلا دعاهم". وقال لعلي رضي الله عنه عندما بعثه في غزوة خيبر: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام ...." [البخاري ح: ٣٧٠١]، وفي حديث بريدة: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا أمر أحداً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: "اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم.. [مسلم ح ١٧٣١]،

"فالجهاد ضرورة للدعوة سواءً أكانت دار الإسلام آمنة أم مهددة من جيرانها، فالإسلام حين يسعى إلى السلم، لا يقصد أن يؤمن الرقعة الخاصة التي يعتنق أهلها العقيدة الإسلامية، إنما هو يريد حالة السلم التي يكون الدين فيها كله لله، أي تكون عبودية الناس كلهم فيها لله، والتي لا يتخذ فيها الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله..

## وصايا للدعاة

وقد كانت هناك أساليب أخرى استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته ولكن فيما ذكرناه غنية نستدل بها على أنه صلوات الله وسلامه عليه كان يستخدم كل ما أتيح له من أسباب وهيب إلى من وسائل في دعوته إلى ربه تبارك وتعالى ، وفي هذا تعليم للدعاة بعده ليسلكوا سبيله ويسيروا على دربه " قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين .

## ٨٦- الترغيب

هو الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله تعالى ، وقد جاء في الكتاب والسنة مقروناً ببشريات مشهورة وحكم مذكورة .

والدعاة عندما يُعرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة ، ونستطيع أن نذكر أمثلة لهذا الأسلوب من النصائح الشائعة في الإسلام :

(١) قد تُطلب الطاعة من الإنسان ؛ لأن أمر الله تعالى يجب أن يُلبي ، فالله سبحانه ولي الأمر ، وولي النعمة ، الخالق من عدم ، المطعم من جوع ، الكاسي عن عري ، الساتر من فضح ، فحقه إذا أمر ، أن نسارع إلى إجابته ، وأن يرانا عند إرادته ، من يُطاع إذا جُحد أمره وأُهمل شرعه ؟ كيف نخلع طاعته من أعناقنا ، وهو أولى من يُهرع إلى ساحته ، ومن يُقال له : سمعنا وأطعنا ؟ قال الله تعالى : ( قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدُمُونَ \* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ \* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ \* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ) ( الشعراء : ٧٥ - ٨٢ ) .

وتعليل الطاعات المطلوبة بهذه العلة يحتوي على قدر من الحق لا شك فيه .

(٢) وقد نطلب من الناس التحلي بمكارم الأخلاق ، والتزام العدالة في المكارم والارتقاء بالسلوك العام إلى مستوى يليق بأجداد الإنسان ، خليفة الله تعالى في أرضه ، وتغريهم على ذلك بأن هذه أشياء حسنة أمرنا الله تعالى بها ، وهو لا يأمر إلا بالحسن . قال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ) ( النساء : ٥٨ ) .

أجل .. نعم ما يعظنا الله تعالى به .

وفي بيان أسرار ذلك الحسن المنوه به يمكن أن نوضح طرفاً من معنى الخير ، في الصدق ، والعفة ، أو الصلاة ، والصوم ، كاشفين حقيقة الوصايا الإلهية ، وأنها لا يمكن أن تنطوي أبداً على شر مردول . قال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) (الأعراف: ٢٨ ، ٢٩) .

والترغيب في الخير بهذه العلة يحتوي على قدر من الحق لا ريب فيه .

٣) وقد تحض الناس على تقوى الله تعالى والمبادرة إلى إقامة حقوقه ورعاية حدوده ، وتحري مرضاته في كل ما طلب .. لماذا ؟ لأن الضمير البشري الزكي لا يمكن أن يتألق بين حنايا الإنسان ويختص به بين متاهات الحياة ، ودسائس الأهواء ، وفتن الشياطين إلا إذا كان موصولاً بالله تعالى يستلهمه الرشد ويستمد منه العون ويستدره التوفيق . قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ) (الحديد: ٢٨) ، وقال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكْفَرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ) (الأنفال: ٢٩) .

والفرقان المجمعول ، هو البصيرة التي يستهدي بها المؤمن ، فلا يخلط بين حق وباطل، وهو النور الذي يمشي به فلا يزل ولا يحار ، وكل إنسان في الدنيا بحاجة إلى هذه البصيرة الهادية لتتقده من المشكلات وتنحو به من الملمات .

والترغيب في تقوى الله تعالى - لهذه العلة - يتضمن جزءاً من الحق لا شك فيه.

٤) وقد نرغب في الإيمان والعمل الصالح ؛ لأنهما سبيل العيش والرخد وضمنان الحياة السعيدة .

والمرء بطبيعته يحب النفع العاجل ، ويؤثر أن يجني ثمار استقامته وفرةً وأمناً وسترًا ، ونحن نرى الإطماع بسعة العيش ويسر الرزق ينتقل في شتى الرسالات ، ألا ترى نوحًا - عليه السلام - يقول لقومه : ( فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ) (نوح: ١٠ - ١٢) ، ثم يجيء على لسان رسولنا - صلى الله عليه وسلم - : ( وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ) (هود: ٣) .

ثم هو يعد الجماعة المؤمنة بالنصر والتمكين ، وانقضاء أيام الفزع والرهبة ، وطلوع فجر السيادة في الأرض ، والطمأنينة عليها . قال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) (النور: ٥٥) .

وهذه العدة الجميلة من أسباب البقاء على الإيمان وتحمل مشاق الرسالة ، والترغيب في الخير بهذا الأسلوب يتضمن قدرًا من الحق كذلك لا مرية فيه .

٥) وقد ندفع الناس إلى الرضا بمكافئه الحق ، واحتمال تكاليف الإيمان بما قد ينتظرهم هناك في الدار الآخرة من نعيم مقيم ومترل كريم .

ألا ترى الفارس المسلم " جعفر الطيار " يخوض غمرات الموت ويواجه حر الكفاح ولفحه المظمئ وهو يرتجز :

يا حَبْدَا الْجَنَّةِ واقترابها طَيِّبَةٌ وباردًا شراها

إن الدنيا منقضية لا محالة ، إذ من الذي خُلد فيها قبلنا ؟ فكيف يمهّد الإنسان لنفسه حياة بعدها ؟

إن الألوان الزاهية التي اصطبغت بها أوصاف الجنة تغري بالزاد المقرب إليها ، وتجعل العاقل يستكثر منه ويدخر . قال تعالى : ( وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا \* عَلِيَّهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا \* إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ) (الإنسان: ٢٠ - ٢٢) ، وقد اطرّد في القرآن الكريم والسنة المطهرة نعت الجنة بما يجعلها أمنية المتقين ، ومستقر الركب المتحل بعد سفر طويل .

والترغيب في الصالحات بهذا الأسلوب مستقيم مع الحق ، ولا شيء فيه

## ٨٧-الترهيب

كما تُفاد النفس عن طريق الرغبة تُفاد عن طريق الرهبة ، فتكف عن الرذيلة ورجلا مما يعقبها من منغصات ، أو تندفع إلى الفضيلة خوفًا من مغبة التراخي والتفريط .



١- فالذي يشتهي لذة محرمة قد تقمع سورتها في نفسه بذكر الله ذي الجلال ، والذي يستهين بالحقوق ويغير بقوته فيجتاحتها دون مبالاة ، قد تخوفه بذوي الجبروت ، الذي إذا سخط عليه خسف به ، والله سبحانه وتعالى قوي متين، وعزيز ذو انتقام ، وديان لا يموت . والتخويف به حق .

وأثر الخوف بعيد المدى ، إنه في الدنيا يصنع الكثير ، فالطالب الذي يخشى السقوط يُحصّل علومه ، والتاجر الذي يخاف الإفلاس يضاعف نشاطه ، والموظف الذي يكره التخلف يثابر في عمله ، ولذلك قال يحيى بن معاذ: "مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة ."

وترك المعاصي تهيأ لله واتقاء سخطه دين ، ومن حق الله أن يهاب ويخشى، وفي حكم الصالحين : " لا تنظر إلى صغر الخطيئة ، ولكن انظر إلى من عصيت " ، وقال علي - كرم الله وجهه - : " إذا استعظمت الذنب فقد عظمت حق الله ، وإذا استصغرت فقد صغرت حق الله ، وما من ذنب استعظمته إلا صغر عند الله ، وما من ذنب استصغرتة إلا عظم عند الله ... " .

والخوف الذي يتحدث الشارع عنه ليس شعور قلق تهمز به النفس ، ويذهب فيه اتزانها ، ويكون ما يُسمى الآن عقدة .. كلا ، إنه إحساس فطريٌّ يؤدي نتائجه في سهولة ، فالنظيف - مثلاً - يتقي الأقدار ، ويخاف دنسها ، ويحتاج أن يعلق ببدنه أو ثوبه شيء منها ، وهذا الخوف كمال نفسي ، وليس مرضاً ولا شبه مرض .

٢- والترهيب من الآثام قد يعمد إلى إبراز ما فيها من قذارة لا تليق بالإنسان العالي الشأن ؛ فالإسلام يسمي المعاصي قاذورات ، وينأى بالفطرة السليمة أن تتدلي إليها ، فضلاً عن تألف مواطنها ، والحقيقة أن المتأمل في أحوال المجرمين يرى مسخاً غريباً في أنفسهم ، حتى لكأنهم يتحولون إلى أنواع من السباع والدواب ، وإن ظلوا في إهاب البشر ، ولا عجب ، فالمرء الذي يُمرن على الرذيلة ويستمرئها يصل إلى درك من السوء لا أمل بعده في سلامة، وهذا معنى قول الحسن : " إن بين العبد وبين الله حدًّا من المعاصي معلوماً ، إذا بلغه العبد طُبع على قلبه فلم يوفق بعدها إلى خير " ، وهذا هو المسخ الذي وقع مثله لبني إسرائيل لما عتوا عن أمر الله .

والمغالاة بكرامة الإنسان ، وإفهامه أن المعاصي لا تليق بمرتله هي التي أوحى إلى " ابن القيم " أن يقول :

فحي على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المحيّم

إن سوط الإرهاب تحوّل هنا إلى صوت عذب وحذاء رقيق والمعنى واحد ، ولعل من ذلك قول عمر - رضي الله عنه - : نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه .. " .

والكشف عمّا في الرذيلة من قبح ، شائع في الكتاب والسنة ، انظر كيف نصح الله أولياء اليتامى : ( وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ) (النساء: ٩) .

وانظر إلى نصح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للرجل الذي يجب الزنا ، كيف قال له : % (أتحب أن يكون لكذا ، وكذا ؟) % من محارمه .

إن هذا النصح يبين خاصة من خواص البشر ، تحدّث عنها علماء الأخلاق ، وهي أنه شذوذ لا يمكن أن يتحوّل بين الناس قانوناً عاماً .

٣- وقد نخوف من الذنوب ومواقعتها ، ببيان خطرهما على الإيمان نفسه ، فالمعاصي يريد الكفر ، واقترافها - دون حذر - فجور يدل على موت القلب .

وفي الحديث : ((إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا .. فطار)) ، ذلك أن الإيمان هو الصانع الأوحد للضمير الذي يوثق به ، فإن مراقبة الله جل شأنه أساس مكين في توقي الشرور والتحرز من الدنيا .

ولأمر ما أقسم الله بالنفس اللوامة ، والنفس اللوامة هي التي تترفع عن الإثم ، وتنفر عن مقارفته ومن مؤالفته ، وتدفع صاحبها أبداً إلى حال أركى ودرجة أرقى ، كأنها لا ترضى بما هي فيه حتى تنتقل إلى مرحلة أطيب ، فإذا بلغت تكشف لها ما هو أعلى فتتشدّه ، وهكذا دواليك حتى تلقى الله .

ولأمر ما طُلبت منا التوبة النصوح ، والتوبة النصوح هي التي يتولد منها إحساس يقظ كأنه ديدبان حارس ، كلما دلف الشيطان ليزل الإنسان إلى معصية ، نبه إلى الخطر ، وحمي من السوء .

والنفس اللوامة والتوبة النصوح تسميتان تشيران إلى ذلكم الضمير الديني الوازع عن الشرور والباعث على الطاعات .

٤ - وقد يكون الإرهاب عن المعصية ببيان شؤمها في العاجلة وضررها الذريع في جسم الإنسان وأهله وولده ومكانته .

وبذلك يتزجر الإنسان عن مواقعها خشية ما يصيبه من بلائها كأنه طائر أبصر الحب في الفخ فعلم أن حتفه فيه لو وقع عليه ، فهو يتركه نجا بنفسه ، وطلباً للسلامة .

والواقع أن المعاصي مفتاح لمصائب فادحة وكره حسام ، والرتع فيها يجر الويلات على الأفراد والجماعات ، قال تعالى : ( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ) (الشورى: ٣٠) ، ولولا أن الله يهب للخلائق فسحة ليستفيقوا ويقالوا لكان الحق هو الجزاء السريع لمخازيهم ، وتلك رحمة من الله، فهل يستغلها العصاة ؟ قال الله تعالى : ( وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ) (فاطر: ٤٥) ، وهذا التأخير لا يعني إرجاء العذاب إلى يوم القيامة ، فإن لكل سيرة رديئة أجلاً موقوفاً تستحق عنده العقوبة ، ثم تنزل بالفرد أو الجماعة في هذه الدنيا قبل الآخرة ، قال تعالى : ( وَلَنذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) (السجدة: ٢١) ، وقد انتشرت في الكتاب والسنة النذر بتلك العقوبات العاجلة .

روى البيهقي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : % (يا معشر المهاجرين ، خصال خمس ، إن ابتليتم بهنّ ونزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهنّ :

١ - لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون وظهت الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم .

٢ - ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان .



- ٣- ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يُمطروا .
- ٤- ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم .
- ٥- وما لم تحكم أمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم شديد .% .
- وفي الحديث : % (خمس تُعجل عقوبتھن : البغي ، والغدر ، وقطيعة الرحم ، وعقوق الوالدين ، ومعروف لا يُشكر) % .

وفي القرآن الكريم بيان لعقوبات نزلت بأمر تمردت على الله وجارت عن الطريق، فسلبت النعمة التي طالما مرحت فيها ، وحل بها ما لم تكن تتوقع ، قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَّآ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ \* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَنَنِيهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ حَمَاطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ) (سبأ: ١٥ - ١٧) ، وقال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ) (النحل: ١١٢) .

على أن عقوبات الآحاد والأمم تخضع لسنن عليا ، وتضبطها آماذ ليس إلا الله يعلم مواعدها ، وقد كان الأنبياء من نوح إلى محمد - صلى الله عليهم وسلم - يوجلون من تحديد هذا الموعد ، ويجيبون المستهزئين والمستعجلين بأن ذلك ليس إليهم، قال الله تعالى : ( قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ) (هود: ٣٣) ، ويجري الله على لسان نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - هذا القول : ( مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ) ( الأنعام: ٥٧) .

وقد نرى أفراداً وأماً تُستدرج إلى مصيرها الفاجع بكثرة النعم - على ما فيهم من معاص - وفي هذا يقول الله عز وجل : ( وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ) (التوبة: ٨٥)

( لا يُعْرَتُكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ) ( آل عمران: ١٩٦ ، ١٩٧ ) .

وقد نرى آحاداً من الناس يرتكبون الذنب أيسر مما يصنع أولئك الفجرة ، فيعاقبهم الله بشيء من الحرمان كما جاء في الحديث : % (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)% ، وذلك منه سبحانه تأديب لمن يريد تقويمهم في الدنيا ليلقوه في الآخرة مطهرين .

٦- وقد نحض الناس على أنواع الخير ، ونحجزهم عن ضروب الشر ، بذكر الآخرة وما في جهنم من عذاب شديد ، ومهانة بالغة ، قال تعالى : ( فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا \* السَّمَاءُ مَنفُطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ) ( المزل: ١٨ ) ، فخوف من الكفر بعذاب يوم القيامة ، وقال تعالى : ( وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا \* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا \* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ) (الإنسان: ٨ - ١١) .

وفي الحديث : % (اتقوا النار ولو بشق تمره) % ، وفي الحديث أيضاً : % (دخلت امرأة النار في هرة حسبتها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) % .

والتخويف بالنار ، ووصف صنوف العذاب المعد فيها يستغرق جزءاً كبيراً من الكتاب والسنة ، وما دامت النار حقاً ، وما دامت معدة للسفلة يقيناً ، فلم يكن التخويف بها عيباً؟؟

فعلى الدعاة أن يستخدموا هذا الأسلوب الذي بينه لهم القرآن ، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته ، (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

## وصايا للدعاة

الخطابة من شعائر الإسلام ، ودلائل بالحياة وسعيه إلى الامتداد ، وربما كان تأثيرها الروحي نفاذاً أحياناً ، خصوصاً إذا كان الخطيب صاحب عقيدة تزحم أقطار نفسه ، وتضطرم بها مشاعره . إنه حينئذٍ يشعل الجماهير حوله كما تشمل النار الهشيم .

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثلاً أعلى في صدق اللهجة وعمق التأثير ، وكان إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، كأنه منذر جيش يقول : ((صبحكم ومساكم)) ، ويقول : ((بعثت أنا والساعة كهاتين)) ، ويقرن بين إصبعيه للسبابة والوسطى ، ويقول : ((أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ...)) .

ولما كانت نفس الخطيب المؤمن تشبه مولداً للكهرباء ، فإن الإيمان ينسكب من نفسه مع ألفاظه يشق طريقه إلى القلوب شفاً . ومن ثم كان الجليل الذي صحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير الأجيال ، لعظم ما أفاد منه وانتفع به وأفاد الدنيا ونفع .

ومع هذه المترلة للخطابة فإن لها قسماً لا يقل عنها جدوى ، ولا تستغني الدعوة عنه أبداً ، وهو الكتابة ، بل إن ما ارتبط بالخطابة من أحواء عاطفية يجعل مجالها متجهاً إلى المشاهدة قبل كل شيء ، وإن اعتمدت على سلامة المنطق بداهة ، لكن الكتابة على العكس ، تتجه إلى العقل وتقوم على الاستعراض المنظم المتأني للأدلة المؤيدة والمفندة ، ولا بأس أن ينضم إلى ذلك أسلوب جيد وسياق جذاب .

ثم إن الخطابة موقوتة الفرص ، منتهية بانتهاء مجالسها ، وانفضاض مجامعها ، أما الكتابة فهي أخلد على الزمن وأعصى على الفناء ، والواقع أن الخطب النفيسة ، تتحوّل إلى أدب مكتوب ، فإن كانت حافلة بعلم نافع أو وعظ بليغ كان بقاؤها في الصحائف امتداداً في إمكان النفع بها ، وإن كانت صاحبها قد مات ، وضاع الأثر المقترن بسماعها منه وهي تنبض بالحياة من فمه ، وتخرج مفعمة بخصائص نفسه !

والكتابة المؤلفة في خدمة الرسائل المختلفة كثيرة ، ومداهها في نشر الدعوات بعيد ، وحسبنا أن الإسلام يعتمد في خلوده ، ونضارة رسالته ، وتجدد دعوته على كتاب فذ هو معجزة الدهر ، وصوت السماء الصدوق المبين ، قال تعالى : ( لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ

مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: ٤٢) ، ومنذ بدأ الإسلام والمؤلفون دائبون على مدرواته بالقلم ، حتى لقد رُوي في الأثر - مبيّنًا لهذا الجهد - (يوزن مداد العلماء بدم الشهداء يوم القيامة) .

والكتابة العلمية تزحم تراثنا الثقافي ، وتدفع به إلى الطليعة في الموارث الأدبية لأهل الأرض ، بل نستطيع الجزم بأن دينًا من الأديان ، أو مبدأ من المبادئ لم يصنع الحركة العقلية الجبارة التي صنعها الإسلام في العالم ، والتي أنشأ بها حضارة مازالت فيها كل الغنى بأسباب القوة والازدهار ، والمنقبون الآن في مخلفات الفكر الإسلامي كأنما ينقبون في أرض مليئة بآبار البترول أو مناجم الذهب والحديد ، كلما بحثوا عثروا على كنوز مدفونة ، وخير خيء ، وعظمة غطاها التراب !! ولا عجب ، فإن الفجر الذي طلع به القرآن الكريم على الوجود ، أنعش العقل الإنساني إنعاشًا لا نظير له ، وأطلقه ينشط ويجوب ويكدح .

وإذا كان هناك مأخذ على هذا النشاط ، فهو أنه بلغ أحيانًا حد الإسراف الذي يجهد ولا يغني

وطبيعي أننا في تلك الأوراق المحدودة لا نؤرخ ولا نتابع الكتابة العلمية لنشر الدعوة الإسلامية وإيضاح أصولها وفروعها ، فذاك مبحث تفرد له مجلدات ، وإنما نريد هنا إثبات ملاحظتين صغيرتين تتعلقان بموضوعنا :

أولاهما : أن الكتابة الأدبية في خدمة الإسلام ليس لها اتساع الكتابة الفنية وانتظامها ، وأعني بالكتابة الأدبية ما يدكي العاطفة الإنسانية بعد ربطها بالإسلام ، وأخذها بتعاليمه وعباداته ، وقد تكون للصوفية كتابات ، وأخطأؤهم الكثيرة تشوب هذا اللون من الأدب وتجعل الاستفادة منه عسرة أو خطرة .

وفي عصرنا هذا ارتقت الكتابة الأدبية التي أنوّه بها في آثار رجلين جليلين هما: الشاعر الهندي محمد إقبال، والأديب العربي مصطفى صادق الرافعي في كتابه ( وحي القلم ) ، والذي أريده ، لون من الأدب الديني يرسم معالم الإسلام كما يرسم الشاعر المفتون بالطبيعة الحدائق الناضرة ، والسماء الضاحية ، والنجوم الزهر ، والليل الساجي . نحن فقراء في هذا الضرب من الكتابة الراقية ، مع شدة الحاجة إليها في تربية العواطف وصقلها باسم الله .



والملاحظة الأخرى: أن الكتابة العلمية - التي استبحرت قديمًا ثم جمدت أيام الانحلال والتخلف وهجوم الاستعمار - لا تزال دون تقدم الوعي الإنساني في هذا العصر ، ودون اتساع دائرة التعلم والتعليم ، وانكماش الأمية الفكرية في كل قطر .

إن المحدثين مازالوا عالة على القدامى ، ولولا صلاحية القرآن لشتى الأعصار لكان تخلف المسلمين العلمي سببًا في زوالهم ، والمطلوب أن ينتفض الجيل المعاصر انتفاضة الحياة ، ويشرع في خدمة الإسلام ، الخدمة العلمية المناسبة لهذا العصر .

وإني لأذكر - محزونًا مكروبًا - أن العلماء المحددين لأمر الإسلام يكافحون في وجه عنت هائل ، ويبدلون جهود الجبايرة ثم يطويهم الجهل والغمط والنكران ، فما يكاد ينتفع بآثارهم إلا الأقل .

لقد مات محمد فريد وجدي بعد حياة مليئة بالمجد العلمي ، وها هو ذا قد مرت بضع سنين على موته ، فما ذكره أحد بكلمة رثاء ، ولا طبع له كتاب نقد ، ويوشك أن يطويه ومؤلفاته النسيان ، فما هذا ؟ والحال كذلك بالنسبة إلى الشيخ محمد رشيد رضا ، العالم الأديب الجليل الشأن ، وأعرف غيرهم من أصحاب الأسماء التي لم تحظ بالشهرة ، وإن أسدت للإسلام أعظم المنافع ، فالشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ، رتب " مسند ابن حنبل " وفق الأحكام الفقهية في خمسة وعشرين مجلدًا ، ومع ذلك فقد ترك الدنيا وكأنه رجل أُمي لم يخط حرفًا ، فضلاً عن أن ينشئ هذا العمل الضخم ، وإن قليلاً جدًّا هم الذين أحسُّوا فقده ، ولسنا نأسى على الموتى ، فقد أفضوا على الله تعالى الذي يضاعف الحسنات ، وإنما نأسى على الأحياء الذين لا يحسنون الانتفاع بثمرات المحددين الذين عاشوا مع الزمن يدفعون عن الإسلام ، ويجرسون أركانها ، ويجلون بريقه .

إن الكتابة العلمية الواجبة في هذا العصر يجب أن تتسع وتطرد ، وهناك أمور ذات بال نحب أن نلفت إليها حتى يؤدي القلم حق الإسلام عليه في ذكاء وحصافة ومقدرة ، وفق مقتضيات الأزمان



تعتبر قضية اللغة من القضايا الهامة التي مازالت تحتل المزيد من التأمل والتحرير والضبط ، إذ تتكرر الإشارات و التنبيهات على أهمية معرفة العربية و أهمية إتقانها لفهم الشريعة و مصادرها ، واعتبارها عاملاً أساسياً جامعاً عند الحديث عن أيّ محاولة جادة للوحدة الثقافية بين المسلمين . و في هذا السياق تبرز مسألة خطيرة لا بد من معالجتها بجرأة و أناة لما يترتب عليها من واجبات و مسؤوليات مضيعة في حياتنا الفكرية و العملية . وتتمثل هذا المسألة في أنه لا بد من التنبيه على قضية الدعوة و البيان و إقامة الحجة على الناس تحقيقاً للعدل الذي كتبه الله سبحانه على نفسه { و ما كنا معذيين حتى نبعث رسولاً } .

خاتم النبیین

فمن الحقائق الدينية المعلومة لدى الخاصة و العامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة ، وأنه خاتم النبیین ، وأنه لا نبي بعده ، و أنه أرسل رحمةً للعالمين . ومن الحقائق الدينية المعلومة بالضرورة أن القرآن الكريم عربي ، وأنه نزل بلسان عربي مبين، فلا بد لمعرفة معاني القرآن و لمعرفة مراد الله سبحانه من آياته وأحكامه ، لا بد من معرفة لسان العرب و معرفة تصاريف استعمالهم للعبارات والتراكيب ، حتى أن الإمام الشاطبي يقرر أن كل ما لا تفهمه العرب من القرآن فليس من الشريعة ، و يفوت المرء من معرفة القرآن بقدر ما فاتته من معرفة كلام العرب .

وضوح الحجة

ومن الحقائق الدينية المعلومة كذلك أن الله تعالى أراد أن تقع الحجة على الناس ببيان يفهمونه وهدى يدركون معانيه {ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة} ، {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} . وقد امتنَّ الله سبحانه على العرب أنه أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم يعرف طباعهم ويفهم طبيعتهم ومواقع حساسياتهم فوصفه الله تعالى بأنه {عزیز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} .

ومن جهةٍ أخرى ، فإن من الحقائق المعلومة أن نسبة من يفهمون العربية من سكان الأرض لا تعدو واحداً في المائة على أحسن تقدير . و هنا لا بد من سؤال : ما هي الوسائل التي يجب على المسلمين في كل حيل وفي كل عصر اتباعها ليؤدوا مهمة البلاغ المبين ؟

إن طرح هذا السؤال لا يأتي من قبيل الترف و السفسطة وإنما يأتي في إطار الاستجابة الواعية للمسؤولية التي حملها الله سبحانه لأمة القرآن بقوله تعالى : {وإنه لذكرٌ لك و لقومك و سوف تسألون} . و لعل من البدهاهة أن ننظر في الوسائل التي اتبعها المسلمون لتحقيق البلاغ المبين بين الأمم و الشعوب التي أرسل إليها محمد صلى الله عليه و سلم ، و منهم من لا يفهم لغته و لا يدرك من معاني قرآنه شيئاً ؟

والجواب على هذا السؤال على بساطته لا بد له من تحرير و ضبط ، رغم أن المرء يحسب أن الأمر كان على درجة من البدهاهة بحيث لم يجد من رواة الأخبار اهتماماً كافياً . فرغم أن النبي صلى الله عليه و سلم أرسل بكتبه و رسله إلى أربعة من ملوك عصره ممن لا يتكلمون العربية وهم هرقل و كسرى و المقوقس و النجاشي ، إلا أنه لم ترد تفاصيل الحديث عن الترجمة و الترجمان إلا في حديث هرقل مع أبي سفيان . و المهتم في الموضوع أن النبي صلى الله عليه و سلم أرسل هذه الكتب بالعربية إلى من يتحدث بغير لسانها ثقةً و معرفةً بوجود الترجمة و المترجمين . فكتبه و رسائله صلى الله عليه و سلم إلى ملوك عصره تشهد أن الحجة تُقام برسالة مترجمة و بيان مترجم .

روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش و كانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه و سلم عاهد فيها أبا سفيان و كفار قريش . فأتوه و هم بإيلياء فدعاهم في مجلسه و حوله عظماء الروم ثم دعاهم و دعا بترجمانه (إلى آخر الحديث) ..

و أفرد البخاري في صحيحه باباً لما يجوز من تفسير التوراة و غيرها من كتب الله بالعربية و غيرها ، لقوله تعالى (فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين). وقال ابن عباس: أخبرني أبو سفيان بن حرب أن هرقل دعا بترجمانه ثم دعا بكتاب النبي صلى الله عليه و سلم فقراه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل و {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ..} الآية .

وذكر البخاري في كتاب الأحكام عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمره أن يتعلم كتاب اليهود "حتى كتبت للنبي صلى الله عليه و سلم كتبه و أقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه" . وروى البخاري في كتاب الجزية و المواعدة عن جبير بن حية قال : ندبنا عمر و استعمل

علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو و خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً ،  
فقام ترجمان فقال ليكلمني رجل منكم ، فقال المغيرة سل عما شئت... الحديث .

تغير اللسان آية ومنة

ومن المعلوم أن الله سبحانه و تعالى لا يمتن على عباده في كتابه و على لسان أنبيائه بما يطالبون  
بإلغائه و البعد عنه و التحرج منه، فإذا اعتبر الله سبحانه اختلاف الألسنة و الألوان من آياته الدالة  
على تمام الحكمة و تمام القدرة كان في ذلك دلالة واضحة على أنه لا بد من التعامل مع ظاهرة  
التعددية اللغوية و قبولها و التعايش معها في إطار ثقافي يعترف بهذه التعددية و يبيي عليها ليؤصل  
التعارف و ينفي الحرج و العنت عن الناس و هو يدعوهم إلى شريعة الرحمة . ولقد كان الجيل  
الاول من المهاجرين الذين ضربوا في الأرض لنشر الهدى و العلم مثلاً لأبد من دراسته و كشف  
آليات الاتصال عنده، إذ لما اتسع سلطان المسلمين و مكن الله لهم في الأرض و اختلط المسلمون  
بشعوب و أمم مختلفة ، كانت الترجمة و المعاشية هي وسيلة الدعوة لفتح العقول و القلوب لحقائق  
الإيمان و قيم الإسلام و لم تكن قضية جواز الترجمة مطروحة أصلاً إلا من جهة خصوصية بيان  
القرآن الكريم ، أما أداء بعض الشعائر كالأذان و الصلاة و الخطبة بغير العربية لمن لا يستطيعها  
فتحدث فيه الأئمة لينفوا الحرج. ولقد كانت العربية هي لغة الثقافة و لغة الحضارة ، و لم يجد  
المسلمون حرجاً و لم يضيّقوا بوجود اللغات الأخرى من فارسية و تركية و هندية وغيرها  
تعايشت في ظل التسامح و التعارف و نقلت معاني أساسيات العقيدة و القيم و الأحكام إلى كل  
لغات الشعوب الإسلامية .

ثغرة ينبغي أن تسد

إنه لا بد للعرب الذين نزل القرآن بلغتهم أن يبحثوا هذه القضية بما تستحقه من جهد و تحليل  
و بحث لوضع و تأصيل خطة و معيار للترجمة و كيفيتها و ما يكتنفها من أمور لتكون البيان المبين  
الذي يقيم الحجة على الناس و يقطع أعدارهم . و لا يغنيهم في هذا أن يشيدوا بفصاحة القرآن  
و إعجاز القرآن و جمال تعابيره و صورته و تشبيهاته و استعاراته و إشراق بيانه ليعلنوا في نشوة  
الاستمتاع بلغة القرآن شعار " أن الترجمات لا تغني شيئاً " . وراجع إن شئت في هذا الباب  
كتاب كيف نتعامل مع القرآن للشيوخ الغزالي رحمه الله

إنه لابد من الإشارة إلى وجود هذه الثغرة في حياتنا الثقافية و من ثم لابد من فتح ملف هذه القضية الكبيرة التي تتصل بصلب عقيدة المسلم و تصوره عن مهمته و دوره في المجتمع الذي يعيش فيه . و على سبيل المثال يشتكى بعض إخواننا من المسلمين الأمريكيين أن الكتب التي تتحدث عن الإسلام بالانكليزية لا تستحضر ثقافة وروح أساليب ومصطلحات المخاطب ولا تستعمل لغته التي يفهمها أو النموذج العقلي الذي يألفه و يرتاح إليه ، فتغدو هذه الكتب غير مفهومة ومحدثة لبعض التشويش و الاضطراب ، بالإضافة إلى أن هذه الكتب تتحدث عن أمور و مشكلات مستوردة لا تتعلق بحقيقة ما يعانيه أو يهتم به إخواننا الأمريكيون . و يؤرق هؤلاء الاخوة أن الأمر يُعرض عليهم بصورة أن الفهم للإسلام لا يمكن إلا بتعلم العربية و إتقانها ، بكل ما يحمله هذا الاقتراح من عبء و جهد و وقت لا يمكنه .

وما يزيد المشكلة تعقيداً أنه ليس هناك جهد على مستوى خطورة المهمة لتطوير تعليم اللغة العربية ، و ليس هناك كتب مناسبة أو أدوات متخصصة لأداء هذه الأمانة. و يكاد المرء يذهل من غياب هذا الأمر و محدودية الجهود المبذولة فيه لدعوة عالمية حمل الله أتباعها مهمة القيام بالبلاغ المبين والشهادة على العالمين .

كما يزيد الأمر خطورةً زهد العاملين و من يُصنّفون في زمرة الدعاة بقضية اللغة ، فيكاد الواحد منهم يمضي السنوات الطويلة في بعض البلاد غير العربية دون جهد حقيقي لتطوير لغته و فهم منطق وثقافة القوم الذين يعيش بينهم ليتمكن من تحرير معاني الإسلام ورسائله العالمية الخالدة بلُغةٍ سهلة قريبة بعيداً عن العبء الثقيل لخصوصيات التاريخ و الثقافة العربية و الشرقية على وجه العموم .

وفيما يأتي نطرح بعض الاقتراحات في هذا الباب عسى أن تكون على الأقل فاتحةً ومقدمةً للحوار الجدّي التفصيلي في هذا الأمر الحساس:

- لابد من فتح ملف هذا الموضوع الخطير ليتم البيان المبين و تقوم الحجة على العالمين .

إعادة صياغة الحقائق

لابد من البدء بإعادة صياغة حقائق العقيدة الاسلامية بشكل بسيط مباشر يربط حقائق العقيدة بالتغيير المطلوب على مستوى النفس البشرية و العلاقات الاجتماعية والتفاعلات مع الكون

والحياة . وقد يكون في ما ذكره الإمام الشاطبي بعض العون على تحرير هذه القضية و خدمتها . فقد ذكر الشاطبي في كتاب المقاصد من "الموافقات" أن في اللغة العربية من حيث هي ألفاظ دالة على معان نظران أحدهما : من جهة كونها ألفاظاً و عبارات مطلقة دالة على معان مطلقة و هي الدلالة الأصلية . و الثاني : من جهة كونها ألفاظاً و عبارات مقيدة دالة على معانٍ خادمة و هي الدلالة التابعة. فالجهة الأولى هي التي تشترك فيها جميع الألسنة وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين و لا تختص بأمة دون أخرى . و يقرر الإمام أن أهل الإسلام اتفقوا على جواز ترجمة و تفسير معاني القرآن على جهة الدلالة الأصلية ، أما الوجه الثاني من الدلالة فهو كالتكملة و التتميم و لا يمكن ترجمة الكلام باعتبار هذا الوجه .

. لا بد من تحرير حقائق العقيدة و تخليصها من العبء التاريخي لواقع المسلمين و الممارك الكلامية و الخلافات و الجدل بين الفرق عبر العصور .

• لا بد من تحرير قيم الشريعة و تخليصها من مؤثرات الواقع المعاصر للمسلمين و مشكلاتهم الداخلية و الخارجية.

• لا بد من استيعاب الدراسات اللغوية و منهجية تعليم اللغات و ارتباطها بالثقافات و عادات التفكير عند مختلف الأمم .

• لا بد من تطوير طرائق تعليم العربية و إخراج المحاولات المتقدمة في مخاطبة جميع شرائح المجتمع بشكل يتناسب مع طبيعة كل منها.

## ٩٠- من هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في التعليم<sup>(١)</sup>

هذه وقفات يسيرة مع هديه - صلى الله عليه وسلم - في التعليم ، ولا شك أن هذا الباب واسع و يحتاج لاستقصاء و جمع لا يتيسر لأمثالي ، لكن هذا غاية ما توصلت إليه في بحثي القاصر ، ورحم الله من أفادنا بملاحظة ، أو إضافة ، أو توجيه .

عنايته بتعليم المنهج العلمي

(١) محمد بن عبد الله الدويش

ففي تربيته العلمية لأصحابه ما كان يقتصر على تعليم أصحابه مسائل علمية فقط، بل ربي علماء ومجتهدين ، وحملة العلم للبشرية . ولقد ظهرت آثار هذه التربية على صحابته في مواقفهم بعد وفاته من حادثة الردة ، وجمع القرآن ، وشرب الخمر ، واتخاذ السجون ، والخراج وغير ذلك من المسائل التي اجتهد فيها صحابته -رضوان الله عليهم- ، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام النوازل التي واجهتهم ، واستطاعوا أن يتوصلوا فيها للحكم الشرعي ، كل ذلك كان نتاج التربية التعليمية التي رباهم عليها - صلى الله عليه وسلم - ومن معالم تعاليمه المنهج العلمي :

### ١- تعويدهم على معرفة العلة ومناط الحكم

فلما سئل عن بيع الرطب بالتمر ، قال : ["أينقص الرطب إذا جف ؟"] ، قالوا نعم ، فنهى عن ذلك [رواه الخمسة] .. وحين نهامهم عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها قال لهم : ["أرأيت إن منع الله الثمرة بم تستحل مال أخيك؟"] [البخاري ومسلم] . وحين قال : ["وفي بضع أحدكم صدقة"] ، قالوا له : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ، قال : "أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه وزر" ، قالوا نعم ، قال : "فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجراً" [مسلم] .

ففي هذه النصوص علم أصحابه علة الحكم ومناطه ، ولم يقتصر على الحكم وحده .

### ٢- تعويدهم على منهج السؤال وأدبه

ففي موضع يقول : [إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم من أجل مسألته] [البخاري ومسلم] ، و : [إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال] [متفق عليه] . فها هنا يذم السؤال ، لكنه في موضع آخر يأمر بالسؤال ، أو يثني عليه : [ألا سألوأ إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال] [أبو داود] ، [لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث] [البخاري] .

### ٣- الإجابة بالقواعد العامة

سأله رجل : إنا نركب البحر ومعنا القليل من الماء فإذا توضعنا به عطشنا ، أفنتوضأ بماء البحر ؟ فلم يقتصر - صلى الله عليه وسلم - في إجابته على قوله نعم ، وإلا كان الحكم قاصراً على الحالة موضع السؤال وحدها ، إنما أعطاه حكم ماء البحر وزاده فائدة أخرى يحتاج إليها حين

قال: [هو الطهور مأوه الحل ميتته] (الترمذي وصححه) ، ويعني هذا أن ماء البحر له سائر أحكام الماء الطهور ، وليس فقط يجوز الوضوء به في هذه الحالة . وسئل : ما يلبس المحرم من الثياب ؟ ، فقال : [لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوباً مسه ورس ولا زعفران ولا الخفين] (الشيخان) ، فلم يعدد له ما يجوز للمحرم لبسه بل أعطاه قاعدة عامة فيما يحل وما لا يحل للمحرم لبسه .

٤- تربيته لأصحابه على منهج التلقي

[عن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال : وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، فقال : "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ] (الترمذي وقال حسن صحيح) ، وقال في وصف الطائفة الناجية : [من كانوا على ما مثل أنا عليه اليوم وأصحابي] (أبو داود) . وحين رأى مع عمر صحيفة من التوراة غضب ، ونهاه عن ذلك ، وقال : [لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي] (أحمد) .

٥- تربيتهم على منهج التعامل مع النصوص

خرج على أصحابه وهم يتमारون في القدر ، هذا يترع آية ، وهذا يترع آية فغضب حتى كأنما فقىء في وجهه حب الرمان من الغضب . وقال : [بهذا أمرتم ، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟! ، انظروا إلى ما أمرتكم به فاتبعوه ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه] (أحمد) .

٦- تعويدهم على الاستنباط

سأل أصحابه يوماً : "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنما مثل المسلم ، فحدثوني ما هي" . قال ابن عمر - راوي الحديث - فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت . ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : "هي النخلة" (الشيخان) .

٧- تربيتهم على القيام بواجب العلم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجم من نار " (أحمد) . وقال - صلى الله عليه وسلم - : " بلغوا عني ولو آية " (البخاري) . وقال - صلى الله عليه وسلم - : " نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع " . وقد روى هذا الحديث (٢٤) من أصحابه مما يشعر أنه قاله - صلى الله عليه وسلم - في أكثر من مناسبة .

وانظر إلى أثر هذه التربية في قول أبي ذر - رضي الله عنه - : " لو وضعتم الصمصامة - السيف - على هذه - وأشار إلى رقبته - واستطعت أن أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قبل أن تجهزوا علي لأنفذتها " (البخاري) .

#### ٨- ترغيبه أصحابه في العلم

ولا شك أن لذلك الترغيب دوراً كبيراً في إيجاد الحماسة لدى طالب العلم للتعلم ، والاستزادة من ينابيعه . فحين جاء ثلاثة نفر وهو جالس مع أصحابه فجلس أحدهم خلف الحلقة ، والآخر رأى فرجة فجلس فيها ، وأما الثالث فأعرض ، فقال - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك : " أما الأول فأوى فأواه الله ، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الثالث فأعرض ، فأعرض الله عنه " (البخاري) .

#### ٩- تشجيع الطالب والثناء عليه

سأله أبو هريرة - رضي الله عنه - يوماً : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - : " لقد ظننت أن لا يسألني أحد عن هذا الحديث أول منك لما علمت من حرصك على الحديث " (البخاري) ،

فتخيل معي أخي القارئ موقف أبي هريرة ، وهو يسمع هذا الثناء وهذه الشهادة من أستاذ الأساتذة ، وشيخ المشايخ - صلى الله عليه وسلم - ، بحرصه على العلم بل وتفوقه على الكثير من أقرانه ، وتصور كيف يكون أثر هذا الشعور دافعاً لمزيد من الحرص أو الاجتهاد .

وحين سأل أبي بن كعب : "أبا المنذر أي آية في كتاب الله أعظم؟" ، فقال أبي : "آية الكرسي" ، قال له : "ليهنك العلم أبا المنذر" (مسلم) .



## ١٠ - الجمع بين التعليم الفردي والجماعي

في كثير من النصوص نقرأ : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - جالساً مع أصحابه ، بينما كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فهذا نموذج للتعليم الجماعي . وأما التعليم الفردي فنماذجه كثيرة ، قال ابن مسعود -رضي الله عنه- : "علمني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التشهد كفي بين كفيه" (متفق عليه) . ومن ذلك ما ورد من غير واحد من أصحابه : أوصاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . ومن ذلك حديث معاذ : "كنت رديف النبي - صلى الله عليه وسلم - على حمار فقال : يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله.." (الشيخان) .

## ١١ - معرفة قدرات تلامذته وإدراكهم العقلي

فهو يقول لأبي هريرة حين سأله عن الشفاعة لقد ظننت أن لا يسألني أحد عن هذا الحديث أول منك لما أعلم من حرصك على الحديث (البخاري) .

## ١٢ - التوجيه للتخصص المناسب

روى البخاري تعليقاً والترمذي عن زيد بن ثابت : أن قومه قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - : ها هنا غلام من بني النجار حفظ بضع عشرة سورة ، فاستقرأني فقرأت سورة ق ، فقال إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا ، فتعلم السريانية . فتعلمها - رضي الله عنه - في سبعة عشر يوماً

## ١٣ - العناية بتعليم المرأة

فحين صلى العيد - صلى الله عليه وسلم - اتجه إلى النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة (البخاري) ، بل تجاوز الأمر مجرد استغلال اللقاءات العابرة ، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النساء قلن لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك" ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن : "ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار" ، فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال : "واثنين" (البخاري) .

## ١٤- استغلال المواقف في التعليم

قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - سي ، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي ؛ إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها ، وأرضعته ، فقال : "أترون هذه طارحة ولدها في النار" ، قالوا : لا ، وهي تقدر على أن لا تطرحه ، قال : "لله أرحم بعباده من هذه بولدها" (متفق عليه) .

## ١٥- التشويق والتنويع في العرض

فهو أحياناً يطرح المسألة على أصحابه متسائلاً : "أتدرون ما الغيبة" (مسلم) ، "أتدرون من المفلس" (أحمد) ، "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثلها مثل المسلم فأخبروني ما هي" (متفق عليه) . ولا شك أن السؤال مدعاة للتفكير وتنميته ، ومدعاة للاشتياق لمعرفة الجواب مما يكون أرسخ في الذهن .

وأحياناً يغير نبرات صوته : "كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صباحكم ومساكم" (مسلم) .

وأحياناً يغير جلسته كما في حديث أكبر الكبائر : "وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور" (الشيخان) .

## ١٦- استعمال الوسائل التعليمية

أ- فهو يشير تارة بقوله : "أنا وكافل اليتيم كهاتين وأشار بأصبعه السبابة والوسطى" (البخاري) ، وقوله : "الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان" وأشار بيده إلى المشرق. (متفق عليه) .

ب- وتارة يضرب المثل ، أو يفترض قصة : "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فكان بعضهم أسفلها وكان بعضهم أعلاها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً فلم نؤذ من فوقنا ، فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ، وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً" (البخاري) .

وكما في قوله : "لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على دابته وقد أضلها في أرض فلاة وعليها طعامه وشرابه فنام تحت شجرة ينتظر الموت ، فقام فإذا هي عند رأسه" (متفق عليه) .

ج- وتارة يستعمل الرسم للتوضيح فقد خط خطأ مستقيماً وإلى جانبه خطوط ، وقال هذا الصراط وهذه السبل . ورسم مربعاً وقال هذه الإنسان.. (البخاري) .

د- وأحياناً يحكي قصة واقعية من الأمم السابقة ، كما في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدعوا الله بصالح أعمالهم (متفق عليه) . وقصة الذي قتل تسعة وتسعين نفساً. (متفق عليه) ، وأمثالها كثير .

#### ١٧- مراعاة الفروق الفردية

كما ورد أنه كان - صلى الله عليه وسلم - يخطب فدخل رجل فقال : يا رسول الله رجل غريب يسأل عن دينه ، فترك خطبته ودعا بكرسي فجلس يعلمه ثم عاد لخطبته (متفق عليه) .

#### ١٨- العناية بالتعليم

كما في الحديث السابق ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يحدث أصحابه فجاء رجل فسأل عن الساعة فمضى في حديثه . فقال قوم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال قوم : لم يسمع . ثم سأل مرة أخرى : متى الساعة ؟ فمضى في حديثه ، فلما انتهى من حديثه قال : أين أراه السائل عن الساعة ، فقال : أنا ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : وما إضعافها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة (مسلم) ، فهو - صلى الله عليه وسلم - رغم أنه لم يقطع حديثه لم ينس هذا السائل ولم يهمله .

وحين خطب في حجة الوداع قال أبو شاه : اكتبوا لي : فقال : اكتبوا لأبي شاه. (البخاري) .

#### ١٩- تأكيد ما يحتاج التأكيد

فقد حلف على مسائل كثيرة تزيد على الثمانين : "والله لا يؤمن.. والذي نفسي بيده.. وأيم الله..". وغيرها كثير .

#### ٢٠- مراجعة العلم والحفظ

فقد أوصى حفاظ القرآن بتعاهده والعناية به : "تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده هو أشد تفلتا من الإبل في عقلها"(الشيخان) ، وكان جبريل يدارسه القرآن. (البخاري) .

وحين علم - صلى الله عليه وسلم - البراء دعاء النوم قال أعده علي فقال : وبرسولك -الذي أرسلت فقال - صلى الله عليه وسلم - بل وبنبيك الذي أرسلت[الشيخان] .

.....

## ٩١-بصائر دعوية في جانب العقيدة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تناولت في الحلقة السابقة ثلاثاً من البصائر الدعوية في جانب العقيدة، وسألحق بها اليوم إن شاء الله أربع بصائر أخرى، وهي:

### ١- البصيرة الأولى:

أن لا يبدأ من يريد تعليم العقيدة الصحيحة ونشرها بين الناس، بأسلوب رد الشبهات المثارة حولها، ومناقشة الخلافات الواردة فيها.. بل يبدأ بتقرير العقيدة الصحيحة، وإبراز أهميتها، والأدلة عليها، ومحاسنها على وجه تتلاشى أمامه الشبهات القائمة أو المتوقعة تلقائياً.. وذلك حتى لا تتداخل الشبهات مع أصل العقيدة، فتعكر من صفائها، أو تعقد من فهمها.. أولاً وتمشياً مع ملامح المنهج الرباني الذي يبدأ بتقرير العقيدة الصحيحة، وتثبيتها في النفوس البشرية وتحسينها، قبل أن يبدأ بإبطال العقائد الفاسدة السائدة، ومناقشة شبهاتها .. ثانياً. وانسجاماً مع الفطرة البشرية السليمة التي تتقبل الحق وتقبل عليه، وترفض الباطل وتنفر منه.. ثالثاً <

### ٢- البصيرة الثانية:

أن تُتجنب في تقرير العقيدة وتعليمها للناس الأساليب الكلامية، والمناهج الفلسفية التي صيغت بها كثير من كتب العقائد في عصور سابقة.. وأن تقدم العقيدة إلى الناس من خلال النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية التي عرضت بها في الصدر الأول..

فكثيراً ما يعود بعد الناس اليوم عن كتب العقيدة خاصة، وإعراضهم عنها، إلى أسلوب صياغتها واعتمادها على أساليب علم الكلام والمنطق، التي كانت سائدة في بعض العصور السابقة، ومقبولة سائغة من قبل أهل تلك العصور.. حتى أصبحت مادة العقيدة الإسلامية عند كثير من الدارسين لها في المعاهد والجامعات من أصعب المواد التعليمية، وأعقد الدراسات الشرعية!!

فلا بد من العمل على صياغة المسائل العقديّة في كتب العقيدة، ولا سيما للمبتدئين بأسلوب سهل واضح يناسب لغة العصر، وفهم أهله، وأن تؤخذ الأمثلة الناطقة بها من واقع الناس ومشاهداتهم وأن تربط مسائل العقيدة اليوم، بواقع الناس وسلوكهم، بدلاً من أن يمثل لها بأمثلة تاريخية قديمة، ومواقف تاريخية سابقة!!

ولا تعني هذه البصيرة التشطّيب على الكتب العلمية القديمة، وتجاهل بعض المسائل العقديّة الهامة، وإنما تترك للمتخصصين في علم العقيدة والباحثين فيها، الذين وضح لهم الحق من الضلال، وتميز لديهم الصحيح من الفاسد من جهة، والذين تجب عليهم الاستفادة من تراث السابقين وأساليبهم في معالجة مشكلات عصرهم من جهة أخرى، فإن في مثل هذه الكتب من الفوائد مالا يستغني عنه أمثال هؤلاء..

### ٣- البصيرة الثالثة:

أن تتركز الكتابات العقديّة الحديثة على كل من العقل والعاطفة في وقت واحد، فلا تصاغ المسائل العقديّة على شكل تصورات عقلية، أو محاكماتٍ فكريةٍ مجردة.. أو تكون عبارة عن لمسات عاطفية، ومشاعر وجدانية بعيدة عن العقل والتفكير.. بل لا بد أن من أن تلامس هذه الكتابات والمقالات روح الإنسان كما تلامس عقله، وتخطب الفكر كما تخطب الوجدان.. وأن يُتحدث عن خصائص العقيدة الإسلامية وآثارها في النفس البشرية بالتفصيل، كما تقرر أحكامها ومسائلها بالتفصيل، وإلا كانت عقيدة نظرية مجردة، أكثر منها عقيدة عملية مؤثرة. فإنه بقدر المزج بين العقل والعاطفة في الكتابات العقديّة من جهة، وبقدر الجمع بين الأحكام والآثار، وتوثيق ربطها بها من جهة أخرى، تفعل العقيدة الإسلامية فعلها في النفوس، وتتجلى آثارها العملية في حياة الناس.. وبقدر الفصل والبعد في كتب العقيدة بين العقل والعاطفة، والحكم والآثر، تصبح العقيدة في النفوس البشرية مجرد مشاعر وجدانية، أو محاكمات فكرية جافة، أو نظريات مجردة بعيدة عن التطبيق..



فعندما يتناول الداعية الحديث عن صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنی مثلاً، لا يصح له أن يقصر حديثه على إثبات تلك الأسماء والصفات فحسب، لتحفظ وتكرر دون استشعار لدلولاتها، ووقوف على آثارها.. فمن المعلوم أن لكل اسم من أسماء الله الحسنی، ولكل صفة من صفاته العلی أثراً في هذا الإنسان وفي الكون من حوله، فمن البصيرة في الدعوة إلى العقيدة، أن تربط تلك الأسماء والصفات الجليلة بآثارها العظيمة النافعة..

فمن أثر الرحمن الرحيم، رحمة الله البالغة بالعباد والمخلوقات..

ومن أثر الخالق البارئ المصور، الخلق والتصوير..

ومن أثر القابض الباسط، الرزق وقبضه وبسطه..

ومن أثر المهيمن العزيز الجبار المتكبر، الهيمنة المطلقة على هذا الكون، والخضوع المطلق له سبحانه، واللجوء إليه..

ومن أثر الهادي النافع، والمعطي المانع، الاهتداء بهديه والرغبة بنفعه وعطائه، والرغبة والخوف من ضره ومنعه..

وقل مثل هذا في كل اسم من أسماء الله الحسنی وصفاته العلی التي أمرنا أن ندعو الله بها ونناجيه سبحانه.. { قال تعالى: } وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } / ١٨٠ / الأعراف.

والتي جاء الترغيب بإحصائها وحفظها، ليكون العبد دائماً على صلة بها، وتفكر في معانيها، فقد جاء في الحديث الشريف: ( إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة ) متفق عليه، كما جاء في الحديث المتفق عليه أيضاً عن عائشة رضي الله عنها: ( أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ: ( قل هو الله أحد ). فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ( سلوه لأي شيء يصنع ذلك ). فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( أخبروه أن الله يحبها ).

ينبغي أن يُغلب على أسلوبه في دعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة، ونهيهم عن العقيدة الفاسدة، أسلوب الموعظة الحسنة على أسلوب المجادلة، وأسلوب الإشفاق والرحمة بالمدعويين على أسلوب الإنكار والتشنيع عليهم.. فيختار لذلك الأسلوب المحب، واللفظ المؤدب..

فلا ينادى الكافر عند دعوته إلى الإسلام بلقب الكافر، ولا يخاطب الضال والمبتدع بلقب الضال والمبتدع، وما إلى ذلك من ألقاب اعتاد بعض الناس أن يوزعها على المدعويين والمخالفين، فيقابلهم الناس بمثلها أو أسوأ منها! وإنما ينبغي عليه أن يخاطبهم - إن كان داعية بصيراً - بروح الإخوة والمودة والمحبة، فيختار الألفاظ والألقاب المحببة إلى النفوس، والمؤثرة فيها، والجاذبة لها.. وإلا كان منفراً فتاناً قبل أن يكون ميسراً مبشراً، وهادياً مهدياً..

وما أكثر ما يغفل بعض دعواتنا عن مثل هذه البصيرة، ويصور لهم شياطين الإنس والجن أن أفعالهم وأساليبهم الخاطئة هذه، بأنها جرأة في الحق، وصدعٌ به، وأنهم يكونون بذلك من الذين لا يخافون في الله لومة لائم، فيسيئون من حيث يريدون الإحسان!!

أسأل الله عز وجل أن يهدينا سواء السبيل، وأن يقينا الزلل في القول والعمل، وأن يغفر لنا ما قدمنا وأخرنا.

## ٩٢- مراتب دعوة غير المسلمين (١- ٢) <sup>(١)</sup>

تعريف المراتب لغة واصطلاحاً:

مراتب جمع مرتبة والمرتبة هي : المَنْزَلَةُ. وفي الحديث: من مات على مَرْبَتَةٍ من هذه المَرَاتِبِ، بُعِثَ عليها؛ المَرْبَتَةُ : المَنْزَلَةُ الرَّفِيعَةُ؛ أراد بها العَزْوَ والحجَّ، ونحوهما من العبادات الشاقة (١).

المراتب في الاصطلاح هي : الدرجات (٢).

(١) بقلم : د.فاطمة بنت صالح الجارد

ومراتب دعوة غير المسلمين هي الدرجات التي يتبعها الداعي في دعوته لغير المسلمين بحسب ما تقضيه الأحوال.

وقد أطلق ابن القيم مراتب الدعوة على كفيتهـا (٣) وامتداد مكانها (٤) وعلى هذا فالدعوة لا بد أن تكون مرتبة بأسلوبها وبانتشارها كما أن الإعلام بالدعوة قد يكون سرىا وقد تكون جهرىا وهذه مرتبتي الإعلام ، وكذلك طريقة الاتصال قد يكون اتصال مباشر وغير مباشر ، وقد تتوالى هذه بحسب أو تختلف بحسب حاجتها ، وكذلك قد يكون الاتصال فرديا وقد يكون جماعياً ، فقد تتوالى تلك المرتبتين أو تختلف حسب الحاجة .

فمراتب الدعوة لغير المسلمين تكون كالتالي :

أولاً : الترتيب الكيفي ( الأساليب ) :

وهو ما يتعلق بأسلوب الدعوة فلا بد من مراعاة هذا الجانب لتأليف قلوبهم إلى الإسلام وتحييهم له والأصل في ذلك قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (٥) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : جعل الله مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريقة الحكمة والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب والمعاند يجادل بالتي هي أحسن(٦).

والمتبع لسيرة المصطفى يجد أنه اتبع هذه الأساليب مع المسلمين وغيرهم كما سيأتي بيانه، وهناك مراتب أخرى خاصة بغير المسلمين وهي أسلوب المباهلة والأساليب الفعلية كالقتال والإجلاء فمراتب الأسلوب لغير المسلمين تكون كما يلي :

١ — القول اللين :

فقد أمر الله موسى — عليه السلام — عندما أرسله إلى فرعون بأن يقول له قولاً ليناً قال تعالى: {اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ} (٧) "والقول اللين هو الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال ، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام



على تسفيهه رأي المخاطب أو تجهيله ..... ومن اللين في دعوة موسى عليه السلام — لفرعون قوله تعالى: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ} (٨) وقوله تعالى: {فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ} (٩)

وكذلك في دعوة إبراهيم — عليه السلام — ويظهر ذلك في دعوته لأبيه في قوله: {وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْطِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جِئْتُكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} . (١٠)

قال الشيخ الفخر الرازي : واعلم أن إبراهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن لأنه نبه أولاً على ما يدل على المنع من عبادة الأوثان ثم أمر باتباعه في النظر والاستدلال وترك التقليد ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي ثم أنه — عليه السلام — أورد هذا الكلام الحسن مقرونا باللطف والرفق فإن قوله في مقدمة كل كلام: { يَا أَبَتِ } دليل على شدة تعلق قلبه بمصالحه. (١١) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي : وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم ، فمن اتباع ملته ، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله بطريق العلم والحكمة ، واللين والسهولة ، والانتقال من رتبة إلى رتبة ، والصبر على ذلك ، وعدم السأمة منه ، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق ، بالقول والفعل ، ومقابلة ذلك بالصفح ، والعفو ، بل بالإحسان القولى والفعلى . (١٢)

٢ — الوعظ والنصح :

يقصد بالوعظ : الأمر بفعل الخير وترك الشرّ بطريقة فيها تخويف وترقيق يحمّلان على الامتثال ، (١٣) وأما النصح فهو : الدعاء إلى ما فيه الإصلاح والنهي عما فيه الإفساد. (١٤)

وقد أمر الله بأن تكون الدعوة بالوعظ ، والمتأمل لدعوة الرسل كان يغلب عليها جانب الوعظ ، وقد اشتملت الكتب السماوية جميعها على الموعدة ، ودل القرآن على ذلك بآيات كثيرة. (١٥)

## وصايا للدعاة

ويرى بعض العلماء أن الوعظ خاص بالإنكار على المسلمين ، منهم الشيخ أبو حامد الغزالي — رحمه الله — حيث قال : الوعظ يكون لمن أقدم على الأمر ، وهو عالم بكونه منكراً ، أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكراً ، كالذي يواظب على الشرب ، أو على الظلم ، أو على اغتياح المسلمين. (١٦)

قلت : من خلال الأمثلة التي ذكرها الشيخ أبو حامد الغزالي — رحمه الله — يفهم أنه قصر الوعظ على الإنكار على المسلمين ، والصحيح عدم قصره عليهم فقط بل يعم الكافرين ، وذلك لعدة أوجه :

الوجه الأول : أن الله سبحانه وتعالى سمى القرآن موعظة وهو مليء بالمواعظ ، وقد أرسل به الرسول - صلى الله عليه وسلم - على قريش وقد كانت أمة كافرة تعبد الأصنام قال تعالى : {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} (١٧) قَالَ الزمخشري: أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبية على التوحيد ، شفاء أي: دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة، ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم. (١٨)

قالت الباحثة : فإذا كان الخطاب موجهاً للناس جميعاً ومنهم الكافرون أو كان لقريش خاصة ، وقد سمي موعظة فدلل أن الكافرين يدعون بالوعظ ، كما أن الوعظ هنا في التوحيد ، والتوحيد يخاطب به أيضاً الكافرون .

والوجه الثاني : أن الله تعالى قد خص سورة هود في أن فيها موعظة للكافرين وتذكره للمؤمنين ، لشمولها على أحوال الأمم السابقة المكذبة لرسولهم ، فعندما قص قصصهم قال تعالى : - في آخر السورة - {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ} (١٩) قال الطبري : وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله وتبين لهم عبره ممن كفر به وكذب رسله. وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله كي لا يغفلوا عن الواجب لله عليهم. (٢٠) وقال القرطبي : الموعظة ما يُتَعَطَّ به من إهلاك الأمم الماضية، والقرون الخالية المكذبة؛ وهذا تشریف لهذه السورة؛ لأن غيرها من السور قد جاء فيها الحق والموعظة والذكري ولم يقل فيها كما قال في هذه على التخصيص. (٢١)

والوجه الثالث : خطاب الله سبحانه وتعالى للكافرين بالوعظ في قوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } (٢٢) فالله سبحانه وتعالى أطلق على هذا الخطاب وعظاً وهو موجه لكفار قريش وفي هذا الخطاب يطالبهم بالتفكير والتأمل ليثبت لهم عكس ما ادعوه .

والوجه الرابع : إسلام عثمان بن مظعون عندما سمع أجمع آية في القرآن في الوعظ ، وقد أطلق الله سبحانه وتعالى عليها وعظاً وهي قوله تعالى: { إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (٢٣) عن عبد الله بن عباس قال : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِفِنَاءِ بَيْتِهِ بِمَكَّةَ جَالِسٌ إِذْ مَرَّ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَكَشَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : { بَلَى } قَالَ : فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ( أَلَا تَجْلِسُ ) قَالَ : { بَلَى } قَالَ : فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُسْتَقْبِلَهُ فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُهُ إِذْ شَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَنَظَرَ سَاعَةً إِلَى السَّمَاءِ فَأَخَذَ يَضَعُ بَصَرَهُ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى يَمِينِهِ فِي الْأَرْضِ فَتَحَرَّفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ جَلِيسِهِ عُثْمَانَ إِلَى حَيْثُ وَضَعَ بَصَرَهُ وَأَخَذَ يُنْغِضُ رَأْسَهُ كَأَنَّهُ يَسْتَفْقَهُ مَا يُقَالُ : لَهُ وَأَبْنُ مَظْعُونٍ يَنْظُرُ فَلَمَّا قَضَىٰ حَاجَتَهُ وَاسْتَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهُ ، شَخَّصَ بَصَرُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى السَّمَاءِ كَمَا شَخَّصَ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاتَّبَعَهُ بَصَرَهُ حَتَّى تَوَارَىٰ فِي السَّمَاءِ فَأَقْبَلَ إِلَى عُثْمَانَ بِجَلِيسَتِهِ الْأُولَى قَالَ : { يَا مُحَمَّدُ فِيمَ كُنْتَ أَجَالِسُكَ وَأَتِيكَ مَا رَأَيْتُكَ تَفْعَلُ كَفِعْلِكَ الْعِدَّةَ } قَالَ : ( وَمَا رَأَيْتَنِي فَعَلْتُ ؟ ) قَالَ : رَأَيْتُكَ تَشَخَّصُ بِبَصْرِكَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ وَضَعْتَهُ حَيْثُ وَضَعْتَهُ عَلَى يَمِينِكَ فَتَحَرَّفْتَ إِلَيْهِ وَتَرَكْتَنِي فَأَخَذْتَ تُنْغِضُ رَأْسَكَ كَأَنَّكَ تَسْتَفْقَهُ شَيْئًا يُقَالُ لَكَ قَالَ : وَفَطِنْتَ لِذَلِكَ قَالَ عُثْمَانُ : نَعَمْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ( أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْفًا وَأَنْتَ جَالِسٌ ) قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : ( نَعَمْ ) قَالَ : { فَمَا قَالَ لَكَ ؟ } قَالَ : { إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (٢٤) قَالَ عُثْمَانُ : فَذَلِكَ حِينَ اسْتَقَرَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي وَأَحْبَبْتُ مُحَمَّدًا ( (٢٥) (٢٦)

ومن الوعظ الحسن الترغيب بتعريفهم بفضول إيمانهم فالأجر لهم مضاعف عن أبي بردة عن أبيه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ( ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ..... الحديث ) . (٢٧)

هي دفع القول على طريق الحجة بالقوة ..... وتكون حقا في نصره الحق وباطلا في نصره الباطل. (٢٨).

والأصل فيها قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (٢٩) والأمر هنا لم يخص لذا فتكون المجادلة للمسلمين وغير المسلمين ، ولكن تختلف لغير المسلمين باختلاف المدعويين .

أ : مجادلة مدعي الربوبية:

كما جادل إبراهيم وموسى — عليهما السلام - ، النمرود بن كنعان وفرعون مصر ففي جادل إبراهيم قال تعالى: {الْم تَرَى إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٣٠)

وفي جادل موسى عليه السلام لفرعون: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُحْضُونَ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} . (٣١)

والهدف من هذه المجادلة هو قطع حججهم وإفحامهم وإثبات عجزهم .

ب : مجادلة منكري الربوبية:

ويكون الجدل معهم لإثبات قدرة الله على الخلق والتدبير والملك والإحياء والإماتة ومن ذلك قوله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدِ

يَخْسِرُ الْمُضِلُّونَ (٢٧) وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ { (٣٢)

جـ : مجادلة أهل الكتاب:

وقد استطر القرآن الكريم في هذه المجادلة ومن ذلك الدعوة إلى كلمة سواء وهي لا إله إلا الله قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}. (٣٣)

٤ — الغلظة :

وتكون الغلظة بالقول وبالفعل وهذا الأسلوب يستخدم مع من دعي بالأساليب السابقة وعاند وجحد ومن هذه الأساليب .

١ — المباهلة :

المُبَاهَلَةُ المِلاَعِنَةُ وِ الِابْتِهَالُ الِاسْتِرْسَالُ فِي الدِّعَاءِ وَالتَّضَرُّعُ فِيهِ . (٣٤)

وقد بين القرآن والسنة كيفية المباهلة مع اليهود والنصارى كما يلي :

أ : مباهلة اليهود:

لقد كان اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأنهم وحدهم الفائزون بمغفرة الله ورضوانه ، وأنهم ليس لغيرهم من الأمم في الآخرة عند الله نصيب ، كما في قوله تعالى: {وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٣٥) وقوله تعالى: {وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (٣٦) وقد نقض الله تعالى تلك الدعاوى الباطلة بقوله تعالى: {قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} (٣٧) (٣٨) فكانت المباهلة بالموت لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء ما لهم بعد الموت . (٣٩) فامتنتع اليهود من إجابة النبي صلى

الله عليه وسلم إلى ذلك لعلمها أنها إن تمت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها. (٤٠)

ب : مباهلة النصارى:

وقد جاءت دعوة النصارى إلى المباهلة عندما قدم وفد من نجران فاجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية : {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (٤١)

في صحيح مسلم ، لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. دَعَا رَسُولُ اللَّهِ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلِي». (٤٢)

وَعَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبًا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ قَالَ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعِنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا فَقَالَ: لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ. (٤٣)

.....

المراجع والحواشي:

(١) لسان العرب ، باب : الرء ، مادة رتب . مكتبة الحديث الشريف ، شركة العريس الإصدار الثامن .

(٢) فيض القدير ، ١ / ١٠٥ .

(٣) انظر مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ، ١ / ٤٧٤ . انظر المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، ١٠٥٠ / ٢ ، حرف الواو ، مادة وضع . موسوعة أخلاق القرآن ، مرجع سابق ، ١ / ٦٨ .

- (٤) انظر زاد المعاد ، ابن القيم ، ١ / ٨٦ .
- (٥) سورة النحل ، آية رقم : ١٢٥ .
- (٦) فيض القدير ، ١ / ١٠٥ .
- (٧) سورة طه ، آية رقم : ٤٣ ، ٤٤ .
- (٨) سورة النازعات ، آية رقم : ١٨ — ١٩ .
- (٩) سورة طه ، آية رقم : ٤٧ .
- (١٠) سورة مريم ، آية رقم : ٤١ — ٤٥ .
- (١١) التفسير الكبير ، الإمام فخر الدين الرازي ، ت ٦٠٦ ، ط بدون رقم [ بيروت ، دار إحياء التراث ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ] ، ٢١ / ٥٤٥ .
- (١٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي [ بيروت مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ] ، ص ٤٤٤ .
- (١٣) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ٥ / ١٠٨ .
- (١٤) تعريفات سيد شريف ط بدون رقم [ استنبول ، مطبعة أحمد كامل ، ١٣٢٧هـ ] ، ص : ١٦ ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، قام باخراج هذه الطبعة ابراهيم انيس وآخرون ، ط بدون رقم و تاريخ [ استانبول ، المكتبة الاسلامية ] ، ٢ / ٩٢٥ .
- (١٥) انظر الاحتساب باللسان ، فاطمة بنت صالح الجارد ، رسالة ماجستير مطبوعة تحت النشر ، [ ط ١ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م ، الرياض ، دار المؤيد ، ] ص : ١٣٨ .
- (١٦) إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، ط [ بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ] ، ٢ / ٤٤٤ .
- (١٧) سورة هود ، آية رقم : ٥٧ .

(١٨) الكشف عن حقائق غوامض التزليل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، ت ٥٢٨هـ ، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد ، د . ط ، د . ت ، د . م [دار الكتاب العربي] ، ٢ / ٢٤١ .

(١٩) سورة هود ، آية رقم : ١٢٠ .

(٢٠) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، ١٢ / ٨٧ .

(٢١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٩ / ١١٦ .

(٢٢) سورة سبأ ، آية رقم : ٤٦ .

(٢٣) سورة النحل ، آية رقم : ٩٠ .

(٢٤) سورة النحل ، آية رقم : ٩٠ .

(٢٥) أخرجه أحمد ، وصححه المحقق أحمد شاكر ، حاشية المسند ، ٣ / ٢٨٥ ، ح : ٢٩٢٢ وقال : ابن كثير : إسناده جيد متصل حسن .

(٢٦) انظر الاحتساب باللسان ، المرجع السابق ، ص : ١٩١ — ١٩٤ .

(٢٧) أخرجه البخاري ، ك : العلم ، ب : تعليم الرجل أمته وأهله ، ١ / ٤٨ ، ح : ٩٧ ، ومسلم ، ك : الإيمان ، ب : وجوب الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ١ / ١٣٤ ، ح : ١٥٤ .

(٢٨) الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ، ط بدون رقم [ بيروت ، دار إحياء التراث ، ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ] ، ٧ / ٧٧ .

(٢٩) سورة النحل ، آية رقم : ١٢٥ .

(٣٠) سورة البقرة ، آية رقم : ٢٥٨ .

(٣١) سورة الشعراء ، آية رقم : ٢٣ — ٢٩ .



- (٣٢) سورة الجاثية ، آية رقم : ٢٤ — ٢٨ .
- (٣٣) سورة آل عمران ، آية رقم : ٦٤ .
- (٣٤) المفردات في غريب القرآن ، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق ، محمد سيد كيلاني ، د . ت ، د . ت ، [ بيروت ، دار المعرفة ] ، ص : ٦٣ ، مادة : بهل .
- (٣٥) سورة البقرة ، آية رقم : ١١١ .
- (٣٦) سورة البقرة ، آية رقم : ٨٠ .
- (٣٧) سورة البقرة ، آية رقم : ٩٤ — ٩٦ .
- (٣٨) انظر أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم ، د . حمود بن أحمد الرحيلي ، [ ط ١ ، ١٤١٤هـ الرياض ، دار العاصمة ] ص : ٤٤ — ٤٥ .
- (٣٩) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير القرشي الدمشقي ، د.ط ، د.ت [ الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ] ١ / ٢٢٠ .
- (٤٠) جامع البيان في تفسير القرآن ، ١ / ٣٣٦ .
- (٤١) سورة آل عمران ، آية رقم : ٦١ .
- (٤٢) صحيح مسلم ، ك : فضائل الصحابة ، ب : فضائل علي رضي الله عنه ، ١٥ / ١٤٧ ، ح : ٦١٧٣ .
- (٤٣) صحيح البخاري ، ك : المغازي ، ب : قصة أهل بجران ، ٨ / ٤٢٧ ، ح :

=====

## ٩٤- مراتب دعوة غير المسلمين (٢-٢) (١)

٢ — التهديد :

يكون التهديد إما بالقول أو بالفعل :

أ — التهديد بالقول :

إما بالوعيد بجزاء الفعل في الآخرة كقوله تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) (١) وكما في تهديد الرسول - صلى الله عليه وسلم - لهرقل الروم: (فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّنَ (٢) الْأَرِيسِيِّنَ جمع الأريس . قال ابن ححر: الأريس قيل معناها الأكار — أي الفلاح — وقيل معناها الأميين، أي تقال للتابع والمتبوع ، والمعنى في الحديث صالح على الرأيين ، فإن كان المراد التابع فالمعنى أن عليك مثل إثم التابع لك ترك الدخول في الإسلام ، وإن كان المتبوع فكأنه قال فإن عليك إثم المتبوعين ، وإثم المتبوعين يضاعف باعتبار ما وقع لهم من عدم الإذعان إلى الحق من إضلال أتباعهم). (٣)

أو تهديد بفعل كتهديد إبراهيم — عليه السلام — قومه بتكسير أصنامهم في قوله تعالى: ( وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ) (٤)

ب — الغلظة بالقتال :

ويكون هذا مع أهل الحرب من الكفار . قال تعالى: ( وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ) . (٥) قال ابن كثير: "معناه: غلظ عقوبتهم، وأنحنهم قتلاً؛ ليخاف من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم، ويصيروا لهم عبرة" (٦) وقوله تعالى: ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ) . (٧)

(١) بقلم: د.فاطمة بنت صالح الجار

قال القرطبي : أمر الله نبيه أن يجاهد الكفار بالسيف والمواظب الحسنة والدعاء إلى الله. والمنافقين بالغلظة وإقامة الحججة، وأن يعرفهم أحوالهم في الآخرة. (٨)

ويكون القتال بالترتيب الأقرب فالأقرب . قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ) (٩). قال القرطبي: "أي: شدة وقوة" (١٠) وقال ابن كثير: أي: وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن، غليظاً على عدوه الكافر (١١) أي ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً دون الأبعد فالأبعد. وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم، لأنهم كانوا سكان الشام يومئذ، والشام كانت أقرب إلى المدينة من العراق. فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد، فإن الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام. (١٢) ، وقال قتادة: الآية على العموم في قتال الأقرب فالأقرب، والأدنى فالأدنى. (١٣)

ثانياً : الترتيب المضموني ( الموضوعي ):

والمقصود به موضوع الدعوة ، فلا بد أن يخضع هذا الترتيب لحال عقيدة المدعوين كما يلي :

#### ١ — تقرير عقيدة الربوبية :

لقد فطر الله الناس على الفطرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبُهَيْمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ) ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (١٤) " (١٥) . والفطرة تدعو المرء إلى الاتجاه إلى الخالق ، لكن الإنسان تحيط به مؤثرات تجعله ينحرف حينما يتجه إلى المعبود الحق . (١٦) وتزداد المؤثرات على الإنسان فيعتقد بإيجاد الدهر له وللكون قال تعالى: ( وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ) (١٧) فأول مرتبة يتبدأ بها المدعو عند هؤلاء تقرير عقيدة الربوبية ودعوتهم إلى إفراد الله بالخلق والملك والتدبير وإيقاظ تلك فطرة التي خلقهم الله عليها ودعوتهم إلى التدبر بأنه لا بد لكل مخلوق إلى خالق، والتأمل في خلق

الكون وما يحويه من مخلوقات من مد الأرض، ورفع السماء، وإيلاج الليل والنهار، وتكوين الكواكب، وتسخير الفلك، وتسيح الرعد، وإنزال الماء، وإرسال الرياح، وخلق الإنسان وتطور ذلك الخلق، وتصويره في الأرحام وتسخير الكون كله له، ووصف البعث، والجزاء وجميع الدلائل على قدرته، والدلالة على أنها الخالق والمالك لها ومدبرها واحد. والآيات على ذلك كثيرة .

## ٢ — تقرير عقيدة الألوهية:

و الذين يخاطبون في هذا التقرير كثير وقد استطرد فيه القرآن كثيراً سواء في دعوة أهل الكتاب أو مشركي العرب فقد ورد على ألسنة عدد من الرسل وهم نوح وهود و صالح وشعيب قوله تعالى: (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ) (١٨) وعلى لسان موسى كما ورد على لسان موسى لقومه في قوله تعالى: ( إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ) (١٩) وعلى لسان عيسى عليه السلام قال تعالى: ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ) (٢٠) وفي دعوة محمد - صلى الله عليه وسلم - كثير من ذلك منها قوله تعالى: ( قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ) (٢١) كما أنه صلى الله عليه وسلم أرشد إلى هذا المضمون أثناء بعث معاذ إلى اليمن عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: ( إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَضَلَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَضَلَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فُتَرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ ). (٢٢)

ب : تقرير عمومية رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ). (٢٣)

ج : تعليمهم الفرائض والعبادات:

كما اتضح ذلك في وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ في الحديث السابق .

ثالثاً : الترتيب المكاني :

وهذا المقام الثاني الذي أطلق عليه ابن القيم مراتب الدعوة وأشارنا إليه في أول المبحث وذكر أنها خمس مراتب حيث ذكر الأولى النبوة ، والصحيح أنها أربعة مراتب كما يلي :

المرتبة الأولى " إنذار عشيرته الأقربين " فعندما أمره الله بالقراءة في الآيات السابقة ، وأثبت له ربوبيته نهاه ألا يدع معه إله آخر وأن ينذر عشيرته الأقربين قال تعالى: (إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَيَّ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ) (٢٤) عن أبي هريرة — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْذَرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ قَالَ : ( يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ) . (٢٥)

المرتبة الثانية: " إنذار قومه " وبدأت هذه المرتبة بتزول قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (٢٦) أي فاجهر به أظهر ما تؤمر به وبلغه علناً على رؤوس الأشهاد ، أو فرق بين الحق والباطل بما أمرك الله بتبليغه. (٢٧) فأعلن الدعوة وجهر بها تنفيذاً لهذا الأمر من الله سبحانه وتعالى .

المرتبة الثالثة " إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة " قال تعالى: (وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) (٢٨) فكان صلى الله عليه وسلم يستثمر تجمعات العرب في الحج فيعرض عليهم الإسلام .

المرتبة الرابعة: "إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر " وفي هذه المرتبة كانت الدعوة عن طريق إرسال الرسائل والرسول إلى الملوك ، وكذلك عن طريق الجهاد. (٢٩)

رابعاً : الترتيب الإعلامي :

السرية :

فقد بدأت دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مكة، من أول نبوته سرا، بقوله تعالى: (قُمْ فَأَنْذِرْ) (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ) (٣٠) واستمرت مدة الدعوة ثلاث سنين. (٣١)

الجهرية:

وهي المرحلة التي أمره الله تعالى أن يدعو الناس إلى الإسلام علناً، مبتدأ بالأقربين كما قال تعالى: (إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ) (٣٢) فبدأ بالأقربين ثم من حوله ثم الناس أجمعين كما بينا في الترتيب المكاني . فكان يذهب إلى الناس في مواسم الحج كل عام، وإلى المواسم الأخرى في عكاظ، ومجنة، وذي المجاز وغيرها من الأسواق العربية الشهيرة. (٣٣)

قلت : وهذا خاص بدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، أما غيرها ، فتكون سرية الدعوة وجهريتها بحسب ما يستدعيه الحال وما تحيط به من ظروف .

خامساً : ترتيب الاتصال (الوسائل):

١ — الاتصال المباشر:

أ : الاتصال الفردي:

قد تحتاج الدعوة إلى أن تكون فرديه ، وهذا يعد لعدة أسباب ، أما متعلقة بالمدعو كأن يكون صاحب سلطة ، ويكون له متبوعين كما في قصة موسى مع فرعون ، أو يكون له مكانة من الداعي كما في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب . فعن سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنَ الْمُغِيرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لِأَبِي طَالِبٍ : ( يَا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ... ) الحديث. (٣٤)

ب : الاتصال الجماعي :

وهو دعوة الناس أو فئة منهم . عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادِ الدِّيَلِيِّ وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا وَيَدْخُلُوا فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَّقِصِفُونَ عَلَيْهِ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا وَهُوَ  
لَا يَسْكُتُ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا ..... ( الحديث (٣٥)

٢- الاتصال بالمراسلات ( الغير مباشر ):

ويكون بإرسال الرسائل والرسائل والوفود .

والاتصال لا يكون بالترتيب بل يكون حسب الظروف المحيطة بالدعوة . وكذلك الترتيب الأخرى ليست على إطلاقها ، فقد تسبق مرتبة أخرى ، ماعدا مايتعلق بالترتيب الموضوعي فلا بد من البدء بالعقيدة .

المراجع والحواشي:

(١) سورة آل عمران ، آية رقم : ٦٣

(٢) أخرجه البخاري ، ك : بدء الوحي ، ب : بدء الوحي ، ١ / ٩ ، ومسلم ، ك : الجهاد والسير ، ب : كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ٣ / ١٣٩٦ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر ٨ / ١٧٨ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية رقم : ٥٧ .

(٥) سورة التوبة ، آية رقم : ٥٧ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ٦٩ .

(٧) سورة التوبة ، آية رقم : ٧٣ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ، ١٨ / ٢٠١ .

(٩) سورة التوبة ، آية رقم : ١٢٣ .

(١٠) الجامع لأحكام القرآن ، ٨ / ٢٩٧ .

٩٥- صفات وأخلاق الدعاة<sup>(١)</sup>

أما أخلاق الدعاة وصفاتهم التي ينبغي أن يكونوا عليها، فقد أوضحها الله جل وعلا في آيات كثيرة، في أماكن متعددة من كتابه الكريم.

(أولاً) منها: الإخلاص، فيجب على الداعية أن يكون مخلصاً لله - عز وجل - ، لا يريد رياء ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا حمدهم، إنما يدعو إلى الله يريد وجهه - عز وجل - ، كما قال سبحانه: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ) (١٠٨) سورة يوسف، وقال عز وجل: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) (٣٣) سورة فصلت، فعليك أن تخلص لله - عز وجل - ، هذا أهم الأخلاق، هذا أعظم الصفات أن تكون في دعوتك تريد وجه الله والدار الآخرة.

(ثانياً) أن تكون على بينة في دعوتك أي على علم، لا تكن جاهلاً بما تدعو إليه: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) (١٠٨) سورة يوسف. فلا بد من العلم، فالعلم فريضة، وإياك أن تدعو على جهالة، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم، فالجاهل يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، فاتق الله يا عبد الله، إياك أن تقول على الله بغير علم، لا تدعو إلى شيء إلا بعد العلم به، والبصيرة بما قاله الله ورسوله، فلا بد من بصيرة وهي العلم، فعلى طالب العلم وعلى الداعية، أن يتبصر فيما يدعو إليه، وأن ينظر فيما يدعو إليه ودليله، فإن ظهر له الحق وعرفه دعا إلى ذلك، سواء كان ذلك فعلاً أو تركاً، فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة لله ورسوله، ويدعو إلى ترك ما نهى الله عنه ورسوله على بينة وبصيرة. .

(ثالثاً) من الأخلاق التي ينبغي لك أن تكون عليها أيها الداعية، أن تكون حليماً في دعوتك، رقيقاً فيها، متحملاً صبوراً، كما فعل الرسل -عليهم الصلاة والسلام - ، إياك والعجلة، إياك والعنف والشدّة، عليك بالصبر، عليك بالحلم، عليك بالرفق في دعوتك، وقد سبق لك بعض الدليل على ذلك كقوله - جل وعلا - : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (١٢٥) سورة النحل، وقوله سبحانه: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) (١٥٩) سورة آل عمران، وقوله - جل وعلا - في قصة موسى وهارون: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا

(١) الشيخ : عبد العزيز ابن باز - رحمه الله -. المصدر: موقع روح الإسلام.



لَيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (٤٤) سورة طه، وفي الحديث الصحيح يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ومن ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه" أخرجهم مسلم في الصحيح، فعليك يا عبد الله أن ترفق في دعوتك، ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليماً صبوراً، سلس القياد لين الكلام، طيب الكلام حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها، ويتأثر بها، ويشني عليك بها ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع..

ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي بل يجب أن يكون عليها الداعية، العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس من يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينهى عنه ثم يرتكبه، هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك، أما المؤمنون الراجون فهم دعاة الحق يعملون به وينشطون فيه ويسارعون إليه، ويتعدون عما ينهون عنه، قال الله - جل وعلا- : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (٣) سورة الصف، وقال سبحانه موجِّهاً اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم: (اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (٤٤) سورة البقرة .

وصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون له يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية " هذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم خالف قوله فعله وفعله قوله، نعوذ بالله من ذلك .

فمن أهم الأخلاق ومن أعظمها في حق الداعية، أن يعمل بما يدعو إليه، وأن ينتهي عما ينهى عنه، وأن يكون ذا خلق فاضل، وسيرة حميدة، وصبر ومصابرة، وإخلاص في دعوته، واجتهاد فيما يوصل الخير إلى الناس، وفيما يبعدهم من الباطل، ومع ذلك يدعو لهم بالهداية، هذا من الأخلاق الفاضلة، أن يدعو لهم بالهداية ويقول للمدعو هداك الله، وفقك الله لقبول الحق، أعانك الله على قبول الحق، تدعوه وترشده وتصبر على الأذى، ومع ذلك تدعو له بالهداية، قال النبي - عليه الصلاة والسلام - لما قيل عن (دوس) إنهم عصوا، قال: " اللهم اهد دوسا وأت بهم " .

تدعو له بالهداية والتوفيق لقبول الحق، وتصبر وتصابر في ذلك، ولا تقنط ولا تيأس ولا تقل إلا خيراً، لا تعنف ولا تقل كلاماً سيئاً ينفر من الحق، ولكن من ظلم وتعدى له شأن آخر، كما قال الله - جل وعلا - : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) (٤٦) سورة العنكبوت، فالظالم الذي يقابل الدعوة بالشر والعناد والأذى، له حكم آخر، في الإمكان تأديبه على ذلك بالسجن أو غيره، ويكون تأديبه على ذلك على حسب مراتب الظلم، لكن ما دام كافا عن الأذى، فعليك أن تصبر عليه، وتحسب وتجادله بالتي هي أحسن، وتصفح عما يتعلق بشخصك من بعض الأذى، كما صبر الرسل وأتباعهم بإحسان.

وأسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا جميعاً لحسن الدعوة إليه، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، وأن يمنحنا جميعاً الفقه في دينه، والثبات عليه، ويجعلنا من الهداة المهتدين، والصالحين المصلحين، إنه جل وعلا جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

### ٩٦- ملامح المنهج الدعوي في دعوة نصارى العرب إلى الإسلام<sup>(١)</sup>

\* أن تكون أمور الدعوة مستمدةً من الكتاب والسنة الصحيحة :

إن الدعوة إلى الله دعوة إلى دينه وشرعه ، فلا بد أن تستقى من مصدر التشريع وهو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة الثابتة ، فخير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اعتصم بهما هُدي، ومن تركها ضل قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ( إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه ) (١).

وجميع أصول الدعوة (موضوعها وطرق تبليغها ومبلغها) من جملة ما ورد في الكتاب والسنة ، فمن اتبعها كان مهتدياً في طريقه ناجحاً في دعوته ، ومن أعرض عن هذا المنهاج كان إعراضه سبباً في ضلاله، ومن الضلال تفرق الجهود ، وضياع الأوقات ، بل ربما رُد العمل على صاحبه

(١) بقلم : أ. سارة بنت عبد الرحمن الفارس

كما في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .(٢)

وهكذا منهج صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن سار على هديهم قال صلى الله عليه وسلم : ( فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ) (٣) ، وقال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : (من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً وأحسنها حالاً ، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)(٤) .

\* البدء ببيان مبادئ الإسلام الكبرى ومحاسنه :

على الداعي أن يبدأ ببيان مبادئ الإسلام الكبرى ومحاسنه ، وأنه قائم على التوحيد والعدل (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (٥) ، والسماحة في الأحكام (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (٦) ، وبيان مدى مرونة الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان ، ووضوحه لا تعقيد في أصوله فهو خالي من تعقيد التثليث وشبه الثنوية وشطحات الفلاسفة قال الله تعالى : ( أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ) (٧) وهو الدين الذي يعترف ويقر بجميع النبوات بما فيها عيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء قال تعالى : ( آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ) (٨) وهو دين قائم على تكريم الإنسان واحترامه قال الله تعالى : ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ) (٩) والمساواة بين الأمم والشعوب وإعلان ميثاق حقوق الإنسان : (إن دمائكم وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام) (١٠) وغير ذلك من محاسن الإسلام في أصول العقيدة ، ونظام الاجتماع والسياسة ، والاقتصاد، وأصول التعامل، فإن عرض مبادئ الإسلام ومحاسنه على النصارى العرب وغيرهم سيكون لذلك أثراً - بإذن الله - عظيماً في قبول هذا الدين العظيم(١١) .

وهكذا كان نهج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته - رضي الله عنهم - في عرض الإسلام على غير المسلمين، كما فعل ذلك جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - حينما عرض مبادئ الإسلام ومحاسنه من نبذ الأوثان وعبادة الله وصدق الحديث والأمانة وصلوة الرحم..... على النجاشي وأوضح أن الإسلام يؤمن ويقر بجميع الأنبياء ومنهم عيسى عليه السلام وتلا عليه

## وصايا للدعاة

القرآن فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته وبكى أساقفته ثم قال هذا والذي جاء به عيسى عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة فقبل الدين وأسلم (١٢) .

\* الشمول :

إن المنهج الإسلامي منهج شامل كامل لجميع مجالات العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات والعلاقات، سواءً كانت علاقة الإنسان بربه، أو علاقته بنفسه، أو علاقته بغيره ( في داخل الأسرة أو داخل المجتمع أو فيما بين المسلمين وغيرهم)(١٣).

فيكون شاملاً كاملاً لمراحل العمر ونواحي الحياة قادراً على استيعاب شؤون الحياة ومشكلاتها المتجددة في كل زمان ومكان .

فلا بد للداعي أن يراعي هذا الشمول في دعوته (١٤) للنصارى العرب وغيرهم ، فلا يدعوهم فقط إلى مسائل الاعتقاد ، أو يقتصر على مجال العبادات، أو يغفل عن مجال المعاملات ، بل لابد أن يعلم هؤلاء النصارى أن الإسلام دين شامل كامل لجميع نواحي الدين والدنيا، وأنه قادر على أن يلبى جميع احتياجاتهم ومتطلباتهم الدينية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليكون ذلك أدنى لقبولهم واستجابتهم لهذا الدين العظيم .

\* التدرج في الدعوة إلى الله :

إن شمول هذا الدين بعقائده وشرائعه ومعاملاته لابد أن يقدم للمدعو تدريباً ليسهل تقبله وتطبيقه.

إن المتأمل في رسالة الإسلام من بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، يتضح له أن التدرج كان السمة البارزة في منهج الدعوة إلى الله .

ونقصد بالتدرج في الدعوة ، تدرجه عليه السلام في تبليغ الإسلام والدعوة إليه، مبتدئاً بالأهم فالمهم ، فبدأ بالتوحيد التي هي غاية بعثة الرسل عليهم السلام جميعاً، فكل واحد منهم كان يستفتح دعوته إليهم بقوله: ( اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)(١٥) وبقي صلى الله عليه وسلم على ذلك ما يقارب نصف عمره بعد الرسالة يدعو للتوحيد.

وبعد أن رسّخ جوانب التوحيد بدأ بتشريع الأحكام والدعوة إليها متدرجاً معهم على وجه لا يشق عليهم، مراعيّاً البدء بالأهم فالمهم كالصلاة ثم الزكاة وهكذا بقية أركان الإسلام، ومما يدل على هذا حديث ابن عباس - رضي الله عنه - حيث يقول : لما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل - رضي الله عنه - إلى أهل اليمن ، قال له : ( إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا صلوا ، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم (١٦).....الحديث .

ومما يدل على تدرجه صلى الله عليه وسلم مع المدعوين ومراعاة أحوالهم موافقته على شرط الداخل في الإسلام على أن لا يصلي إلا صلاتين(١٧) كما روى الإمام أحمد عن نصير بن عاصم رضي الله عنه عن رجل منهم أنه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسلم على أن لا يصلي إلا صلاتين، فقبل منه ذلك (١٨).

وقد اشترطت ثقيف لدخولهم الإسلام أن لا صدقة ولا جهاد فقبل منهم وقال : (سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا) (١٩) .

كذلك تدرج عليه السلام في دعوته إلى أخلاق الإسلام حيث ابتدأ بالدعوة إلى أصول الأخلاق من الصدق والعدل وأداء الأمانة والعفة .

وهكذا في استخدامه صلى الله عليه وسلم للوسائل والأساليب لتبليغ دعوة الإسلام كان متدرجاً في ذلك ، فبدأ بوسيلة القول في العهد المكي وبعد الهجرة إلى المدينة اتخذ وسيلة الحماية لجماعة المسلمين بالسرايا والغزوات ثم بعد أن هادن العدو في الحديبية اتخذ وسيلة بلاغية وهي الكتب والرسائل ثم البعوث لتبليغ الدعوة إلى العالم الخارجي .

والحكمة من هذا التدرج هيمة النفوس للسمع ومن ثم قبولها للحق ليسهل الدخول في دين الله . ولقد كان لتدرجه صلى الله عليه وسلم في الدعوة هذا الأثر العظيم الذي ظهر واضحاً في نفوس كثير من المدعوين بقبولهم الحق، وسرعة استجابتهم له .

وهذا التدرج في الدعوة لا يخص فقط عصر النبي صلى الله عليه وسلم بل إن هذا المنهج للدعاة جميعاً

## وصايا للدعاة

يقول الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - : ( إذا كنا نريد أن ندعو كفاراً فلا بد أن ندعوهم كما أمرنا النبي - صلى الله عليه وسلم- في حديث معاذ - رضي الله عنه- . فندعوهم إلى أصل الإسلام ، ثم بعد ذلك نأمرهم بالصلاة ثم بالزكاة ثم بالصوم ثم بالحج .... ) .

ولوا اشترط هذا الصنف من المدعويين، ارتكاب بعض المخالفات الشرعية مقابل إسلامه ، مثل شرب الخمر مثلاً، فإنه يتعامل معه وفق القاعدة ( إذا تزاومت المفاسد واضطر إلى واحدة منها، قُدم الأخر منها ) فيقبل إسلامه ويقبل شرطه .

ويقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز- رحمه الله- : ( لا أعلم مانعاً لأن شرب الخمر أسهل من بقاءه على الكفر) .

وعلى هذا لا بد أن يسير الداعي على هذا المنهج بأن يبدأ بدعوة النصارى العرب وغيرهم بأصول الدين قبل فروعه ، فإن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد (٢٠) .

\* الوسطية والتوازن :

الوسطية من مبادئ الدين الحنيف ومن أبرز خصائص الإسلام ومن مميزات أمة محمد - صلى الله عليه وسلم- ، وبها استحقت أن تكون شاهدة على الناس يوم القيامة قال تعالى : ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ) (٢١) والوسط العدل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن أبرز مظاهر هذا المنهج الاعتدال و التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي ، فالنفس مجبولة على الاعتدال والتوازن بين حقوق الجسد ومتطلبات الروح .

فإن نفور النصارى من الكنيسة وجفائها كان لعدم توازنها بين حقوق الجسد ومتطلبات الروح.

فاتباع الداعي للمنهج الوسط والتوازن في دعوته للنصارى العرب وغيرهم من الأمور المهمة للإقبال على هذا الدين وتطبيقه لان النفس مجبولة على الاعتدال والتوازن فعلى الداعي أن يراعي هذا المنهج في دعوته . مثلاً عليه أن يوازن بين الدعوة إلى الإيمان بالقدر والتوكل على الله والأخذ بالأسباب (٢٢) وأن يوازن عند عرض دعوته بين الخوف والرجاء، وهكذا في أمور العبادات وإلقاء المواعظ فلا يطغى جانب على آخر، فبعض الدعاة قد يأخذ الحماس والرغبة في الدعوة فيكثر على المدعويين بالموعظة فيملوا، أو يطيل عليهم في الدروس فينفروا، ويلح عليهم

بالاجتهاد وتكثيف العبادات فينقطعوا ثم يرمى هذا الدين بالتشدد والتزمت والمشقة . والحق أن ابرز ملامح الوسطية هو اليسر ورفع الحرج عن الناس .

كما أن التقصير أيضاً والتفريط والتساهل نوع من أنواع البعد عن الوسطية والتوازن ومدعاة بأن ينشأ المدعويين على ذلك ، فعلى الداعي أن لا يتهاون في شيء من أمور العقائد والأحكام فيمّيع كثيراً من مبادئه بحجة تقريبه للمدعويين . بل إن عظمة الإسلام وكماله بأن يقدم للمدعويين كما هو، وهذا كفيل بأن يقبل عليه غير المسلمين من النصارى العرب وغيرهم .

المراجع والحواشي:

(١) المستدرك على الصحيحين ، كتاب العلم، رقم ٣١٨ (١١٧١) . انظر: المستدرك على الصحيحين ، محمد الحاكم ، تحقيق : مصطفى عطا، ط ١ (دار الكتب العلمية : بيروت ١٤١١هـ).

(٢) البخاري ، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ ، رقم ٦٩١٨ (٦٢٦٧٥) .

(٣) المستدرك على الصحيحين ، كتاب العلم ، رقم ٣٩٢ (١١٧٤) .

(٤) تهذيب جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، تهذيب : ابو عماد السخاوي ، ط ١ (دار الفتح : الشارقة ، ١٤١٨هـ) ص (٢٢٦) .

(٥) (٩٠) سورة النحل .

(٦) (٢٨٦) سورة البقرة .

(٧) (٣٦) سورة النحل .

(٨) (٢٨٥) سورة البقرة

(٩) (٧٠) سورة الإسراء

(١٠) البخاري ، باب رب مبلغ أوعى من سامع ، رقم ٦٧ (٢٧١) .



- (١١) انظر: الموجز في معاملة غير المسلمين في الإسلام، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، (مؤسسة آل البيت: عمان، ١٩٩٤م) ص (١٩) .
- (١٢) كيف تدعوا نصرانياً ، ص (٩٦) .
- (١٣) انظر : ركائز الإيمان ، محمد قطب ، طا (دار أشبيليا: الرياض ١٤١٧هـ) ص (٤٣٦) .
- (١٤) الدعوة إلى الله في السجون ، (٢٧٩-٢٨٠) .
- (١٥) (٥٩) سورة الأعراف.
- (١٦) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ماجاء في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته إلا توحيد الله ، رقم ٦٩٣٧ (٦٢٦٨٥) .
- (١٧) انظر مراعاة أحوال المخاطبين ، د. فضل إلهي ، ط ١ (الفرقان : الرياض ، ١٤١٧هـ)
- (١٨) جامع العلوم والحكم ، عبدالرحمن بغدادي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ط ٧ (مؤسسة الرسالة ، بدون دار نشر ، ١٤١٧هـ) (١٨٤) .
- (١٩) سنن أبي داوود ، باب ماجاء في خبر الطائف ، رقم ٣٥٠٢٥ (٣١٦٣) . انظر : سنن أبي داوود ، سليمان السجستاني ، تحقيق : محمد عبد الحميد، بدون طبعة (دار الفكر: بدون مكان النشر، بدون تاريخ) .
- (٢٠) انظر التدرج في دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ص (١٤٤، ١٤٠، ١٢٤، ٧٢، ٥٥، ٤٩، ٣٥، ٢٧، ١٥، ٦) .
- (٢١) (١٤٣) سورة البقرة .
- (٢٢) ركائز الإيمان ، (٤٤١) .

## ٩٧-الداعي ومؤهلاته العلمية والخلقية<sup>(١)</sup>

(١) بقلم : أ. سارة بنت عبدالرحمن الفارس



إن من العوامل الهامة في نجاح الدعوة اختيار الداعي لما له من مكانة هامة في تبليغ الدعوة ونجاحها بل هو حجر الزاوية فيها، لذا لا بد أن يختار اختياراً دقيقاً بعناية خاصة، فلو نظرنا في اختيار الله لرسله وأنبيائه عليهم السلام لوجدنا عناية ظاهرة في اختيارهم ثم تربيتهم.

ولما كانت الدعوة هي وظيفة الرسل كان لزاماً علينا أن نهتم باختيار حملتها ونركز على تربيتهم لأنهم خلفاء الرسل والأنبياء في هذه الوظيفة العظيمة (١).

لذا كان لا بد من تأهيل الداعي علمياً وخلقياً قبل أن يتولى أمر هذه الدعوة كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : ( تعلموا قبل أن تسودوا ) (٢).

لذا لا بد للداعي قبل أن يتولى مهمة الدعوة أن يؤهل تأهيلاً علمياً وخلقياً.

مؤهلات الداعي العلمية :

مؤهلاته العلمية : وتشمل أمرين علمه بالأحكام الشرعية ومعرفته بأحوال المخاطبين .

أ- علمه بالأحكام الشرعية :

إذا كان العلم الشرعي ضرورياً لكل مسلم، فالداعي إلى الله أكثر الناس ضرورة وحاجة إلى هذا العلم ، لكن لا بد أن يكون هذا العلم متفق مع ما أنزله الله في كتابه وما بينه رسوله في سنته ، وليس نابع من الأهواء والأفكار التي لم تقم على أساس وأصل شرعي ومنهج رباني سليم (٣) وذلك بالقدر الذي يؤهله ويعينه على تبليغ الدعوة إلى المدعويين أي بأن يكون لديه قدر من العلوم الشرعية التي تمكنه من أداءه لواجبه على الوجه الصحيح ، لكن لا يشترط أن يكون عالماً ملماً بمعظم العلوم الشرعية إنما يكون لديه علم بالمسألة التي يدعوا إليها، فيكون عالماً بما يأمر به وعالماً بما ينهى عنه.

ب- معرفته بأحوال المخاطبين :

لا شك أن المدعويين على أصناف وأنواع عدة، سواء أكان من حيث الدين، أو اللغة، أو الثقافة والحضارة، أو الغنى والفقير، أو الرفعة والسودد، أو الظروف الزمانية والمكانية المحيطة بالمدعو.

## وصايا للدعاة



لذا يجب على الداعي أن يتعرف على كل من يدعوهم من جميع النواحي، وأن يأخذ العدة اللازمة التي تعينه في دعوته وتسهل له مهمته .

فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يسأل عن الوفود ، وعن أصلهم كما حدث ذلك مع وفد عبد القيس بقوله: ( من القوم ؟ أو من الوفد ؟ ) وقد كان استفساراته ليتمكن من التعرف على من قدم عليه صلى الله عليه وسلم ليراعي أحوالهم ويترهم منازلهم .

إن معرفة الداعي بأحوال المدعوين والوقوف على حقائق دياناتهم من لوازم إعداد الداعي حتى ينطلق منها لدعوتهم ويقيم عليهم الحجة بها، فيكون لذلك أثراً عظيماً في استجابتهم وقبولهم.

مؤهلات الداعي الخلقية :

إن من أهم ما يجب على الداعي المسلم أن يتحلى بحسن الخلق في شخصيته وفي دعوته ومعاملته مع المدعوين؛ لأن حسن الخلق ذو تأثير فعّال في الناس فهو أبلغ من القول - فقط - ومن أهم ما يجب أن يتحلى به الداعي ما يلي :

١- الإخلاص والتقوى :

إن من أهم ما يجب على الداعي أن يتحلى في دعوته بالإخلاص حتى يقبل عمله و تثمر دعوته فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى (٤) ، فإذا كانت دعوته من أجل الله والحصول على رضاه نال بذلك الأجر، وكان ذلك أدعى لقبول دعوته.

والتقوى أيضاً من الأمور الهامة التي يجب على الداعي أن يتصف بها لأن دعوته توقيع عن رب العالمين فإذا كان تقياً ورعاً تثبت من النقل وتحرى الصواب وتورع من الفتوى على الله بغير علم.

٢- الصدق والأمانة :

الصدق من الصفات الجليلة التي يدعو إليها الداعي ، فلا بد أن يمثل بها ويتحرى الصدق في أقواله وأعماله ، لأن الصدق مصدر ثقة المدعوين به والالتفات حوله ومتابعته، كما أن الأمانة صفة مهمة لا تنفصل عن كيان الداعي لأن الناس في العادة تأمن الداعي على الأموال والأعراض

والأسرار ، والداعي بحكم وظيفته ملتقى لودائع مادية وأدبية ، فلا بد أن يكون عند حسن الظن  
(٥) .

### ٣- الرفق والحكمة :

الرفق والحكمة من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعي فمتى كان الداعي رقيقاً حكيماً عرف كيف يتصرف في المواقف ويعالجها بما يناسبها (٦) ، فيكون رقيقاً فيما يأمر به ، رقيقاً فيما ينهى عنه، كما كان ذلك هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - ورفقه مع الأعراب ، وحديثي العهد بالإسلام ، فالله رقيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على سواه (٧) .

والحكمة من الصفات الهامة التي يحتاجها الداعي في جميع أموره، و بها يزن الأمور، والمواقف ، ويعرف متى يدعو ومتى يحجم في الوقت غير المناسب ، وكيف يتدرج مع المدعو فالدعوة كلها في موضوعها وأساليبها ووسائلها مفتقرة إلى حكمة الداعي قال تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ) (٨) .

### ٤- التواضع :

التواضع سلوك لا بد منه للداعي ؛ لأن الداعي بحاجة أن يكون على صلة مستمرة بالناس وقريباً من قلوبهم (٩) ، فالمدعوين فيهم الغني والفقير، والشريف والوضيع ، والكبير والصغير، ولن يستطيع أن يتعامل مع هؤلاء الأصناف إلا إذا كان متواضعاً ولن يستجيبوا له ويحبه إلا إذا كان كذلك لأن من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم ، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً ، هكذا جبلت طبائع الناس فإنهم ينفرون عن المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده فلا يصل إليها من قوله شيء بل قد يكون ذلك سبباً إلى كرههم الحق منه ومن غيره (١٠) .

ومهما بلغ الداعي من الفضل والعلم والمنصب لا بد له من التواضع فهذا النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - سيد الخلق أجمعين ومعلم الدعاة كان يتواضع مع عامة الناس يخالطهم ويجلس جلستهم ، ويأكل من طعامهم، ويقضي حوائجهم، لذا على الداعي أن يتأسى برسول الله -

صلى الله عليه وسلم - وأن يتجنب شتى مظاهر الكبر (١١) ويوطن نفسه على التواضع ولين الجانب .

٥ - الصبر :

الدعوة إلى الله وظيفه عظيمة وأمانة كبيرة وحملها يحتاج إلى صبر ومجاهدة وتضحية، لذا اختار الله لها أعظم الخلق صبراً وتحملاً وتضحية والداعي إلى الله يواجه الناس ويعارض شهواتهم ورغباتهم فهو يصادم ما يريدون فلا بد أن يجد معاناة الرفض والأذى والإهانة، لذا لا بد أن يتحلى الداعي بهذه الصفة حتى يصمد ويستمر في دعوته حتى يلقي الله، قال تعالى : (تُبَلَّوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَكَلْتَمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (١٢)، يقول سيد قطب - رحمه الله - : ( وذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عوداً فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها والصبر عليها (... ) (١٣) .

فلا بد أن يدرّب الداعي نفسه على تحمل أذى أهل الكتاب من النصارى وغيرهم ويتعلم كيف يحلم عليهم وهو يدعوهم إلى الحق (١٤) .

٦ - موافقة العمل للقول :

إن هذه الأخلاق الحميدة وغيرها مما يدعو إليه الداعي من سائر العبادات والأحكام الشرعية ، لا بد أن يطبقها عملياً في واقع دعوته ومع نفسه ، ويجتهد بالتحلي والإنصاف بها ؛ لأن حسن الخلق ، والتخلق بمكارم الأخلاق سبب رئيس لخبّة الداعي والتأثير به والالتفات حوله ثم أن هذه الأخلاق الحميدة هي موضوع دعوته التي يدعو إليها فلا بد أن يفعل ما يقول وأن يطبق ما يدعو إليه؛ لأن المدعوين يريدون أن يروا في الداعي هذا المعنى السامي الذي يدعوا إليه فيكون ذلك تصديقاً لما يقول ، وفي الغالب أن عامة الناس يتأثرون بأفعال الدعاة أكثر من أقوالهم ، والمدعوين لا يستجيبوا لمن يقول لهم خذوا قولي واتركوا فعلي (١٥) .

وقد عاتب الله سبحانه هؤلاء بقوله: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ) (١٦) ، وروى البخاري في صحيحه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه

فيقولون أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت أمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية) (١٧).

لكن مع ذلك لا يتوقف الداعي عن الدعوة بحجة أنه لم تتوفر فيه كل المؤهلات العلمية والخلقية ولكن عليه أن يجتهد في تحصيلها قدر ما يستطيع لأن التقصير في أمر العبادات والأخلاق وارد على المسلمين جميعاً ولا عصمة لأحد من ذلك إلا من عصمه الله ، فلو قصرنا الدعوة على العلماء والأتقياء فقط ، لحدث في جوانب الدعوة نقص كبير ولم نجد المعصوم .

ولكن معرفة الأمور التي ينبغي أن يتصف بها الداعي مطلب تربوي يسعى إليه الدعاة.

.....

المراجع والحواشي:

- (١) انظر الدعوة إلى الله في السجون، (١٥٨) .
- (٢) فتح الباري، باب الاغتباط في العلم والحكمة ، رقم (١٢٩) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام ابن حجر العسقلاني ، بدون طبعة ، (دار المعرفة :بيروت ، بدون تاريخ).
- (٣) انظر : منهج الداعية في دعوته لغير المسلمين ، ص (١٩).
- (٤) البخاري، باب بدء الوحي ، رقم ١ (١٢).
- (٥) مؤهلات الداعية المسلم العلمية والخلقية، أحمد العدناني ، ط ١ (دار لينة : القاهرة ، ١٤١٨هـ) ص (١٣٥).
- (٦) صفات الداعية ، صالح العليوي ، ط ١ (دار القاسم) الرياض ، ١٤١٦هـ) ص (٣٤) .
- (٧) مسلم ، باب فضل الرفق ، رقم ٢٥٩٢ (٤٢٠٠٣) .
- (٨) سورة النحل : (١٢٥) .
- (٩) صفات الداعية الناجح ص (٤٥) .



- (١٠) أصول الدعوة ، ص (٣٦٣) .
- (١١) مؤهلات الداعية المسلم ، ص (١١٣) .
- (١٢) سورة آل عمران : (١٨٦) .
- (١٣) ظلال القرآن ، سيد قطب، ط ٨ (دار الشروق :القاهرة ، ١٣٩٩م) (١٥٣٩) .
- (١٤) انظر: المصفي من صفات الدعاة ، عبد الحميد البلالي، ط ٦ (دار الدعوة :الكويت ، ١٤١٢هـ) ص (٥٧) .
- (١٥) المصفي من صفات الداعية ، ص (٢٩) .
- (١٦) سورة الصف: (٢) .
- (١٧) مسلم ، التكلم بالكلمة يهوى بها في النار ، رقم ٢٩٨٩ (٤٢٢٩٠)

### ٩٨-أفق الداعية بين الضيق والسعة<sup>(١)</sup>

الأفق الدعوي الرحب هو تلك المساحة التي تمتد أمام كل داعية إلى الله، ليمنحه بصيرة غير محدودة تدفعه لسبر أغوار الحقيقة، والنفوذ إلى عمق الأمور في شتى شؤون الدين والحياة عامة، وفي مسائل الدعوة المباركة وقضاياها بصفة خاصة.

لكن الأفق لا يكون دائما واسعا ورحبا، بل تعثره في أحيان كثيرة أعراض الضيق مما يفضي بالداعية إلى مجانبة التقدير الصحيح وعدم وضع الأمور في نصابها.

فما مظاهر الضيق في أفق الداعية إلى الله؟ وأين تكمن الأسباب المؤدية إلى هذه الحالة؟ و هل من مخرج يضمن عودة الداعية إلى جادة دعوته بأفق واسع رحب؟

أسباب تؤدي لضيق الأفق :

(١) أ . حسن الأشرف، إسلام أون لاين

لعل من أهم الدواعي التي تؤدي إلى تشكل أفق ضيق عند الداعية إلى الله عز وجل:

١/ التهاون في طلب العلم ، وعدم تتبع مسائل العلم في مختلف مناحيه، والنهل من معينه الذي لا ينضب؛ فالجهل لا يفضي في نهاية المطاف إلا إلى نوع من العجز عن قراءة الواقع واستشراق المستقبل، من خلال هذه القراءة الواقعية للمجتمع وما يختلج فيه.

٢/ محدودية قدرة الداعية على التأمل والنظر والتفكير والتدبر، وهي محددات أساسية لبلوغ الداعية سقف الاطلاع والرحابة في التفكير والتعبير، ومن ثم التواصل مع الغير من أفراد المجتمع.

٣/ وقوف الداعية عند حروف الألفاظ ، وعدم نفاذه إلى معانيها وحمولاتها، فيكون الفهم قاصرا عن إدراك الضروري إدراكه، فيستخلص الداعية عن هذا الفهم القاصر للنص أحكاماً اجتهادية قاصرة المعنى أيضاً؛ لأن المنطلق الأصلي كان خاطئاً، فكيف لا يؤثر على النتائج؟ قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: ( رُبُّ شَخْصٍ يَفْهَمُ مِنَ النَّصِّ حِكْمًا أَوْ حَكْمِينَ وَيَفْهَمُ مِنْهُ الْآخِرَ مِائَةً أَوْ مِائَتَيْنِ ).

٤/ التبعية العمياء للشيخ ؛ إذ تجد الداعية أو طالب العلم لا ينظر إلا من خلال نافذة شيخه، فإن كانت نافذة الشيخ نافذة واسعة يدخلها الضوء والهواء الكافيان لتنفس شرعي واضح المعالم والحدود دون إفراط ولا تفريط، كانت نافذة الداعية أيضاً على مقياس وشاكلة نافذة الشيخ، وإلا فلا، والتقييد الحرفي الصارم بنظرة الشيخ لا شك أنه يخلق عند الداعية ذهنية خمولة بليدة، غير قادرة على النقاش والاجتهاد، بعيدة عن ملكة الإبداع وتقديم الدعوة في لباس عصري جذاب يثير المدعويين خاصة فئة الشباب منهم.

٥/ الخلل في ترتيب الأولويات عند الداعية إلى الله ، وهذا مرده الجهل بفقهاء الأولويات ، فينبغي وضع كل شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدم الأولى فالأولى بناء على معايير شرعية صحيحة يهدي إليها نور الوحي ونور العقل، فيوضع كل شيء في موضعه بالقسطاس المستقيم بلا طغيان ولا خسران، مصداقاً لقول الله تعالى: (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ) (التوبة: ٢٠) ، والداعية الذي لا يمتلك

ميزان فقه الأولويات يسقط في فسخ المصلحة الآتية إن عاجلاً أم آجلاً؛ الأمر الذي يضر بالداعية نفسه وبال دعوة برمتها.

٦/ الغلظة والتشديد في الدعوة ، فنجد الداعية الذي لا يمتلك نواصي الأفق الرحب يؤخذ الناس حتى على تقصيرهم في بعض الأمور المستحبة، فيدعوهم بشيء من الغلظة والجفاء كأنهم تركوا أمراً واجباً، أو فرضاً لا يجوز تركه بحال من الأحوال .

السبيل إلى سعة الأفق :

يستطيع الداعية إلى الله تعالى أن يوجه طاقاته وجهوده إلى أهداف محددة، على ضوء القرآن والسنة، بالفهم الصحيح والدقيق لحقيقة الإسلام وقواعده، ذلك أن الدين الإسلامي مليء بالحقائق والقواعد والمفاهيم التي تساعد على سعة الأفق، ويجب فهم هذه الحقائق فهماً سليماً وصحيحاً، كما أن تواضع الداعية، وتدريب نفسه على التعلم مهما بلغ في مجال الدعوة من شأن، يفتح الآفاق الواسعة والبصائر النافذة، ويترد الكبرياء والغرور الذي يصيب كل داعية في صلب عطائه وإخلاصه.

ثم إن الدعاة سعاة، فينبغي على الداعية أن يذهب إلى المدعو؛ ففي تحرك الداعية نحو الآخر، واحتكاكه به ومعرفة واقعه وطريقة عيشه، والاطلاع على آماله وآلامه، تتسع مدارك الداعية إلى الله، ويتسع أفقه ليشمل الغير دون تهميش لهذا أو ذاك، ودون إقصاء لفلان أو إعلان، أو تكبر على هذا الشخص أو ذاك، والداعية مطالب بأن يتسع أفقه لعموم الناس، الموافقين والمخالفين على السواء.

ولكي يُبعد الداعية إلى الله عن نفسه داء ضيق الأفق، عليه أن يدرجها على النفور من ادعاء امتلاك الحقيقة، وأن يمزق شعار: قولي صوابٌ لا يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ لا يحتمل الصواب؛ إذ يجب على الداعية أن يتربى على الاستعداد الصادق لسماع ما عند الآخر، وأن يترك الفرصة له للتعبير عن بنات أفكاره وآرائه، بدون إشعاره أن ما يقوله تافه أو غير مجد أو خاطئ حتماً .

يقول الأستاذ عبد الله بن العيد، الباحث في الدراسات الإسلامية : ( إنه من المؤسف حقاً أن نجد الداعية لا يمتلك القدرة على سماع الغير وتقدير ما عندهم من أفكار وآراء، بل يمكن أن



تعرض على الداعية أحيانا الآراء المخالفة وذهنه مغلق خارج التغطية، متيقنا - عن سابق إصرار وترصد- بأن ما سيقال له مجرد ترهات وأباطيل لا أصل لها من الحقيقة؛ فعنده الحكم على الأمور والأشياء بمقياس: إما أبيض أو أسود! والواجب أن يلزم نفسه بسماع ما عند المدعو وغير المدعو ثم يحكم بقبوله أو رده بالدليل الشرعي، مع إيجاد العذر للمخالف، لا الرفض من أجل الرفض انطلاقا من هواه الشخصي)، فالتجرد للحق معين عظيم على سعة الأفق ولا شك.

ولياخذ الداعية المصاب بداء ضيق الأفق الحكمة والموعظة من قصة الفقيه إسحاق بن راهويه الذي التقى بالإمام الشافعي في مكة، فتناظرا حول مسائل عديدة، والعجيب أنهما في بعض المسائل رجع الشافعي إلى قول إسحاق، ورجع إسحاق إلى قول الشافعي، كل واحد منهما أعجبه حجة الآخر ودليله، فقال بما، وهذا نموذج الانتصار للحق فقط والتجرد له، بعيدا عن الهوى أو الغرور أو الكبر بما عند الداعية من علم أو شهرة.

كما أنه من المعينات على سعة الأفق عند الداعية ضرورة نهجه لخطوة واضحة الوسائل والأهداف، بغية الانفتاح على ثقافات الغير وواقعهم، وتعلم ممارسة فنون الدعوة العملية من خطابة ومحاضرة، ودرس، وحوار، ومناظرة ووسائل أخرى، والاعتناء باللغات الأخرى غير العربية؛ وهو ما يمنح الداعية اطلاعا واسعا ينفي عنه سمة الضيق في أفقه وطريقة تفكيره .

وقبل هذا وذاك، الداعية الحريص على أن يكون أفق دعوته ممتدا أمامه لا يحده حاجز، يجدر به أن يكون خلقه حاميا لعلمه ومعرفته الشرعية من أخطار الانزلاق في سراديب الشهوات ومتاهات التزوات، ومن هذه الأخلاق الحامية له أن يكون أميناً على شئون الدعوة المباركة، بالتواضع أمام من هو أعلم منه وأفقه، ورد الأمر له، الشيء الذي يكسر جذوة الرغبة في احتكار المعرفة المفضية إلى ضيق الأفق، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) رواه الترمذي وحسنه.

## ٩٩-وقفات من عزل الدعاة<sup>(١)</sup>

(١) أ. عبد الله القحطاني.صيد الفوائد (بتصرف).



منذ قرون عديدة يتعرض المجتمع الإسلامي لأصناف من التضيق الدعوي، يختلف باختلاف الزمان والمكان، وما ذاك إلا من أجل وأد مسلمات هذا الدين، ومزجه بالشبهات والشبهات على حسب الأهواء، وقد يتبنى حدوث الأزمات في حياة الدعاة جملة من الأديان والفرق والمذاهب والجماعات، حيث يكون لها النصيب الأكبر في إيقاد فتنة عميقة في البلد، حتى يكون نتاج ذلك فجوة بين الدعاة أنفسهم، وبين الدعاة والمجتمع.

وبين يدي هذا المقال أضع بين يدي الداعية بعض الخواطر التي أرجوا أن تكون بلسماً ناجحاً لكل الدعاة، وحسي من القلادة ما أحاط بالعنق.

الرموز الدعوية :

الله عز وجل يهيء للناس دعاة إلى الله عز وجل بدءاً بالأنبياء والرسول ومحمداً صلى الله عليه وسلم، وانتهاءً باتباع محمد صلى الله عليه وسلم.

والصف النفاقي، وعشاق الحسد، لا يألون جهداً في إطفاء المعالم التي ينطلق من خلالها الدعاة، سواء كان ذلك من الجانب الاجتماعي أو من الجانب النفسي، أو من أي جانب يسقط مكانة الداعية، أو يقلل من جهوده وطاقاته.

ومن الأمثلة على ذلك محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أوجد الصف النفاقي وعلى رأسهم عبد الله بن أبي، أسلوباً في إسقاط مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك باقحام عرض أمنا عائشة رضي الله عنها، وقد خابوا وخسروا في استغلال ذلك، فهذا هو أسلوبهم، فهم مثل الذباب لا يقعون إلا على المستقذر، يحاولون جاهدين في النيل من الرموز الدعوية، ولو كان ذلك على حساب الأعراس.

وعشاق الحسد، وأساطين النفاق، يقودهم الغيظ، حينما يرون أن لمثل هذه الرموز واجهة فعلية لهذا المجتمع، مما يقودهم ذلك إلى إثارة البلبلة في الصف الإسلامي، وإيجاد حالة من الانهزامية النفسية لدى المسلمين وذلك من خلال الانسياق في بحر الأزمات، مما يولد حالة من عدم الثقة بين المسلمين، فهذا يرمي بالتهمة، والآخر يصدق، ويكون صراع داخلي، وهذا الصراع يزيد من الفرقة بين الأمة، مما يسهل تسلط الأعداء، والابتعاد عن القيادة الدعوية، وذلك يولد حالة من الإحباط النفسي بين الصفوف، والضعف والاستكانة أمام العدو.

وكذلك صرف اهتمامات القيادة الدعوية، من أمور الدعوة إلى الفتن والأزمات الداخلية يشعل الأزمة في أي مجتمع، فتتعطل حركة التنمية، ومسيرة العطاء مدة من الزمن، تطول أو تقصر بحسب حجم هذه الأزمة وآثارها، ما لم يتم العمل بحسب الأسلوب الأمثل لعلاج هذه الأزمة، والمجتمع الإسلامي حاله حال أي مجتمع في ذلك؛ فالأزمات تعطل عجلة العطاء، وتهدر الكثير من الطاقات والوقت، ويفقد الصف الإسلامي بسببها الكثير من الإنجازات التي تم تحقيقها؛ فبعد انتصارات عظيمة حققها المجتمع الإسلامي، بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم على الجبهات العسكرية، أو على جبهة بناء المجتمع المسلم، أو على الصعيد الدعوي، نجد الصف النفاقي يحدث مثل هذه الفتنة، لكي يصرف اهتمامات القيادة الدعوية، من إرساء دعائم المجتمع المسلم إلى إشغاله بمعالجة آثار هذه الفتن، والعمل على إخماد نارها.

تهويل أخطاء الدعاة :

بني الإنسان معرض للخطأ، ولاشك بأن الأخطاء تتفاوت بحسب حجم العمل، مما يجعلنا أن نربي أنفسنا على النظرة الواقعية للعمل سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو على مستوى الأعمال المؤسسية.

فمن الإجحاف أن نجعل الخطأ خطيئة لا تغتفر، والزلة في مرتبة العزل والمنع، ولا شك بأن تعميم الخطأ هو شهوة العاجزين والحاسدين، وفي مخيلة الإنسان مواقف كثيرة تثبت بأن أسلوب التعميم في الخطأ أسلوباً جرى عليه الكثير من المؤسسات الحكومية والمسئولة، وأصبح لديهم عشقا لخبر أي زلة أو خطأ يصدر من الدعاة أو من أي عمل مؤسسي.

حيث أن أداة تفعيل المكر وإشاعة الخطأ فنٌ يجيده صغارهم، مع أن أبواب التحكم لديهم مهياة لديهم وذلك من خلال الصوت الإعلامي، والسلطة والمكانة، مما يجعل ذلك فرصة لهم في أخذ الحرية في إكمال السير، وتحقيق الهدف.

وعلينا كأفراد ومؤسسات أن نعالج الأخطاء التي تصدر من أفرادنا ومؤسساتنا بشكل إيجابي، مع إظهار الأثر الإيجابية للمجتمع عند إظهار خلاف ذلك، ونحن لا نبرئ الرمز الدعوي من عدم الوقوع في الخطأ، فهو يبحث عن معالجة الأخطاء التي بدرت منه سواء كان ذلك من خلال الكلام أو السلوك، أو يبحث عن المعالم التي تروج به عن الوقوع في همة تُثار عليه في دعوته.

الرموز الدعوية وفقد التوازن :

لما تهب عاصفة قوية على الرموز الدعوية، فإن ذلك يشكل ثلماً واضحاً في صفوف الدعاة والمجتمع ككل، بل قد يؤدي إلى حدوث إبادة كلية لأي عمل دعوي، وهذا أمر طبيعي عند حدوثه مباشرة، والمطلوب من الصف الدعوي أن يصنعوا التوازن عند حدوث الحدث، وكذلك التعامل معه في قالب يشكل الاستمرار في العمل الدعوي، وعدم الإخناء أو الفتور.

ومن الطبيعي أن يشكل المجتمع الذين يبجلون هؤلاء الرموز نوعاً من الحماس، وذلك للمكانة التي يحملونها في نفوسهم لهؤلاء، ولكن من الحكمة أن يفعل هذا الحماس تفعيلاً إيجابياً، من أجل أن ينصر الحدث، أو يقلل من استمراره، لأنه في حال فقد التوازن في التعامل مع أي حدث دعوي، يجعل هناك خسائر دعوية على جميع الأصعدة، سواء كان ذلك من النشء الدعوي، أو من الأعمال والترتيبات الدعوية، أو ذهاب فترة زمنية لم تحقق فيها مصالح دعوية، أو تبدد المكاسب والإنجازات من ذي قبل، أو حدوث الفجوات بين الرموز الدعوية باختلاف أعمالهم، وشخصياتهم.

ومن الأهمية أن لا يفقد التوازن مهما استمر التيار المقاوم، وأن يستمر سلم العمل الدعوي باختلاف أساليبه - سد الثغور - .

لا شك بأن عزل الدعاة عن المنابر الدعوية ثلثة واضحة في تاريخ المجتمعات، وأسلوب بارد لتجميد منابع الخير، ومنحة سانحة إذا استغلت استغلالاً جيداً؛ لأننا نخشى من أصحاب الفكر السيء، ومريدي الانفتاح والشر، أن يشمروا لسد ثغور أهل الدعوة والخير.

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأيام وصفاً دقيقاً كما في حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (سيأتي على الناس سنواتٌ خدّاعاتٌ، يُصدّق فيها الكاذبُ ويُكذب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائنُ، ويُخون فيها الأمينُ، وينطق فيها الرّويضةُ قيل: وما الرّويضةُ؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامّة) حديث صحيح رواه أحمد وابن ماجه والحاكم ( صحيح الجامع ١ / ٦٨١ ).

صبراً أيها الدعاة :

يقول السيد قطب : ( إن موكب الدعوة إلى الله، الموجل في القدم، الضارب في شعاب الزمان، ماض من الطريق اللاحب، ماض في الخط الواصب، مستقيم الخطى ثابت الأقدام، يعترض طريقه المجرمون من كل قبيل، يقاومه التابعون من الضالين والمتبوعين، ويصيب الأذى من يصيب من الدعاة، وتسيل الدماء وتتمزق الأشلاء، والموكب في طريقه لا ينحني ولا ينثني ولا ينكص ولا يجيد، والعاقبة مهما طال الزمن للمؤمنين ).

يأمر الله جلَّ وعلا بالصبر في عشرين موضعاً من القرآن الكريم، مرة بصيغة ( اصبر ) وهي ثمان عشرة، واثنان بصيغة ( اصطبر )، أما ( الصبر ) فقد ورد في نحو تسعين موضعاً في القرآن الكريم، فهو أكثر خلق تكرر ذكره في كتاب الله عز وجل.

ولنقرأ معاً بعض هذه الآيات الكريمة :

قال تعالى - ( فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ) ( ٣٥ ) سورة الأحقاف.

قال تعالى - ( وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ) ( ١٠٩ ) سورة يونس.

قال تعالى - ( فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ) ( ٤٩ ) سورة هود.

قال تعالى - ( وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ) ( ١١٥ ) سورة هود.

قال تعالى - ( وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ) ( ١٢٧ ) سورة النحل.

قال تعالى - ( وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ) ( ٧ ) سورة المدثر.

قال تعالى - ( وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ) ( ١٠ ) سورة المزمل.

قال تعالى - ( فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ) ( ٥٥ ) سورة غافر.

قال تعالى - ( وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ) ( ٤٨ ) سورة الطور.

قال تعالى - ( فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ) ( ٥ ) سورة المعارج.

ثم يأتي الأمر بالصبر بعد النبي إلى الأمة في آيات كثيرة أيضاً :

يقول الله عز وجل : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }  
(٢٠٠) سورة آل عمران.

كلمة للظالمين:

وأما الذين يفتنون المؤمنين ويسومونهم سوء العذاب فما هم أبداً بمفلسين من عذاب الله ولا ناجين  
مهما انتفخ باطلهم وانتفش ومهما زاد ظلمهم وانتعش فكما أن الله تعالى جعل الابتلاء سنة  
جارية ليميز الخبيث من الطيب فقد جعل أخذ الظالمين أيضاً سنة لا تتبدل ولا تتخلف فكل هذه  
القوى بكل ما تملك من وسائل التقنية الحديثة ومن وسائل الإبادة والتدمير مثلها : ( مَثَلُ الَّذِينَ  
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ  
كَانُوا يَعْلَمُونَ ) (٤١) سورة العنكبوت.

نعم فأين الطواغيت والفراعنة والجبابرة والأكاسرة والقياصرة ؟!

أين فرعون الذي قال لقومه : ( فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ) (٢٤) سورة النازعات، واستخفهم  
بقوله : ( وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي  
أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) (٥١) سورة الزخرف.

فأجراها الله من فوقه !!!

أين نمرود بن كنعان الذي قال لإبراهيم - عليه السلام - : ( قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ) (٢٥٨)  
سورة البقرة.

أين قارون الذين قال في خيلاء وكبر واستعلاء : ( قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ) (٧٨) سورة  
القصص

وأين عاد وأين ثمود ؟ وأين أبو جهل وأبو لهب ؟

( فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنَّا أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنَّا خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنَّا أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ) (٤٠) سورة العنكبوت.

فيا أيها الظالمون:

يا أيها المجرمون:

محال أن يموت المظلومون ويبقى الظالمون فاعملوا ما شئتم فإننا عاملون وجوروا فإننا إلى الله مستجيرون واطلموا فإننا إلى الله متظلمون: ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) (٢٢٧) سورة الشعراء.

أيها الظالمون:

اتقوا دعوة المظلومين فليس بينها وبين الله حجاب فإن الله تعالى يرفعها إليه فوق الغمام ويقول لها: ( وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين ).

بشرى للدعاة :

قال تعالى : (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِن جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ) (١٧٣) سورة الصافات .

فلئن عرف التاريخ أوساً وخزرجاً فله أوس قادمون وخزرج، وإن كنوز الغيب تخفى طلائعاً صابرة رغم المكائد تخرج، إن الدعاة الصادقين من تم عزلهم وإيقافهم ، لكن نور علمهم ودعوتهم السابقة تسد مكائدها، وتحذو حذوها، حتى وإن لامس جو الدعوة شيء من الفتور، إلا أن نور الفجر سيسطع ويشع ضوءه، كقدوم النهار على الليل.

قال الله : ( وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) (٢١) سورة يوسف.

ولتكن مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع البلاء في محيطة كل داعية، حتى يهون الأمور، ويعظم الأجر، وتتحرك الهمم، وتستمر الدعوة.

## ١٠٠- من المقصود بالدعوة إلى الله - عز وجل (١) -

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وبعد.

فقد يكون في عنوان هذه المقالة شيء من الغرابة عند البعض، ذلك لأنَّ الجواب معروف، ولا يجهل أحد أن المقصودين بالدعوة إلى الله - عز وجل - : هم طوائف الناس على اختلاف مشاربهم، وذلك بتعبيد هم لربهم - سبحانه - ، حتى يسعدوا في الدنيا بالحياة الطيبة، وفي الآخرة برضوان الله - عز وجل - وجنته.

فإذا كان الجواب معروفاً، فما المقصود بعنوان المقالة إذن؟

إنَّ المقصود بهذا السؤال تنبيهٌ لنفسي وإخواني الدعاة، إلى أن الدعوة إلى الله - عز وجل - تعني أول من تعني، دعوة النفس إلى الله - عز وجل - ، وتعيدها له - سبحانه - ، ويدخلُ في ذلك الأهلُ والقربة، لأنَّ المشاهد في حياة الكثير منَّا، الاهتمامُ بدعوة الآخرين، ونسيان النفس أو الغفلة عنها في زحمة دعوة الآخرين، وهذا إنما نشأ من أنَّ مفهوم الدعوة قد ينحصرُ عند الكثير منَّا في دعوة الناس، ولم تنتبه إلى أن الدعوة إلى الله - عز وجل - على قسمين: دعوة النفس، ودعوة الغير.

والذي دفعني إلى إثارة هذا الموضوع، ما رأيته من نفسي ومن بعض إخواني الدعاة، من غفلة عمَّا ينقص النفس من واجباتٍ وأخلاقيات، أو ما يتلبسُ بها من مثالب وأمراض باطنة وظاهرة، يجب أن يُبذل الجهد في إزالتها، وأن تُدعى النفس إلى الدخول في السُّلم كافة.

ويلحق بذلك الأولاد والزوجة والوالدين، ثم الأقرب فالأقرب.

(١) الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل <http://www.islamlight.net>



قال الله - تعالى - : (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ))  
(التحریم: ٦).

ولا يعني هذا ترك دعوة الآخرين حتى تصلح النفس، ويصلح الأهلون والأقارب، كلا. فالكمالُ عزيز، والنقصُ من طبيعة الإنسان.

ولكنَّ المراد: الاعتناء بالنفس والأهل، ودعوتهم إلى الله - عز وجل - في الوقت الذي يدعى فيه الآخرون، ويجبُ أن تسير دعوة النفس ودعوة الغير في خطين متوازيين غير متقاطعين.

وكم يكون لدعوة الآخرين من ثمرة وفائدة كبيرة إذا كان الداعية مهتمًا بنفسه، محاسبًا لها، داعيًا لها إلى الله - عز وجل -، وذلك لما يضعُ الله - تعالى - على يديه من البركة والقبول في أقواله وأفعاله، ولما يجدُ الناسُ فيه من القدوة والمثال الذي يُحتذى، فالناسُ ينظرون إلى الأفعال أكثر من نظرهم إلى الأقوال المجردة.

تمت المائة الثانية من وصايا للدعاة إلى الله.

نلتقي بإذن الله مع المائة الثالثة

أخوكم/الفقير إلى عفو الله ومغفرته

أمير بن محمد المدري

اليمن - عمران

[Almadari\\_1@hotmail.com](mailto:Almadari_1@hotmail.com)

جوان/۹۶۷۷۱۱۴۲۳۲۳۹

۹۶۷۷۷۰۳۴۳۴۷۰